



آداب

ISSN 0302- 8844 ■ مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم



العدد 55

المجلد 2

يوليو 2026



آداب



ISSN 0302- 8844

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٥٥ المجلد ٢. يوليو ٢٠٢٦

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
رئيس التحرير أ.د. صديق مصطفى الريح مدير التحرير أ.د. أزهرى مصطفى صادق علي أعضاء هيئة التحرير أ.د. الصادق يحيى عبد الله د. محمد الفاتح حياتي د. عفاف محمد الحسن د. رشا البارودي د. نادرة عبد الله علي د. وليد نورالدائم د. أحمد عبد المنعم سكرتارية المجلة أ. وليد مدثر أ. سارة مأمون	أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه أ.د. علي عثمان محمد صالح أ.د. جلال الدين الطيب أ.د. رقية السيد الطيب العباس أ.د. حمد النيل محمد الحسن أ.د. الحسين النوريوسف أ.د. يحيى فضل طاهر أ.د. مبارك حسين نجم الدين د. يونس الأمين د. محاسن حاج الصافي د. حسن علي عيسى
تعلنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم، ص. ب ٣٢١ أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو siddig.alrattyah@uofk.edu	

المحتويات

القسم العربي

١	 أثر القرآن الكريم في اللغة العربية. د. عبد القادر محمد أحمد
٢٥	 مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للإمام أبي القاسم الزجاجي. محي الدين محمد جبريل محمد
٣	 المعلقات السبع جدليتا الرواية والتعليق. د. أبو هداية محمد إسماعيل محمد. أ. د. يوسف محمد توتو محمد
٥٨	 علي
٩٤	 ٤. هندسة الاختبارات اللغوية من معايير الصدق والثبات إلى تحديات التطبيق (دراسة تحليلية في ضوء بطاقة تحليل). د. سعيدة عمر محمد ثاني
١٥٢	 ٥. منطقة الحلاوين في ظل الدولة السَّائِرَة ١٥٠٤ - ١٨٢١ م. د. محمد الفاتح حياتي
١٧٧	 ٦. الجذور السوسيو-اقتصادية للصراع في السودان: مراجعة تحليلية نقدية للأدبيات المعاصرة ٢٠٢٠ م - ٢٠٢٥ م
١٩٦	 د. بابكر عيسى أحمد محمد
	 ٧. الخطوط الحديدية السعودية في منتصف القرن العشرين: دراسة تحليلية لأبعادها الإدارية والاقتصادية
	 وأثرها التنموي (١٣٦٦هـ - ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م - ١٩٥٥م). د. حمد بن محمد صالح الصيخان

القسم الأجنبي

8. Artificial Intelligence -Assisted Translation and the Future of Professional Translators (Descriptive and analytical Study). Dr .Muntasir Mohammed Elhadi Elnor Mohammed.	244
9. Talent and Torment: The Emotional Burden of Literary Genius in Modern Sudanese Writing. Eiman Abbas El-Nour, Adil Babikir.....	285
10. Tempestuous Relations: Adaptation as Textual Movement in Césaire's Une Tempête Suha Anam	310

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
٤. يراعى في البحث ألا يتجاوز ١٠,٠٠٠ كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث بالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة أو الصفحات) مثال: (صديق، ٢٠١٤، ١٤). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبعث المؤتمرات:
● أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.
للمقالات والفصول في الكتب:
● قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". عالم الفكر. الكويت: العدد الثالث يناير/مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.
٧. يراعى في المراجع الأجنبية النمط نفسه
٨. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٩. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
٩. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
١٠. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
١١. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فنته.

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

د. عبد القادر محمد أحمد

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم

المستخلص

يهدف هذا البحث لدراسة تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية من خلال تعداد الآثار والفضائل التي أضفاها القرآن الكريم على لغة الضاد؛ وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي، والتاريخي. وخلص البحث إلى نتائج أهمها: أنه كان سبباً في خلودها، وسراً في بقائها الأبدى - أنه جمع العرب على لهجة قريش، لكونها أفصح قبائل العرب وأصفاهم لغةً - أثري اللغة العربية بمصطلحات دينية جديدة - هذب القرآن اللغة العربية بتخليصها من اللفظ الغريب، والسمو بها من حيث الأساليب، وترقية الذوق الأدبي - أثر القرآن في الشعر، حيث توشّحت معانيه وكلماته بروح القرآن وتعاليمه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ اللغة العربية؛ أثر القرآن؛ لهجة قريش؛ المصطلحات الدينية؛ الشعر العربي؛ التذوق الأدبي

Abstract

This study aims to examine the influence of the Holy Qur'an on the Arabic language by identifying the impacts and virtues that the Qur'an has bestowed upon the language of Dād. The study adopts the descriptive-analytical and historical approaches. The study reached several significant findings, the most important of which are: the Qur'an contributed to the perpetuation and enduring survival of the Arabic language; it united the Arabs around the dialect of Quraysh, as Quraysh was considered the most eloquent of the Arab tribes and the purest in its use of the language; it enriched the Arabic language with new religious terminology; and it refined the Arabic language by eliminating obscure and unfamiliar expressions, elevating its stylistic quality, and cultivating literary taste. The Qur'an also exerted a profound influence on poetry, as its meanings and vocabulary became imbued with the spirit of the Qur'an.

Keywords: The Holy Qur'an; Arabic Language; Qur'anic Influence; Quraysh Dialect; Religious Terminology; Arabic Poetry; Literary appreciation

مقدمة

كان العرب في جاهليتهم قد برعوا في الخطابة والفصاحة والبيان. وكان للغة العربية المكانة العظيمة في نفوس متحدثيهم، فكانت أشبه بمعجزتهم التي ليس لها ما يضاهيها. ثم أنزل الله آيات الكتاب العزيز بذات الحرف والكلم، فكانت الأكثر بلاغةً والأفصح معنى.

لقد شرف المولى عز وجل اللغة العربية باختيارها لغةً للقرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وقال جل شأنه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

وهكذا فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينشئ هذه الأصرة المتينة، والترابط القوي بين كتابه العزيز وبين لغة العرب. فكان القرآن الكريم واللغة العربية كالتوأم. لذا كان هناك تأثير وتأثر، فما الأثر الذي أحدثه القرآن في اللغة العربية؟ وما الفوائد التي جنتها العربية من القرآن؟ الصفحات التالية ستجيب بالتفصيل عن هذا السؤال.

تعريف لفظ "قرآن":

جاء في لسان العرب: قرأه يقرؤه يقرؤه - الأخيرة عن الزجاج - قرأاً وقرأةً وقرآنًا، الأولى عن اللحياني، فهو مَقْرُوءٌ. ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور، فيضمها (ابن منظور، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، مادة قرأ).

وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سَلَى قَطُّ، وما قرأت جنيناً قط، أي: لم يَضْطَمَّ رحمها على ولد، وأنشد قول عمرو بن كلثوم:

ثُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عَيُونُ الْكَاشِحِينَ
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءٍ هَجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

(الزَّوْزَنِي، د.ت، ٩٣)

وجاء في المعجم الوسيط: "قرأ الكتاب يقرؤه قِرَاءَةً وَقُرْآنًا: تَبَّعَ كلماته نظراً ونطق بها. وقرأ: تَبَّعَ كلماته ولم ينطق بها، وسميت حديثاً بالقراءة الصامتة. وقرأ الآية من القرآن: نطق بالفاظها عن نظر، أو عن حفظ، فهو قارئ، والجمع قُرَاء". (الزِّيَّات وآخرون، ١٣٩٢هـ - مايو ١٩٧٢م، ٧٢٢)

أما لفظ القرآن اصطلاحاً فيعرِّفه الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنه المنزل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة. (الجرجاني، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢٢٣).

تعريف لفظ لغة:

يورد ابن منظور: "لَغَا فلان عن الصواب وعن الطريق: إذا مال عنه؛ قاله ابن الأعرابي، قال: "واللغة أُخِذَتْ من هذا؛ لأن هؤلاء تكلموا بكلامٍ ما، مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. واللَّغُو: النَّطْق. يُقَال: هذه لغتهم التي يلغون بها، أي: ينطقون". (ابن منظور، ١٤٤٣هـ - ٢٠١٣م، مادة لغا)

ويعرِّف الجرجاني كلمة اللغة اصطلاحاً بأنها هي "ما يعبرُّ بها كل قوم عن أغراضهم" (الجرجاني، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢٤٧).

تعريف لفظ "العربية":

يقول صاحب المصباح المنير: "أعربتُ الشيء، وأعربتُ عنه، وعربتُه، وعربت عنه، كلها بمعنى التبيين والإيضاح. واللغة العربية: ما نطق به العرب". الفيومي، د.ت، مادة عرب). ويورد ابن منظور: تقول: رجل عربيّ اللسان إذا كان فصيحاً" (ابن منظور، ١٤٤٣ هـ - ٢٠١٣ م، مادة عرب).

لقد كان نزول القرآن نقطة تحول كبرى في حياة المسلمين عامة والعرب خاصة. وسرى هديه فيهم مسرى الروح، ونزل وحيه منهم منزلة الطبع، وأثر في ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم. وسنفصل الحديث هنا عن الآثار التي أحدثها القرآن الكريم في اللغة العربية.

أولاً: القرآن الكريم كان سبباً في خلود اللغة العربية

لقد كان القرآن الكريم سبباً في خلود اللغة العربية والحفاظ عليها من الضياع. ويكفي أن المولى عزّ وجلّ تكفل بنفسه بحفظ اللغة العربية، لغة الذّكر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولبيان أثر القرآن في حفظ اللغة العربية من الضياع نقتبس ما أورده د. خوجة حيث يقول: "إنّ السر الكامن وراء خلود اللغة العربية، والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم، بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية متمسكة بهذا الكتاب، الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألّف بين قلوبهم، وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطّود الشامخ يتحدّى كل المؤثرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن" (خوجة، ٢٠١٢ م، ٢-١٠).

ويمضي د. خوجة في بيان أثر القرآن الكريم في تخليد اللغة العربية مبيناً الترابط القوي بينهما، قائلاً: "فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية. وأن النبل من اللغة العربية هو نبل من القرآن الكريم، لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها، لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع أحد" (خوجة، ٢٠١٢م، ٢-١٠).

لقد نزل القرآن الكريم، وكان العرب إذ ذاك قد ملكوا ناصية الفصاحة والبيان شعراً ونثراً، كما يقول السيوطي: "بعث الله محمداً ﷺ وأكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عُدّة" (السيوطي، ١٩٧٣، ١٧/٢).

ورغم علو شأن العرب في لغة الضاد وطول باعهم في الفصاحة، إلا أنهم عجزوا عن مجارة القرآن الكريم. فقد تحدّى المصطفى عليه السلام العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

أ. تحدّاهم بأن يأتوا بالقرآن كله في أسلوب عام يتناول غيرهم من الإنس والجنّ، تحدّياً يتفوق على طاقتهم مجتمعين، حيث يقول جلّ وعلا: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

ب. ثم نزل بالتحدّي بأن يأتوا بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ج. وأخيراً نزل بالتحدّي إلى أقله بأن يأتوا بسورة واحدة من القرآن، حين يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وأمام هذا التحدي يؤكد الجاحظ أنّ أحداً من العرب لم يستطع أن يعارض القرآن، حيث يقول: "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحدّاهم الرسول ﷺ بنظمه، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه. ولو طمع فيه لتكلّفه، ولو تكلّف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة، لعظمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب" (الجاحظ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٩٦ م، ٣/٨٩).

ويمتدح الباقلاني (ت ٤٠٢ هـ) إعجاز القرآن، ويبين عجز العرب عن الإتيان بمثله حين يقول متحدثاً عن كتاب الله تعالى: "... فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنّه خارج عن العادة وأنّه معجز. وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن الكريم، وتميّز حاصل في جميعه. ومنها أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرّف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر" (الباقلاني، إعجاز القرآن، ١٩٧٣، ١/ ٥٩).

ويؤكّد الثعالبي (في كتابه فقه اللغة وسر العربية) الوشائج القوية بين اللغة والعربية ودين الإسلام. حيث يقول ما نصه: "مَنْ أَحَبَّ الله تعالى أَحَبَّ رسوله ﷺ، وَمَنْ أَحَبَّ الرسول العربي أَحَبَّ العرب؛ وَمَنْ أَحَبَّ العرب أَحَبَّ العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العرب والعجم؛ وَمَنْ أَحَبَّ العربية عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همه إليها؛ وَمَنْ هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب، كالينبوع للماء، والزّند للنار...." (الثعالبي، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، ١).

ثانياً: جَمْعُ القرآن قبائل العرب على لهجة قريش

مما لا شك فيه أنَّ العرب كانوا متفرقين إلى عدَّة قبائل قبل بعثه محمد ﷺ. وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة في النطق بالكلمات. وكان العرب يجتمعون في سوق عكاظ ومواسم الحج بخطبائهم وشعرائهم. وفي هذا المؤتمر التجاري العلمي كانت أفكارهم تتلاقى، ويستفيد بعضهم من بعض. وبهذا النهج طرأ على هذه اللهجات تغيّر وتطوّر، إلى أن بزغ فجر الإسلام، وأنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين. وسرعان ما سارعت العرب إلى اتباع طريقته في الفصاحة والبيان (نواصرة، د.ت، ٢٠٧).

لقد استقر الرأي أن تكون لهجة قريش هي المرجع الذي يعتمد عليه العرب. ويتجلى ذلك في الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-. ففي عهده اتّسعت الفتوحات الإسلامية وتفرّق القُرّاء في الأمصار، واعتمد أهل كل مِصر قراءة مَنْ وفد إليهم، فحدثت اختلافات كثيرة في وجوه القراءة. السبب الذي دفع الصحابي حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- لينصح الخليفة عثمان -رضي الله عنه- بتدارك الأمر. وفي هذا يورد د. مناع القطان (القطّان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ١٢٩).

حديث البخاري الذي يرويه أنس -رضي الله عنه-: "أنَّ حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قدم على عثمان -رضي الله عنه- وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة -رضي الله عنه- اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان -رضي الله عنه- أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان -رضي الله عنه- إلى حفصة -رضي الله عنها- أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك - فأرسلت بها حفصة -رضي الله عنها- إلى عثمان -رضي الله عنه- فأمر زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، وعبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- وسعيد بن العاص -رضي الله عنه- وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام -رضي الله عنه-،

فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان - رضي الله عنه - للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت - رضي الله عنه - في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ...". (البخاري، ١٤٢٢ هـ، حديث رقم ٤٩٨٧).

ويبين السيوطي فضل لهجة قريش وسبب اختيارها على ما سواها من اللهجات الأخرى، حيث يقول: أجمع علماءنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحامهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغةً؛ وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمداً ﷺ، فجعل قريشاً قُطَّانَ حرمة، وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حُجَّاجها وغيرهم ينفذون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش - مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب تَخَيَّرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تَخَيَّرُوا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبِعُوا عليها؛ فصاروا بذلك أفصح العرب (السيوطي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ٢٠٩ - ٢١٠).

ويؤكد د. شوقي ضيف (في كتابه: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي) أن جَمَعَ القرآن لقبائل العرب على لهجة قريش أسهم في حفظ اللغة العربية وانتشارها في جميع أصقاع العالم، حيث يقول: "من غير شك أتاح هذا الحفظ للهِجَة قريش لا أن تنتشر في العالم الإسلامي فحسب، بل أن تُحفظ أيضاً وتظل على مر العصور غُصَّة لا تبلى مع الزمان، وأيضاً فإنها اكتسحت ما لقيت من لغات، إذ اتخذتها شعوب - لا حصر لها - لسانها، فأصبح هو اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي. فكل مَنْ عاشوا في هذه الأنحاء تكلموا العربية القرشية، إذ حَلَّتْ من ألسنتهم محل لغاتهم الأولى، وأصبحوا عرباً يعبرون بالعربية عن مشاعرهم وعقولهم. وكل ذلك بفضل القرآن الكريم، فهو الذي حفظ العربية من الضياع، ونشرها في أقطار الأرض، وجعلها لغة حيَّة خالدة" (شوقي ضيف، ١٩٦٣ م، ٣١).

لقد أيقن العرب أن القرآن الكريم يزيد لغتهم حسناً ويضفي عليها عذوبةً. لذا فقد أقبلوا على القرآن يستمعون لآياته، بل حتى المشركين لم يترددوا في الاعتراف بجمال بلاغة القرآن. ونضرب مثلاً لذلك بقصة الوليد بن المغيرة التي يرويها الطبري (ت ٣١٠هـ). فقد جاء الوليد إلى النبي ﷺ، الذي قرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له. فبلغ ذلك أبا جهل، الذي جاء للوليد طالباً منه أن يقول قولاً يدل على أنه مُنكر لما قال محمد ﷺ فقال الوليد: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إنَّ لقوله لحلاوة، وأنه ليحطِّم ما تحته، وأنه ليعلو ولا يُعلَى. قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يآثره عن غيره". (الطبري، د.ت، ٢٣-٢٦).

وفي موقف الوليد هذا نزلت آيات سورة المدثر حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤)﴾ [المدثر: ١٨-٢٤].

ثالثاً: القرآن وإثراؤه للغة العربية

كذلك كان من أفضال القرآن الكريم على اللغة العربية أنه حوَّله إلى لغة ذات دين سماوي باهر. فوسَّع دائرة اللغة بإدخال معانٍ وألفاظ دينية لم تكن معروفة من قبل مثل: الفرقان، والإسلام، والإيمان، والمؤمن، والكافر، والنفاق، والإشراك، والصَّوم، والزكاة، والوضوء، والتهيُّم، والصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، حيث أنَّ المعنى الاصطلاحي (الشرعي) لهذه المفردات غير المعنى اللغوي لها (شوقي ضيف، ١٩٦٣م، ٣٢ / الزيَّات، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ٩٥-٩٦).

بالإضافة إلى ذلك فقد أوجد القرآن في اللغة العربية علوماً لم تكن لتُعرَف لولاه. شمل ذلك

علوم شرعية كال تفسير والحديث والفقه، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وعلوم فلسفية كال توحيد وعلم الكلام والمنطق والفلسفة الإسلامية، وغيرها من العلوم (خوجة، ٢٠١٢، ٢-١٠).

لقد أعاد القرآن الكريم على اللغة العربية قوة ورقياً بما وهبها من المعاني الفياضة والألفاظ الجديدة، وفي ذلك يقول الرافعي ما نصه: "....صَفَّى القرآن اللغة العربية من أكرارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجل من الشباب، ثم هو بما تناول من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركّبها به من المطاوعة في تقلّب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهر مظهراً لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله، لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بُهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها، ولكن في جزالة لم يَمضغ لها شِيع ولا قَيْصوم" ^(١) (الرافعي، ١٩٧٤ م، ٢/ ٧٤).

رابعاً: تهذيب القرآن للغة العربية

خالط القرآن من العرب قلوباً قاسية فالأنها، وطباعاً جافية فأرقّها، فأكسب ذلك اللغة عذوبةً في اللفظ. ورقةً في التركيب، ودقةً في الأداء، وقوةً في المنطق، وثروةً في المعاني. (الزيّات، ١٤٢٧هـ، ٩٥-٩٦) أجل، لقد كان للقرآن الكريم وللحديث الشريف أعظم الأثر في توجيه الأدب، وتهذيب الأساليب، وتربية الذوق. (المطعني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٦٠-٦٢)

ويمكننا القول إنّ القرآن هذب اللغة من اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز

(١) الشَّيْخ والقَيْصُوم: نباتان من نباتات البادية، يُضرب بهما المثل، فيقال: فلان يمضغ الشَّيْخ والقَيْصُوم، إذا كان عربياً خالص البداءة.

من البيان والبلاغة. اختطَّ القرآن في ذلك أسلوباً جزلاً له رونق وطلاوة، مع وضوح القصد، والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه. فاللفظ على قدر المعنى، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب، بل يقرب منها حتى يلمس الشَّغاف. ومما لا شك فيه أنَّ القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي يلذُّ الأذان حين تستمع له، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغي إليه (ضيف، ١٩٦٣ م، ٣٣).

ويشير الزرقاني في (كتابه مناهل العرفان) إلى علو بلاغة القرآن، وأنَّ العرب اعترفوا بذلك، وتذوّقوا هذا الفن واحتفوا به حيث يقول: "والكلام في أسرار بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، وفي بلاغة كلام النبوة وامتيازته، وفي تنافس العرب في ميدان البيان، كل ذلك مما لا يحتاج إلى شرح ولا تبيان، فهذا كتابُ الله ينطق علينا بالحق، ويتحدّى بإعجازه كافة الخلق. وهذا بحر النبوة يفيض بالدراريِّ واللآلئ، ويزخر بالهدايات البالغة والحكم الغوالي. وهذا تاريخ الأدب العربي يسجّل لأولئك العرب تفوّقهم في صناعة الكلام، وسبقهم في حلبة الفصاحة كافة الأنام، وامتيازهم في تذوّق أسرار البلاغة خصوصاً بلاغة القرآن!!" (الزرقاني، د.ت، ٢٩٧).

إنَّ جمال القرآن ودقته ليتجلّى باختياره للألفاظ الرقيقة والعذبة في موضع الترغيب والتبشير، والألفاظ العنيفة والقوية في حال التهديد والوعيد.

ففي مواضع اللّين نضرب مثلاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ [التكوير: ١٥-١٨]. إنَّ حرف السين وتكراره في هذه الآيات يُشعر النفس بالهدوء والراحة والسكينة. يقول سيّد قطب عند تفسيره لهذه الآيات ما نصّه: الحُنُوس والجوارِ الكُنَّس: هي الكواكب التي تخنس، أي: ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي. والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الطّباء، وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى. فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيّق الأنيق عن هذه الكواكب،

وهناك إحياء شعوري بالجمال في حركتها.. في اختفائها وفي ظهورها.. في تواربها وفي سفورها.. في جريها وفي عودتها، يقابله إحياء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه". (سيد قطب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٨٤١ - ٣٨٤٢).

ويمضي قطب متتبّعاً هذه الألفاظ وما تحمله من سحر أخاذ وما تفيض به من عذوبة ورقة ولطافة قائلًا: "والليل إذا عسعس" أي: أظلم، ولكن اللفظ فيه تلك الإحياءات كذلك. فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين: "عس - عس"، وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إحياء عجيب واختيار للتعبير رائع. ومثله: "والصبح إذا تنفس".. بل هو أظهر حيويّةً، وأشدّ إحياءً، والصبح حيّ يتنفس؛ أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدبّ في كل حيّ. وأكاد أجزم أنّ اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تُشعر القلب المفتوح أنه بالفعل يتنفس" (سيد قطب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٨٤١ - ٣٨٤٢).

وعلى النقيض من الحالة الأولى، فإنّ القرآن في مواضع التخويف والإنذار يلجأ إلى أشد وأقسى الألفاظ التي تناسب ذلك الموقف. ونأخذ مثلاً لذلك آيات من سورة "ق" حيث يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾ [ق: ١٩-٢١]

إنّ حرف الدال وتكراره ليزلزل جنبات النفس، ويثير فيها الخوف والهلع. يورد قطب في تفسير الآية الأولى من هذه الآيات المذكورة قائلًا: "... والموت أشدّ ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يُبعد شبحه عن خاطره. ولكن أتى له ذلك والموت طالبه لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد؛ وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدبّ في الأوصال! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان: ذلك ما كنت منه تحيد. وإنّه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين

تقال له وهو يعاني السّكرات...". (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

(وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ): يقول قطب: وهو مشهد يكفي استحضاره في النفس لتقضى رحلتها كلها على الأرض في توجّس وحذر وارتقاب.

(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد): يورد قطب في تفسيرها: جاءت كل نفس. فالنفس هنا هي التي تُحاسب، وهي التي تتلقّى الجزاء. ومعها سائق يسوقها وشاهدٌ يشهد عليها، وهما الكاتبان الحافظان لها في الدنيا على الأرجح" (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

ويرى قطب أن سورة (ق) بأكملها تفيض بالرهبة وتَسَمُّ بالإيقاع القوي. يصفها قطب قائلاً: "إنّها سورة رهيبة، شديدة الوقع بحقائقها، شديدة الإيقاع ببنائها التعبيري، وصورها وظلالها وجرس فواصلها. تأخذ على النفس أقطارها، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها، وتتعبها في سرّها وجهرها، وفي باطنها وظاهرها. تتعقبها برقابة الله، التي لا تدعها لحظة واحدة من المولد، إلى الممات، إلى البعث إلى الحشر، إلى الحساب..." (سيد قطب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣٣٦٤).

خامساً: تأثير القرآن في الشعر

مما لا شك فيه أنّ الإسلام قد أحدث نقلة كبرى وتغيّراً جذرياً في عقائد العرب، وعباداتهم، ومُثُلهم، وأخلاقهم ونظام حياتهم، فببزوغ فجر الرسالة المحمدية كان القرآن الكريم والحديث الشريف هما الموجّهان للناس للطريق القويم، الذي به تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وكما لمسنا في الصفحات الفائتة المزايا التي طوّق القرآن بها اللغة العربية، فإننا هنا نفرّد الحديث لنرى أثر القرآن في الشعر خاصة. فلقد اتّخذ الأدباء والشعراء أسلوب القرآن هادياً في طريقته البيانية وأسلوبه البديع، فاغترفوا من معانيه، وحفظوا روائعه، فكان لهم منه معين فيّاض،

ظهر ساطعاً وجلياً في آدابهم وأشعارهم.

لقد واكب الشعر في صدر الإسلام الأحداث كلها. ولعل أهم تلك الأحداث هي دعوة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام، وهي دعوة اضطرت له هو وأصحابه المؤمنون لحمل السيف ضد أعدائه المشركين.

ومع حرب السّنان هذه، كانت تسير جنباً إلى جنب حرب اللّسان. فظهرت أسماء عدد من شعراء المشركين الذين كانوا يسدّدون سهام هجائهم صوب الرسول عليه السلام وصحابته الكرام ودينه الحنيف. نذكر منهم أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزّبّري السهمي، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب الفهري. وهنا استنفر المصطفى عليه السلام الأنصار قائلاً: "ما منع القوم الذين نصرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مِقْوَلٌ بين بُصْري وصنعاء. فقال عليه السلام: "كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلّك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله ابن رواحة. (الأصفهاني، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ١٠٥-١١٠).

وسنضرب أمثلة لنرى كيف تأثّر هؤلاء الشعراء المخضرمون بروح الإسلام والقرآن في قصائدهم. فهذا حسان بن ثابت يُقال إنّ أول ما جادت به قريحته هي همزيتة في فتح مكة (٨هـ)، والتي يستهلها بما اعتاد عليه الجاهليون من الوقوف على الأطلال وذِكر المنازل والدّم، حيث يقول:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

(حسان، د. ت، ٧)

ولكن موضوعه الرئيسي في القصيدة هو مدح النبي ﷺ، والردّ على هجاء أبي سفيان بن الحارث الذي كان قد هجا المصطفى عليه السلام، حيث يقول حسان:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا، فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ؟ فَشُرْكَمَا لَخَيْرُكَمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا، بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ

ولا يخفى النَّفسَ الديني، والتأنيُّ بلغة القرآن عند الشاعر في هذه الأبيات.

وفي غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون، أمر رسول الله ﷺ أن يُطرح قتلى المشركين ببدر في قليب. فلما طُرِحوا فيها، جاء عليه السلام حتى وقف عليهم فناداهم: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ أما أنا فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً. فقيل له: يا رسول الله! أتنادي قومًا قد جِيفُوا، فقال: "ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون". لقد صوّر الشاعر حسان هذا الموقف بقوله:

يَنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ؟
فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ، وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ

(حسان، د. ت، ١٣٥-١٣٦)

ولا يُذكر الشعراء في صدر الإسلام إلا ويذكر كعب بن زهير بن أبي سلمى، سليل الأسرة الشاعرة. فقد كان كعب في البداية مشركاً يجاهر بعدايه للرسول ﷺ، الذي أهدر دمه. ولما هداه تعالى جاء إلى المصطفى تائباً، وأنشد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ وفي مسجده، بل ومستهلاً لاميته المشهورة بالغزل -على عادة الشعراء الجاهليين- حيث يقول:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متىم إثرها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

ولكنه ما يلبث أن يعتذر فيها عما سلف منه قائلاً:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأْمُولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً الـ قرآن، فيها مواعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم أذنب، ولو كثرت في الأفاويلُ

ثم يختم قصيدته مادحاً للنبي عليه السلام والمهاجرين، بقوله:

إنَّ الرّسول لنور يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلُولُ
في عصبَةٍ من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا: زُؤلُوا
زالوا، فما زال أنكاس ولا كُشفُ يوم اللقاء ولا سُودٌ مَعَاذِلُ

(ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/١٥٣-١٥٤)

وقد ذكروا في أمر هذه القصيدة أنّ كعباً لما قال:

لا يقع الطعنُ إلّا في نُحُورِهِمْ وما لهم عن حياضِ الموتِ تهليلُ

نظر رسول الله ﷺ إلى مَنْ كان بحضرته من قريش، كأنه يومئذ إليهم أن أسمعوا. وأنه لما

وصل كعب إلى قوله:

إنَّ الرّسول لنور يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلُولُ

خلع عليه الرسول عليه السلام بردة كانت عليه. وهذا هو السبب في تسمية القصيدة

بالبردة. وقد ذكروا عن هذه البردة أنَّ معاوية رضي الله عنه في زمنه كتب إلى كعب قائلاً: بِعْنَا بَرْدَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ، مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ ثَوْبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا. فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذها منهم. (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/ ٨٩-٩١)

كذلك من الشعراء الذين وجَّهوا جَلَّ شعرهم لنصرة الرسول ﷺ، والذود عن دعوته، عبد الله بن رواحة، والذي استشهد يوم مؤتة، ونذكر له من هجائه لقريش قوله:

نَجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَتَأْسِرُهُمْ	فِينَا النَّبِيُّ، وَفِينَا تُنْزَلُ الشُّورُ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ بَأَنَّا لَيْسَ غَالِنَا	حَيٌّ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ عَزُؤًا وَإِنَّ كَثُرُوا
يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنْ اللَّهُ فَضْلَكُمْ	عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلًا مَالَهُ غَيْرُ
فَبَيَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ	تَثَبَّتَ مُوسَى، وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

(ابن سلام، د.ت، ٢٢٥-٢٢٦)

وتأثر شعر ابن رواحة بالقرآن واضح وجلي في هذه الأبيات، وأيضاً في قوله:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ	إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ اللَّيْلِ سَاطِعُ
أَرَانَا اهْتَدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُوبُنَا	بِهِ مَوْقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ	إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمَشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

(القرطبي، د.ت، ٩٩-١٠٠)

ولا يخفى الاقتباس من القرآن الكريم في هذه الأبيات، وأن البيت الأخير (يجافي جنبه وفراشه...) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا

رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿[السجدة: ١٦] .

وإذا وقفنا مع النابغة الجعدي، نجد أنه أتى النبي ﷺ معلناً إسلامه، وكان أول ما أنشده رائيته التي يقول فيها:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيتلو كتاباً كالْمَجْرَةِ نِيَّارَا
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدَا وَإِنَّا لَنَرُجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

(النابغة الجعدي، ١٩٩٨ م، ٧٨-٨٦)

فقال الرسول ﷺ: فأين المظهر يا أبا ليلى؟"، فقال: الجنة؛ فقال عليه السلام: قل إن شاء الله فقال النابغة: إن شاء الله، وزاد قائلاً:

وَلَا خَيْرَ فِي حَلَمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُرِدَ الْأَمْرُ أَصْدَرَا

فقال عليه السلام: لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك. قيل: فبقي عمره ولم تنفض له سِنَّ. (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/٢٨٠).

فتعاليم الإسلام وتعايير القرآن تضيفي أثوابها البرّاقة على الأبيات المذكورة.

ونختتم أثر القرآن في الشعر بأبيات لشاعر النيل حافظ إبراهيم. يتحدث حافظ بلسان اللغة العربية التي تنعي حظّها بين أهلها، وتذكّرهم بمآثرها الجمّة وارتباطها القوي بالقرآن الكريم. يقول فيها:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضَمَّتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدّقاتي؟

(حافظ إبراهيم، ١٩٩٦م، ٢٥٣-٢٥٤)

خاتمة

من خلال استعراضنا لهذه الدراسة، يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

أولاً: كرم الله تعالى اللغة العربية باختيارها لغة لآخر كتبه (القرآن الكريم) المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ. وحقّ للعربية أن تفاخر وتباهى بهذا الشرف الربّاني.

ثانياً: كان العرب في قمة الفصاحة في جاهليتهم. ثم نزل القرآن الكريم، ففاجأهم بسلسيل بيانه، وعقدت الدهشة ألسنتهم من تفوق بلاغته. وخضعت له أعناقهم، وأذعنت له أذواقهم، وتيقنوا ألاّ سبيل إلى مجاراته، فانقادت إليه ملكاتهم وسجاياهم.

ثالثاً: جاء القرآن الكريم حافلاً بصور البيان، وضروب البديع، ووضوح المعنى، وقوة الأسلوب وجزالته، فكان التنزيل العزيز بذلك حديقة غنّاء دانية القطوف، وارفة الظلال.

رابعاً: مثلما غير القرآن في حياة العرب وعاداتهم ومعاملاتهم، فقد كانت له آثار إيجابية أيضاً على لغتهم.

خامساً: تسابق الخطباء والأدباء والشعراء للاقتباس من نور الفرقان الباهر المتلألئ، والاعتراف من بحره الصافي العذب، فتدثّرت معانيهم بثوب الإسلام، ورقت ألفاظهم، وتزيّنت قوافيهم.

سادساً: وهكذا فإنّ تأثير القرآن في لغة الضاد كان واضحاً وجلياً للغاية من حيث الشكل

والمضمون.

فنصوص الكتاب الحكيم مقدّسة إلى قيام الساعة، فبخلود هذه النصوص القرآنية بقيت
وستظل اللغة العربية حيّة نابضة إلى الأبد، ونجمل القول بأنّ القرآن الكريم وهب اللغة العربية
إكسير الحياة وسر البقاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم، د. محمد السيد، قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، نسخة أخرى تحقيق د. قصي الحسين، قام بفهرسته ومراجعتها: أ. عادل عبد الجبار، أ. أثير هادي، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، إعجاز القرآن، (بهامش الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٧٣ م.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، حققه ووضع فهارسه السقا، الأبياري، شلبي، (مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح أ. عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٥ هـ - ١٩٩٦ م.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه أ. إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
- الجعدي، النابغة الجعدي، أبو ليلى، عبد الله بن قيس، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م.
- حافظ، حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت - لبنان، ١٩٩٦ م.
- حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت - لبنان (د.ت).
- خوجة، د. خير الله، فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها، مجلة القسم العربي، العدد التاسع عشر، جامعة بنجاب، لاهور - باكستان، ٢٠١٢ م.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٧٤ م.
- الزرقاني، د. محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان (د.ت).
- الزوزني، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات العشر، مع مقدمة لتاريخ ومكانة أصحاب المعلقات، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان (د.ت).
- الزيّات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي، الدوحة - قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه أ. محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ت).

- السَّيُوطِي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي:
- **الإتقان في علوم القرآن**، وبهامشه إعجاز القرآن - تأليف أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٧٣ م.
- **المُزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصحَّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه الأساتذة: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ضيف، د. شوقي، **تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)**، دار المعارف، القاهرة، ط ١٣، ١٩٦٣ م.
- الطَّبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار التربية والتراث، مكة المكرمة (د.ت).
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق د. عبد المجيد الرّحيني - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- فروخ، د. عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٨، ٢٠٠٦ م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان (د.ت).
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أ. أحمد محمد شاكر، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان، بيروت - لبنان (د.ت).
- القطان، د. مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٥، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- قطب، سيّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٢٧، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- كعب، بن زهير، شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه أبي سعيد الحسين بن عبيد الله السكري، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٩٩٥ م.
- مصطفى، إبراهيم - الزيات، أحمد حسن - عبد القادر، حامد - النجار، محمد علي، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول تركيا، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - مايو ١٩٧٢ م.
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصحّحة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين. طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها الأساتذة: السقا، الأبياري، شلبي، (مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي)، الناشر: دار المغنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للإمام أبي القاسم الزجاجي

محبي الدين محمد جبريل محمد

أستاذ مشارك، جامعة الجزيرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية

المستخلص

تناولت هذه الدراسة بعضاً من المسائل الصرفية التي وردت في كتاب (مجالس العلماء) للإمام أبي القاسم الزجاجي، وهدفت إلى التعريف بالزجاجي والوقوف على بعض المسائل الصرفية في كتابه وتحليلها ومعرفة آراء النحاة فيه. كما هدفت إلى التعريف بقيمة كتاب (مجالس العلماء) لا سيما وأن مؤلفه أحد الأعلام في النحو العربي ومرجعاً فيه، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: أنها أظهرت أسلوب علماء العربية الأوائل في مناظراتهم وطرائقهم في التعليل والقياس، كما أظهرت آراءهم في بعض المسائل الصرفية. هذه المجالس عبارة عن مناظرات ومحاورات وجدال لغوي تم بين العلماء، وأوصت الدراسة: دراسة كتاب (مجالس العلماء) واستخراج الجوانب البلاغية والصوتية فيه.

الكلمات المفتاحية: الصرف، مجالس العلماء، مناظرة

Abstract

This study dealt with some morphological issues that were mentioned in the book (Majlis al-Ulama) by Imam Abi al-Qasim Al-Zajaji, I aimed at introducing Al-Zajaji and standing on some grammatical issues in his book then analyzing them and identifying the views of grammarians in it. And I aimed to identify the worth of (Majlis al-Ulama) book's and it relates to the book of Arab heritage books that has a great scientific value among grammarians, particularly since its authors are one of the most prominent in Arabic grammar and a reference in it, the study followed a descriptive analytical method and revealed several findings, including: As shown in their style and methods in reasoning and measuring on some issues of morphologic, These Majlis are debates, dialogues, and linguistic debate that took place between scholars. The study recommended studying the book (Majlis Al-Ulama) and extracting the eloquence and phonological aspects in it.

Keywords: Morphology, Scholarly Assemblies, Dialogue

مقدمة:

هذه دراسة مختصرة لأحد كتب التراث العربي لواحد من أعلام هذه الأمة، الذي بذل جهداً في خدمة اللغة العربية؛ ألا هو أبو القاسم الزجاجي شيخ العربية في عصره، وكل من درس حياة هذا العالم وقرأ آثاره وتراثه أكبر الرجل وقدر علومه، ورأى فيه العقل الواسع والفكر الخصب والعبقرية العجيبة؛ فجاءتنا دراستنا هذه الموسومة بـ: مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي، وتنبع أهميتها من أهمية الكتاب ومؤلفه؛ فالكتاب له أهمية علمية وشهرة واسعة إذ فيه الفقه والتفسير واللطائف اللغوية والنحوية، وفيه آراء العلماء المختلفة، وهدفها تبين قيمة كتابه وتحليل بعض من المسائل الصرفية التي وردت فيه، مستعينة بالمنهج الوصفي التحليلي، وجاءت الدراسة في مقدمة وفصلين يتبع ذلك الخاتمة وما فيها من نتائج وتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول

سيرة الإمام أبي القاسم الزجاجي

وفيه مبحثان:

١. سيرة أبي القاسم الزجاجي.
٢. كتاب مجالس العلماء وقيمه العلمية

أولاً: اسمه

هو الإمام النحوي شيخ العربية في عصره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، الشهير بالزجاجي (الذهبي، ١٩٨٥ م، ١٥/٤٧٥).

ثانياً: تاريخ ميلاده ومكانه

لم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته، إلا أنهم ذكروا مكان ميلاده، فقد ولد الزجاجي في نهاوند. (الحموي، ١٩٩٥ م، ٣١٣/٥) قال ابن خلكان: "أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي داراً ونشأة، النهاوندي أصلاً ومولداً". (ابن خلكان، ١٩٩٤ م، ١٣٦/٣) وقال الزركلي: "أبو القاسم: شيخ العربية في عصره، ولد في نهاوند ونشأ في بغداد وسكن دمشق" (الزركلي، ٢٠٠٢ م، ٢٩٩/٣).

ثالثاً: شهرته بالزجاجي

اشتهر هذا الإمام بين أهل العلم المتقدمين والمتأخرين بـ(الزجاجي) قال ابن العماد الحنبلي: "أبو القاسم الزجاجي نسبة إلى الزجاج، وشيخه أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وسمي بذلك لأنه كان يخرط الزجاج، ثم تعلم الأدب وترك ذلك". (ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦ م، ٢١٩/٤) وقال ابن قنفذ: "ونسب إلى شيخه الذي كان يخرط الزجاج - واحدة زج بكسر الزاي - يجعل في أسفل الرمح" (ابن قنفذ، ١٩٨٣ م، ٢٠٢).

رابعاً: ثقافته وعلومه

طاف الزجاجي كثيراً من البلدان طالباً للعلم، وأقام في بغداد مدة ينهل من علمها ومن فضل علمائها؛ فكانت ثقافته نموذجاً من ثقافة العلماء في القرن الرابع؛ وهو القرن الذي حفل بتناج خصب للعقلية الإسلامية في قمة نضجها وريقها. (السمعاني، ١٩٦٣ م، ٢٧٢/٣) فقد تفنن في العلوم الإسلامية؛ كان عارفاً بالتفسير وبأصول الدين والحديث ومعانيه وفقهه والفرائض ودقائق الاستنباط والعربية وعلم الكلام وغيرها، فله إلمام بكثير من العلوم التي كانت معروفة في عصره إمام الخبير، لا سيما المسائل الأدبية والنحوية وفنون الشعر، ولما تكونت شخصيته النحوية وثبتت

معالمها، ترك بغداد إلى الشام.

خامساً: مذهبه النحوي

اختلف المترجمون في مذهب الزجاجي النحوي، فنسبه الزبيدي إلى البصريين ووضعه في الطبقة العاشرة من طبقاتهم (الفيروزآبادي، ٢٠٠٠م، ١٨٠)، بينما أخرجه ابن النديم منهم، وضمه إلى من خلطوا بين المذهبين وتبعه القفطي في ذلك، فذكر أن طريقته في النحو متوسطة؛ فلا هي بصرية ولا هي كوفية، ولعل هذا الحكم هو أصدق الأحكام وأقرب إلى حقيقة مذهب الزجاجي. وقد بين الزجاجي مذهبه بنفسه حين قال في كتابه (اللامات) وهو يتكلم عن (أل) المعرفة: "ونقول في هذا الفصل ما قاله المازني قال: إذا قال العالم المتقدم قولاً فسييل من بعده أن يحكيه، وإن رأى فيه خلافاً أبان عنه ودل على الصواب، ويكون الناظر في ذلك خيراً في اعتقاد أي المذهبين بان له فيه الحق" (الزجاجي، ١٩٨٥م، ٤٢). وقد اتضح عدم تعصبه أيضاً في روايته عن البصريين والكوفيين في كتابه (الأمالي) دون تفريق أو تمييز بينهما. والناظر في آرائه النحوية يجد أنه وافق في معظمها البصريين، ووافق في بعض منها الكوفيين، ونفذ إلى آراء جديدة في بعضها؛ فهو بغدادي يميل إلى مذهب البصري كشيخه الزجاج من غير تعصب على الكوفيين.

سادساً: آثاره العلمية

كان الزجاجي من أنشط علماء عصره تعليماً وتعليماً وشملت تأليفه النحو والصرف واللغة والعروض والأدب. ومن مؤلفاته: مجالس العلماء - وهو موضوع دراستنا هذه - والكافي (السيوطي، د: ت، ٧٧/٢)، وحروف المعاني، وأسرار النحو، وشرح رسالة سيوييه، والأذكار بالمسائل الفقهية، وشرح أسماء الله الحسنى، وغيرها.

قال ابن النديم: "وله من الكتب كتاب القوافي" (ابن النديم، ١٩٩٧م، ١٠٧) وهو كتاب

في معرفة أنواع الشعر وقوافيه (الإشبيلي، ١٩٩٨ م، ٢٨١)، وفي الأعلام: "له كتاب: الجمل الكبرى والإيضاح في علل النحو والزاهر في اللغة، وشرح الألف واللام للمازني، وشرح خطبة أدب الكاتب، والمخترع في القوافي، والأمالى واللامات والمجالس طبع باسم (مجالس العلماء) والإبدال والمعاقبة والنظائر (الزركلي، ٢٠٠٢ م، ٣/٢٩٩).

وقال الصفدي: "وله كتاب الإيضاح في النحو وشرح خطبة أدب الكاتب والمخترع في القوافي والكافي في النحو وكتاب اللامات كبير، وشرح كتاب الألف واللام للمازني في النحو وله أعمال حسنة جامعة لفنون الأدب من النحو واللغة والأشعار والأخبار (الصفدي، ٢٠٠٠ م، ١٨/٦٧).

وقال ابن الأنباري: "ألف كتباً حسنة، منها كتاب الجمل المشهور في أيدي الناس وكتاب الإيضاح وكتاب شرح خطبة أدب الكتاب لابن قتيبة، إلى غير ذلك من الكتب، وكان من طبقة أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي". (ابن الأنباري، ١٩٨٥ م، ٢٢٧) إلا أن أبا علي كان يقول: "لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو، لاستحيا أن يتكلم فيه". (ابن عساكر، ١٩٩٥ م، ٣٤/٢٠٣) إشارة إلى أنه ما بلغ في النحو منزلتهم، فهو يغض من قدر الزجاجي، وأرى أن هذا لا يغض من قدر الزجاجي، ولا ينال من مكانته التي تبوأها بعلمه وثقافته ومؤلفاته المتعددة، ومعلوم عن أبي علي الفارسي مقولته المشهورة في طعنه على الرماني: "إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء" (الفيروزآبادي، ٢٠٠٠ م، ٢١١).

وكتابه (الجمل) من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به، ويقال أنه صنفه بمكة - حرسها الله تعالى - وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا الله تعالى أن يغفر له، وأن ينفع به قارئه.

سابعاً: شيوخه

تتلمذ الزجاجي على مجموعة من الأئمة الذين صار لهم الأثر في تكوينه الفكري ونضجه العلمي، قال ابن عساكر: "عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي النحوي تلميذ أبي إسحاق من أهل بغداد سكن طبرية وحدث بدمشق عن محمد بن العباس اليزيدي وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وإبراهيم بن السري الزجاج وأبي بكر بن دريد وأبي عبد الله نفطويه وأبي بكر بن الأنباري وأبي عبد الله الحسين بن محمد الرازي وأبي علي الحسن بن علي العنزي" (ابن عساكر، ١٩٩٥ م، ٣٤/٢٠٢). فهو تلميذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم ابن السري الزجاج، المعروف بابن السراج، فإنه كان أحد العلماء المذكورين، وأئمة النحو المشهورين، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد، وله مصنفات حسنة، وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول؛ فإنه جمع فيه أصول علم العربية، وأخذ مسائل سيويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة.

ثامناً: تلاميذه

تتلمذ على يد الزجاجي خلق كثير من أفاض العلماء، قال ابن عساكر: "روى عنه أحمد بن علي الحبال الحلبي وأبو الحسن السيتي وعبد الرحمن بن عمر بن نصر وأبو محمد بن أبي نصر وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة بن شرام النحوي وأبو الحسن بن علي السقلي" (ابن عساكر، ١٩٩٥ م، ٣٤/٢٠٢).

أخيراً: وفاته

ذكرت كتب التراجم أن وفاة الزجاجي كانت بطبرية في رمضان سنة أربعين وثلاث مئة (الذهبي، ١٩٨٥ م، ١٥/٤٧٦).

المبحث الثاني

كتاب مجالس العلماء وقيمه العلمية

أولاً: هذا الكتاب القيم (مجالس العلماء) من ذخائر التراث العربي، مؤلفه أبو القاسم الزجاجي، وحققه عبد السلام محمد هارون، وسماه السيوطي في الأشباه والنظائر (غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين) (السيوطي، ١٩٨٤م، ٣ / ٧٨). وقد ذكر عبد السلام هارون محقق الكتاب أن الكتاب نسب إلى أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي كاتب الوزير أبي الفضل، والأصح أنه للزجاجي؛ معتمداً في ذلك على نصوص من الأشباه والنظائر للسيوطي وخزانة الأدب للبغداد، و(مجالس العلماء) كتاب موسوعي يحتوي على معارف متنوعة ومسائل مختلفة؛ ففيه علوم القرآن والفقه والأنساب والشعر، ولكنه منصب بصفة خاصة على اللغة والنحو والصرف.

ثانياً: حجم الكتاب: طبع الكتاب في مجلد واحد وهو يقع مع مقدمة المحقق والفهارس في ثلاثمائة وأربع وأربعين صفحة من القطع المتوسط، وفيه مائة وستة وخمسون مجلساً، والمجلس الواحد يشغل في الكتاب صفحة إلى ست صفحات على الأكثر.

ثالثاً: تعريف المجلس: يعني به المؤلف اجتماع رجلين أو أكثر للحديث في مسألة علمية، وربما وجد حكم يفصل بينهما، وقد يكون الحديث بحضور أمير أو وزير أو طلاب علم. وهذه المجالس إما على سبيل المناظرات وإما على سبيل الاستفهام.

رابعاً: القيمة العلمية للكتاب: يشتمل الكتاب على ضروب شتى من علوم العربية، ويضم كثيراً من المسائل اللغوية والنحوية الدقيقة التي تناسب المتقدمين في علم العربية، وعدد من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، أو بين نحاة المدرسة الواحدة، وفي الكتاب تمرينات نحوية

وصرفية تدعو إلى التفكير وتفتيق الأذهان، ويظهر أسلوب علماء العربية في مناظراتهم وطرائقهم في التعليل والقياس، ولا يخلو الكتاب من الفوائد التاريخية؛ كأن يدل مجلس على تتلمذ رجل على رجل آخر، أو سماعه منه أو معاصرته له، كما أظهر الكتاب جانباً من عادات العرب وطبائعهم وحياتهم الاجتماعية بصفة عامة حتى زمن تأليف الكتاب.

خامساً: شخصية الزجاجي ومنهجه في كتابه: إن قارئ الكتاب لا يستطيع التعرف على شخصية مؤلفه؛ وذلك لأن الزجاجي يذكر المجلس متضمناً المسألة والذين اختلفوا فيها وحججهم وانتصار بعضهم على بعض دون أن يذكر رأيه في تلك المسألة، ولعله أراد الموضوعية في ذلك، وقد يعلّق نادراً؛ ومن ذلك تعليق موجز له بعد أبيات ليحيى اليزيدي في المجلس الثالث والثلاثين بعد المائة. كما لم يرتب الزجاجي مجالسه زمنياً، ولم يقسم كتابه إلى أبواب أو فصول؛ وهذا ما جعل موضوعات مجالسه مختلطة دون نظام معين، وربما دل هذا على أنه أملى مجالسه من ذاكرته أو أنه كتبها في أوقات متباعدة، وقد يكون هذا عن قصد للتنويع على القارئ وجرياً على عادة المؤلفين القدماء في تلك العصور في عدم تطبيق قواعد البحث العلمي الحديث التي تلزم الباحث بترتيب المعلومات، والله أعلم.

سادساً: علاقة المدرسة البغدادية بمجالس الزجاجي: الزجاجي من المدرسة البغدادية التي تأخذ تارة بآراء البصريين وتارة بآراء الكوفيين، وهي مدرسة جاءت متأخرة والنحو قد وضعت قواعده؛ فاهتمت بالتعليلات؛ وهذا قد يفسر حرص الزجاجي على جمع هذه المجالس المملوءة بالتعديلات اللغوية والنحوية والصرفية.

أخيراً: مصادر المجالس: من المصادر التي جمع منها الزجاجي ما جاء في مجالسه الرواية مشافهة عن شيوخه، فيسند بعض مجالسه لمن سمعها منهم؛ كأن يقول (حدثني أو أخبرنا) أو نحوهما، ومن الذين روى عنهم: محمد اليزيدي، وعلي بن سليمان الأخفش، وأبو بكر الخياط، وابن

شقيق، وأبو القاسم الصائغ، وأبو جعفر، ومحمد بن الحسن بن دريد، وأحمد بن عمرو الحنفي، وأحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وغيرهم.

الفصل الثاني

مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي

وفيه تسع مسائل على النحو التالي:

- ١ / مسألة مفرد (كمء) وجمعه.
 - ٢ / مسألة: التذكير والتأنيث في كلمة (الفردوس).
 - ٣ / مسألة ألف (علقى).
 - ٤ / مسألة رد الياء إلى الواو..
 - ٥ / مسألة أصل (طيف).
 - ٦ / مسألة كلمة (الشراء) ممدود أو مقصور.
 - ٧ / مسألة حذف التاء من (زوج).
 - ٨ / مسألة (أولق) ينصرف أو لا ينصرف.
 - ٩ / مسألة وزن (نكتل).
- مسألة مفرد (كمء) وجمعه:

جاء في مجلس المتتبع بن نهان مع أبي خيرة، حدثني أبو زيد قال: "قال متتبع: كمء وكمأة للجميع، فقال أبو خيرة: كمأة للواحد وكمء للجميع، مثل ثمرة وتمر، قال: فمر بهم رؤية فسألوه فقال كما قال متتبع، وقال الأصمعي كما قال أبو خيرة، وقال أبو زيد: قد يقال كمأة

وكم" (الزجاجي، ١٩٨٣ م، ٨).

هذا المجلس يدور حول كلمة (كم) أهو مفرد أم جمع، وضبط (الكَمَّة) بفتح الكاف وتسكين الميم وفتح الهمزة، وهي جمع (كَم) بفتح ثم سكون ثم همز، والكَمَّة نبت لا أوراق له ولا ساق يوجد في الأرض بغير زرع، يؤكل مطبوخاً ونيئاً، يقول الخليل: "نبت ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفُطْرُ واحداً: كمء والجميع: الكَمَّة وثلاثة أكمؤ" (الخليل، ١٤٠٨ هـ، ٥/٤٢٠). والعرب تسميه: جدري الأرض (الزبيدي، د: ت، ١/٤٠٨)، قال السمين الحلبي: "كَمء للجمع وكَمَّة للواحد" (السمين، ١٤٠٣ هـ، ٦/٤٢٧). وقال أبو حيان: "يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء لقول بعض العرب: كمء للواحد وكَمَّة للجمع" (أبو حيان، ١٤٢٠ هـ، ٥/٢٧٣). وقال أبو البقاء الكفوي: "كل اسم جنس جمعي فإن واحده بالتاء وجمعه بدونها ك(سدر) و(سدره) و(نبق) و(نبقة) إلا لفظين وهي (الكَمَّة) جمع (كمء) و(الفقعة) جمع (فقع) وهو ضرب من الكَمَّة، وهذا من النوادر" (الكفوي، د: ت، ٣٣٣). وقال ابن الأثير: "الكَمَّة معروفة وواحدها كَمء على غير قياس، وهي من النوادر فإن القياس العكس" (ابن الأثير، ١٩٧٩ م، ٤/٣٥٧). قال ابن القيم: "قال ابن الأعرابي: الكَمَّة: جمع، واحده كمء، وهذا خلاف قياس العربية، فإن ما بينه وبين واحده التاء فالواحد منه بالتاء، وإذا حذفت كان للجمع، وهل هو جمع، أو اسم جمع؟ على قولين مشهورين، قالوا: ولم يخرج عن هذا إلا حرفان: كَمَّة وكمء، وَخَبَّاءٌ وَخَبَّاءٌ، وقال غير ابن الأعرابي: بل هي على القياس: الكَمَّة للواحد، والكمء للكثير، وقال غيرهما: الكَمَّة تكون واحداً وجمعاً، واحتج أصحاب القول الأول بأنهم قد جمعوا كَمءاً على أكمؤ (ابن القيم، ١٩٩٤ م، ٤/٣٣٠)، قال الشاعر:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ مَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

(الأزدي، ١٩٩١ م، ٤٠٢)

وهذا يدل على أن كمء مفرد، وكمأة جمع " وقال ابن السكيت: "وتقول هذا كمء وهذا كمآن وهؤلاء أكمؤ ثلاثة فإذا كثرت فهي الكمأة" (ابن السكيت، ١٩٤٩ م، ١٤٨) قال الجواليقي: "الكمأة بالهمز والواحدة كمء" (الجواليقي، د: ت، ١٠٤).

قال سيوييه: "باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود، إلا أن لفظه من لفظ واحده... وزعم الخليل أن مثل ذلك الكمأة، وكذلك الجبأة، ولم يكسر عليه كمء" يريد أن الكمأة جمع للكمء لا على سبيل التكسير، وتصغيره كُمَيْئَة ولو كان مكسراً لوجب أن يقال كُمَيْئَات، (سيوييه، ١٩٨٨ م، ٣٢٧/١). قال السيوطي: "كل اسم جنس جمعي فإن واحده بالتاء وجمعه بدونها كسدر وسدرَة ونَبَق ونَبَقَة إلّا أحرفاً جاءت بالعكس نواذر وهي: الكمأة جمع كمء والفقعة جمع فقع، ضرب من الكمأة" (السيوطي، ١٩٩٨ م، ٢/ ١٠٤) وقال الخضري: "والأكْمؤ بهمز آخره جمع كمء كأفلس وفلس والكمء: واحد الكمأة، لأنها اسم جنس جمعي له على خلاف الغالب من كون التاء في المفرد، وهي نبت في البادية له ثمر يجنى" (الصبان، ١٩٩٧ م، ٣٧٢/١). وقال ابن منظور: "الْكَمَاءُ واحدها كَمءٌ على غير قياس وهو من النواذر فإن القياس العكس الكَمءُ نَبَاتٌ يُنْقَضُ الْأَرْضُ فيخرج كما يخرج الفُطْرُ والجمع أَكْمؤُ وَكَمَاءُ (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، ١/ ١٤٧).

وأرى جواز الأمرين كونها جمعاً ومفرداً كما قال منتجع، وما ذهب إليه أبو خيرة قوى؛ لأنه على القياس وإن كان نادراً، لكن لا ينفي القول الثالث القائل: للواحد كمء وللجنس كمأة؛ فاسم الجنس الجمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء غالباً نحو: تمر وتمرَة، ومن القليل أن تكون هذه التاء في اسم الجنس الجمعي لا في مفرده، نحو: كمأة للمفرد، وكمء للجمع، على غير القياس؛ لأن القياس الواحد منه بالتاء، وإذا حذفت كان للجمع، ف(كمأة) للواحد وجمعها (كَمء) وكذلك الجبأة جمعها الجبء، ولكن الصحيح هو العكس؛ وهذا من نواذر العربية.

مسألة التذكير والتأنيث في كلمة (الفردوس):

جاء في مجلس أبي حاتم مع التوزي عند الأخفش، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال: "كنت عند أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وعنده التوزي، فقال لي: يا أبا حاتم، ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث؟ قلت: قد عملت في ذلك شيئاً، قال: فما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر، قال: فإن الله يقول: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]. قال: قلت: ذهب إلى الجنة فأنث، فقال لي التوزي: يا غافل، أما تسمع الناس يقولون: نسألك الفردوس الأعلى، فقلت له: يا نائم، الأعلى ها هنا أفعل وليس بفعل" (الزجاجي، ١٩٨٣ م، ٤١).

هذا مجلس يدور حول الفردوس فالتوزي يرى أنه مؤنث ويستدل بالآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] بعودة الضمير المؤنث عليه، ويرد أبو حاتم

أن عودة الضمير حملاً على المعنى، قال الزمخشري: "أنث الفردوس على تأويل الجنة، وهو: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر" (الزمخشري، ١٤٠٧ هـ، ٣/١٧٧) وقال الألوسي: "مما يؤنث ويذكر، وذكر بعضهم أن التأنيث باعتبار أنه اسم للجنة أو لطبقته العليا" (الألوسي، ١٤١٥ هـ، ٩/٢١٥). وقال الهروي: "الفردوس مذكر وإنما أنث في قوله: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأنه عني به الجنة" (الهروي، ٢٠٠١ م، ١٣/١٠٤). وقال ابن سيده: "وإنما يذهب في تأنيث الفردوس إلى معنى الجنة، ومن ذلك (البحيم) يذكر ويؤنث وفي التنزيل ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]. وهي النار المستحكمة المتلظية، وجهنم مؤنثة وأسماؤها مؤنثة" (ابن سيده، ١٩٩٦ م، ١٤٦/٥).

وأرى أن ما ذهب إليه أبو حاتم أولى وأقوى؛ لأن ما ذهب إليه التوزي رده أبو حاتم بالحجة الدامغة؛ فالضمير في (فيها) يعود إلى الفردوس على أساس معناها؛ لأن معناها الجنة، فأنث بمعناها

لا بلفظها، فهي الجنة والجنة مؤنثة بلفظها، والحمل على المعنى كثير في اللسان العربي، من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وَكَانَ مَجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

(ابن أبي ربيعة، ١٩٥٢ م، ٩٢)

فأنث و(الشخوص) مذكر؛ نظراً إلى أن مسمى العدد نساء، وبين ذلك بقوله: كاعبان ومعصر، ومنه أيضاً قول الشاعر:

وَإِنَّ كِلَاباً هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ

(المبرد، ١٩٩٧ م، ٢/١٨٦)

فأنث (البطن) وهو مذكر؛ نظراً إلى معنى القبيلة، كما أن استشهاد التوزي بقول الناس: نسألك الفردوس الأعلى، فقد قال أبو البقاء الحنفي: "الأعلى: هي من صفات الذكران؛ لأنه (أفعل) كـ(الأكبر) و(الأصغر) وعليه: الفردوس الأعلى، والعليا والكبرى والصغرى من صفات الإناث" (أبو البقاء الحنفي، د: ت، ١٥١).

مسألة ألف (علقى)

جاء في مجلس أبي عبيدة مع أبي عثمان المازني، حدثني أبو عثمان المازني قال: قال لي أبو عبيدة: ما أكذب النحويين؟ فقلت له: لم قلت ذلك؟ فقال: يقولون إن هاء التأنيث لا تدخل على ألف التأنيث، وأن الألف التي في علقى ملحقة وليست للتأنيث، قال: فقلت: وما أنكرت من ذلك؟ قال: سمعت رؤبة ينشد:

فَحَطُّ فِي عِلْقَى وَفِي مُكُورٍ

(رؤية، ١٤١٦هـ، ٢٩)

فقلت له: فما واحد العلقى؟ قال لي: علقاة، قال أبو عثمان: فلم أفسره له؛ لأنه كان أغلظ من أن يفهم مثل هذا، وحق ذا أن يكون علقى جمعاً موضوعاً على غير علقاة، ولكن كالشاء من شاة، ومن زعم - وهو قول أبي العباس - أن شاء جمع شاة على لفظها كتمرة وتمر فإنما يقول: الهمزة بدل من الهاء لازم، وذلك أن شاة حذفت منها هاء، ولو جاء على تمرة وتمر لقلنا في الجميع شاة فاعلم، فوصلنا بالهاء؛ لأن حق شاة شاهة، وقد كانت الهمزة تبدل من الهاء للمجاورة فقط، وبدلها هاهنا لنفي اللبس، ألا ترى أنها مبدلة في قولك ماء، فاعلم، فإذا صغرت قلت مويه، وإذا جمعت قلت أمواه ومياه، فمن قال هذا قال: فقولهم للشاء شوي، مما تقاربت ألفاظه بمدخلتها، وليس من لفظ شاة وشاء على هذا القول، قال المبرد: فقلت للمازني: فما تقول أنت؟ قال: القول فيه أن علقى إذا لم ينصرف في النكرة فإنما هو اسم مأخوذ من لفظ علقى الذي ينصرف وليس به، والألف فيه ملحقة، فعلق على التأنيث، فهو مشتق من لفظه، ومعناه كمعناه، ألا ترى أنك تقول: سبطر في معنى السبط ولفظه، وليس هو إياه بعينه ولا مبنياً عليه، وإنما هو بمنزلة اسم وافق اسماً في معناه، وقاربه في لفظه، وكذلك لآل لصاحب اللؤلؤ، وهذا البناء لا يكون في ذوات الأربعة، وإنما هو اسم مشتق من اللؤلؤ وفي معناه، وليس بمبني عليه، فإذا كان الألف في علقى للتأنيث لم يجوز أن يكون واحداً علقاة، لأن تأنيثاً لا يدخل على تأنيث "(الزجاجي، ١٩٨٣ م، ٤٢).

في هذا المجلس يظهر أن أبا عبيدة يرى أن الألف في (علقى) للتأنيث، وأن علامة التأنيث لا تدخل على علامة التأنيث وإذا قلت: علقاة واحدة؛ اجتمعت فيها علامتا تأنيث؛ الألف والتاء؛ وهذا يخالف القاعدة النحوية في أنه لا تجتمع علامتا تأنيث في اسم واحد؛ ولذا قال: ما أكذب النحويين؟ قال السمين الحلبي: "وإنما استغلظه المازني؛ لأن الألف التي للإلحاق تدخل عليها تاء

التأنيث دالة على الوحدة فيقال: أرطى وأرطاة، وإنما الممتنع دخولها على ألف التأنيث نحو: دعوى وصرعى، وأما عدم تنوين (علقى) فلأنه سمى بها شيئاً بعينه، وألف الإلحاق المقصورة حال العلمية تجري مجرى تاء التأنيث فيمتنع الاسم الذي هي فيه، كما تمتنع فاطمة، وتنصرف قائمة" (السمين، ١٤٠٦هـ، ٩/٤٧٤) وقال ابن السراج: "ولا تكون الألف ملحقة أبداً إلا أن تكون آخرأ نحو(علقى) وتعرف أنها ملحقة إذا رأيتها منونة في كلام العرب لأنها إنما تكون للتأنيث في نحو: عطشى وبشرى، فإذا لم تكن للتأنيث كانت ملحقة وكانت منونة نحو(علقى ومعزى) لأنها منونة" (ابن السراج، ١٩٨٨م، ٣/٣٥٣) وقال سيويه: "ألا ترى أنهم إذا أنشوا قالوا: علقاة وأرطاة؛ لأنها ليستا ألفي تأنيث" (سيويه، ١٩٨٨م، ١/٢٢٠): وقال ابن سيده: "أمّا (فَعَلَى) فتكون ألفها للإلحاق وللتأنيث؛ فمما جاء ألفه للإلحاق ولم يُؤنث قولهم: الأرطى، فيمن قال أديم مأروط وانصرف في النكرة؛ لأن ألفها لغير التأنيث ولذلك قالوا أرطاة، فألحقوا التاء، فلو كانت للتأنيث لم تدخله التاء ألا ترى أنه لا يجتمع في اسم علامتين للتأنيث فكل ما جاز دخول التاء عليه من هذه الألفاظ علم أنها للإلحاق دون التأنيث، ومثل الأرطى فيما وصفت لك العلقى؛ لأنهم قد قالوا: علقاة، وزعم أن بعض العرب أنث العلقى وأن رؤبة لم ينونه في قوله: فَحَطَّ في عَلْقَى وفي مُكُورٍ" (ابن سيده، ١٩٩٦م، ٥/٦٠) وقال ابن جني: "وعلى هذا قولهم: علقاة، فالألف في(علقاة) ليست للتأنيث لمجيء هاء التأنيث بعدها وإنما هي للإلحاق ببناء(جعفر وسلهب) فإذا حذفوا الهاء من علقاة قالوا: علقي، غير منون ... وهي في علقاة للإلحاق؛ أفلا ترى أن من ألحق الهاء في علقاة اعتقد فيها أن الألف للإلحاق ولغير التأنيث فإذا نزع الهاء صار إلى لغة من اعتقد أن الألف للتأنيث فلم ينونها كما لم ينونها، ووافقهم بعد نزع الهاء من علقاة على ما يذهبون إليه من أن ألف علقي للتأنيث" (ابن جني، ١٩٨٥م، ٢/٥٥٧) وقال ابن عقيل: "ويمنع صرف الاسم أيضاً للعلمية وألف الإلحاق المقصورة ك(علقى وأرطى) فتقول فيهما علمين: هذا علقي ورأيت علقي ومررت بعلقي، فتمنعه من الصرف للعلمية وشبه ألف الإلحاق بألف التأنيث من جهة أن ما هي فيه والحالة هذه أعني حال

كونه علماً لا يقبل تاء التأنيث فلا تقول فيمن اسمه علقى علقاة كما لا تقول في حبل حبلارة" (ابن عقيل، ١٩٨٠م، ٣/ ٣٣٤).

أقول: فعلى: بفتح فسكون اسماً كـ(عَلَقَى) واحده علقاة: يصح أن تكون ألفه للتأنيث أو للإلحاق؛ فمن نَوْنٌ عدها للإلحاق، ومن لم ينون جعلها للتأنيث؛ وعلى ذلك أرى أن(علقى) يصح فيها التقديران في حالين مختلفين؛ التنوين، وترك التنوين؛ فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو الأجود، والمانع لها من الصرف العلمية وشبه ألف الإلحاق بألف التأنيث، ومن صرفها جعل ألفها ألف إلحاق بـ(جعفر) وفي بيت العجاج ترك صرف(علقى) لأنها ليست للإلحاق؛ لأنها لو كانت للإلحاق لَنَوْنُها وإنما هي للتأنيث، ويجوز صرفها على أن تكون للإلحاق، ويؤنث واحده بالتاء، فيقال: علقاة.

مسألة رد الياء إلى الواو:

جاء في مجلس أبي عثمان المازني مع الأخفش سعيد بن مسعدة، قال أبو العباس محمد بن يزيد: قال أبو عثمان المازني: قلت للأخفش: كيف تقول: لقضو الرجل؟ قال: كذا أقول؛ لأنني قلبت الياء واواً لضمة الضاد، قال: فقلت: كيف تسكنها في قول من قال: عَلم الأمر؟ قال: أقول لقَضُو الرجل فأسكن، قلت: فلم لا ترد الواو إلى الأصل إذا كانت الضمة في الضاد قد ذهبت؟ فقال: إني إنما أسكنها من فَعَل، فأنا أنوي الضمة فيها، قلت: وكيف تصغر سماء؟ قال: سُمية، قلت: أليس هي محذوفة من سُمية؛ قال: بلى، قلت: فلم لا تحذف الهاء لأنك تنوي الياء التي حذفتها؟ قال: ليس هذا مثل لقضو الرجل، قال: فسألته الفصل، فلم يكن عنده شيء، فسألت أبا عمر الجرمي فشغب علي، قال أبو عثمان: وأنا أقول: إن هذا لا يلزم؛ لأن التصغير عندي يستأنف على حد آخر، قال أبو العباس: ولم يصنع أبو عثمان شيئاً، قال: ونحن نقول: لقضُو الرجل ولقضَو الرجل، فنسكن ونحرك، ولم نقل قط في مثل سماء سُمية، نحو تصغير عطاء، لأننا نقول عطِيٌّ، فلما لم نقله صار

بمنزلة ما ليس في الكلام، فكأننا حقننا شيئاً على ثلاثة أحرف ليس فيها هاء التأنيث فجئنا في تحقيره بهاء التأنيث، كما نقول في هند هندية، وفي دلو: دُلَّةٌ".

في هذا المجلس يسأل المازني الأخفش لم لا ترد الواو إلى أصلها مع زوال الإعلال وهو ضم ما قبلها، فرد الأخفش أن الضمة منوية، أي: مقدرة، ثم استدل المازني بحذف الياء وعدم نيتها عند تصغير (السما) على (سُمية) أي: مثلما لم تنو الياء المحذوفة في (سُمية) كذلك لا تنوى الضمة المحذوفة، قال ابن مالك: "يجوز بناء الفعل للتعجب على (فَعَل) فإن كانت لامه ياءً صارت واواً؛ لتطرفها بعد ضمة نحو: قَضُو، بمعنى ما أقضاه" (ابن مالك، ٢٠٠٢م، ١٢٧) وقال العكبري: "وأما (فَعَل) مثل ظرف فتصير الياء فيه واواً نحو: قَضُو الرجل، ورضو الثوب؛ لثلاث تقع الياء بعد ضمة فلو سكنت العين لم يردد الأصل بل تقول: قَضُو الرجل ورضي زيد، بسكون الضاد؛ لأن السكون في الضاد عارض" (العكبري، ١٩٩٥م، ٣٩٤/٢) وقال السيوطي: "وتبدل الواو أيضاً بعد الضم من الياء الواقعة لام (فَعَل) ك(رَمُو) و(قَضُو)" (السيوطي، د:ت، ٣/٤٧٥). وقال الرضي الإستراباذي: "التخفيف وما حذف للتخفيف يكون في حكم الثابت الملفوظ به، ألا ترى أنهم يقولون: يَقْضُو الرجل بالسكون، ورضي بالسكون، ولا يردون الياء والواو إلى أصلها وذلك أن أصل (قَضُو) قضي بالياء؛ لأنه من لفظ (قضيت) ورضي من الواو من الرضوان لم يردوا ذلك الأصل حيث كان حذف هذه الحركات للتخفيف فهو في حكمه الملفوظ به" (الإستراباذي، ١٩٧٥م، ٢/١٢٦).

وأرى أن ما ذهب إليه الأخفش من حذف الضمة للتخفيف مع كونها منوية رأي سديد؛ فالياء المتحركة تبدل واواً إذا كانت لام (فَعَل) نحو: قَضُو الرجل، وهذا مختص بفعل التعجب، وأصله: قضى، من قضى يقضي، انضم ما قبلها إذا جيء به على وزن (فَعَل) وقعت الياء متطرفة لام فعل وقبلها ضمة، فوجب قلب الياء واواً؛ فلا تجيء اللام ياء إذا كانت العين مضمومة لما في ذلك من

الثقل، ويستوي في ذلك الاسم والفعل، إذ لم تب العرب على هذا البناء من الأساس، ولكنهم إذا احتاجوا إلى ذلك لغرض عارض أجروا تغييراً يجنبهم هذا الثقل، ففي الفعل إذا أرادوا مثلاً صيغة (فعل) للتعجب من يائي اللام قلبوها واواً نحو: قَضَوْا؛ وتجنب مجيء الياء بعد الضم ثابت في كتب التصريف. أما استدلال المازني بحذف الياء عند تصغير (سُمَيَّة) فقد قال سيبويه: "قلت: فما بال سماء، قالوا: سُمَيَّة؟ قال: من قبل أنها تحذف في التحقير، فيصير تحقيرها كتحقير ما كان على ثلاثة أحرف، فلما خَفَّتْ صارت بمنزلة دلٍ، كأنك حقرت شيئاً على ثلاثة أحرف" (سيبويه، ١٩٨٨م، ١/٢٨٩).

وأرى أن السبب في حذف الياء في تصغير سماء (سُمَيَّة) لأن هذه الياء لا يستعمل إلا حذفها فلذلك دخلت الهاء وصارت بمنزلة ما أصله الثلاثة؛ فهي رباعية بمدة قبل لامه المعتلة وتصغيره (سُمَيُّو) على (فُعِيل) فإذا أجريت عليه الإعلال قلت (سُمَيِّي) بثلاث ياءات؛ الأولى للتصغير والثانية بدل المدة والثالثة بدل لام الكلمة الهمزة المنقلبة عن الواو؛ لأن أصل (سماء) هو (سما) من سما يسمو؛ فوقع في الآخر بعد ياء التصغير ياءان، وهذا لا يقع في فصيح الكلام، فوجب الحذف؛ فحذفت الثالثة لتوالي الأمثال فبقي ثلاثياً (سُمَيِّي) فإذا زدت التاء، وزيادتها واجبة فيه، قلت: سمية، والتاء للفرق بينها وبين سماء المطر فإنه مذكر، لأن السماء تذكر وتؤنث، والتذكير قليل، وكأن التذكير جمع سماوة، مثل: حمامة وحمام، فالسماء إذا أردت المطر مؤنثة، يقال أصابتنا سماء مروية وأسمية كثيرة، وتصغيرها سمية، وإذا أردت بالسماء السقف ذكّرت، كما قال الله عز وجل: ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨].

مسألة أصل (طيف):

جاء في مجلس الأصمعي مع الكسائي، حدثنا أبو عثمان المازني قال: "حدثنا الأصمعي قال: قلت للكسائي: طيف من الشيطان، ما هو من الفعل؟ قال: فيعل، ولكنه حذف كما قيل: مِيت

وميت، وهين وهين، قال أبو عثمان: وكان عند الكسائي أنه طيف فحذف فقال طيف، قال أبو عثمان: وهذا اعتلال نحوي، ولكن الاشتقاق يرده، قال الأصمعي: فقلت له: أخطأت، فقال: ما يدريك؟ فقلت: يقال طاف يطيف طيفاً إذا ألم، مثل باع يبيع بيعاً، ثم أنشدته فقلت: أنشدني ابن أبي طرفة الهذلي:

مَا لِدُبْيَةٍ مُنْذُ الْيَوْمِ لَمْ أَرَهُ وَسَطَ النَّدَى وَلَمْ يُلْمَمْ وَلَمْ يَطِفْ

(الهذلي، ١٣٨٤هـ، ١٥٥)

قال أبو عثمان: ففي هذا القول هو فعل مثل: بيع " (الزجاجي، ١٩٨٣ م، ٥٥).

يرى الكسائي في هذا المجلس أصل (طيف) هو (فعل) بالتشديد مثل: ميت فخفف بحذف يائه فصار (ميت) فخطئه الأصمعي بأن وزن (طيف) هو (فعل) فهي مصدر مثل: باع يبيع بيعاً، قال ابن جرير: "يجوز أن يكون الطيف مخففاً عن (طيف) مثل (ميت) و(ميت)" (٢٠٠٠ م، ١٣/٣٣٤) وقال الفخر الرازي: "اختلفوا في الطيف فقل إنه مصدر، وقال أبو زيد يقال: طاف يطوف طوفاً وطوفاً إذا أقبل وأدبر، وأطاف يطيف إطفاء إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم، وطاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألم في المنام، قال ابن الأنباري: وجائز أن يكون طيف أصله طيف، إلا أنهم استثقلوا التشديد، فحذفوا إحدى الياءين وأبقوا ياء ساكنة، فعلى القول الأول هو مصدر، وعلى ما قاله ابن الأنباري هو من باب هين وهين وميت وميت، ويشهد لصحة قول ابن الأنباري قراءة سعيد بن جبير إذا مسهم طيف بالتشديد. هذا هو الأصل في الطيف" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ١٥/٤٣٧) قال السمين الحلبي: "فأما طيف ففيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مصدرٌ من طاف يطيف ك (باع يبيع) وأنشد أبو عبيدة:

أَنْى أَلَمْ بِكَ الْخِيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذُكْرُهُ وَشُعُوفُ

(أبو عبدة، ١٩٨٨ م، ١/ ٣٣٧)

والثاني: أنه مخفف من (فَيْعِل) والأصل (طَيْف) بتشديد الياء فحذف عين الكلمة كقولهم: في مَيْت (مَيْت) وفي لَيْن (لَيْن) وفي هَيْن (هَيْن) ثم طَيْف الذي هو الأصل يحتمل أن يكون من (طاف يطيف) أو من (طاف يطوف) والأصل: طَيَّوْف فقلب وأدغم وهذا قول أبي بكر بن الأنباري، والثالث: أن أصله (طَوْف) من طاف يطوف، فقلبت الواو ياءً". (السمين، ١٤٠٦ هـ، ٥/ ٥٤٥) قال السهيلي: "الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً، ولكن لا يقال للخيال هو طائف على وزن اسم الفاعل من طاف؛ لأنه لا حقيقة للخيال فيرجع الأمر إلى أنه هو الطيف وهو توهم وتخيل فإن كان شيء له حقيقة قلت فيه طائف وفي مصدره طيف كما في التنزيل: ﴿طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقد قرئ أيضاً ﴿طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لأن غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له" (السهيلي، ٢٠٠٠ م، ٧/ ٢٥٠).

وأرى أن الوجهين صحيحان؛ أن يكون مصدراً من طاف يطيف طيفاً، كقول الأصمعي ويجوز أن يكون (الطيف) على وزن (فعل) مخففاً عن (طَيْف) كما قال الكسائي وهو أرجح القولين؛ فيكون من طاف يطيف، مثل: لَيْن، من لان يلين، أو من طاف يطوف مثل (هَيْن) من هان يهون، وأصله: طيوف، فخفف كـ (ميت) وهو أن الواو تقلب في الثانية ياء وتدغم الأولى فيها؛ لأن طاف المشددة يحتمل أن يكون من (طاف يطيف) ويحتمل أن يكون من (طاف يطوف) وتؤيده قراءة سعيد بن جبير (طَيْفٌ) بتشديد الياء، (القرطبي، ١٩٦٤ م، ٧/ ٣٤٩).

مسألة كلمة (الشراء) ممدود أو مقصور:

جاء في مجلس أبي محمد مع أبي عبيد الله والكسائي، قال أبو محمد: سألتني أبو عبيد الله ونحن

بعيساباذ (الحموي، ١٩٩٥ م، ١/ ٤٦١) فقال: "ما تقول يا أبا محمد في الشراء، مقصور أو ممدود؟ قلت له: ممدود، قال: والكسائي حاضر، قال: فسأل الكسائي فقال: مقصور، قلت: أخطأ الكسائي، قال: وكيف ذاك؟ قلت له: كيف تجمع شري؟ قال: أشرية، قلت: فإن هذا دليل على أن شراء ممدود؛ لأن كل ممدود جماعة بالهاء، مثل قولك: كساء وأكسية، وبناء وأبنية، وسماء وأسمية، وفناء وأفنية، فقال الكسائي: ما سمعت أعرابياً إلا وهو يقصره، فقلت: برح الخفاء (الميداني، د: ت، ١/ ٩٥)، ادع بالأعراب فهم ها هنا حولك - وقد كانت أصابتهم جماعة - فدعا منهم بعدة فدخلوا عليه، قال أبو محمد: فكلمت الأعراب الفصحاء وناشدتهم الشعر حتى عرفنا مذاهبهم في العلم، ثم قلت للكسائي: ترضى أن يكونوا بيننا وبينك؟ قال: نعم. فقلت لأفصحهم: كيف تقول في الكلام: اكتب هذا في شرك، قال: سبحان الله، اكتب هذا في شركك، فمد، فخلج الكسائي " (الزجاج، ١٩٨٣ م، ١٢٩).

في هذا المجلس يرى أبو محمد اليزيدي أن (الشراء) ممدود معضداً ذلك بالقياس وهو جمع الشراء أشرية بالهاء؛ فإن كل ممدود جماعه بالهاء، وبالسماح من الأعراب، ويرى الكسائي أن (الشراء) مقصور لا غير، قال ابن قتيبة: "الشراء يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء" (ابن قتيبة، ١٤٠٢ هـ، ٦٣) وقال الجوهري: "الشراء يمد ويقصر يقال: شريت الشيء أشريه شراء إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً وهو من الأضداد قال ابن بري شاهد الشراء بالمد قولهم في المثل: لا تغتر بالخرة عام هدايتها ولا بالأمّة عام شرائها" (الجوهري، ١٩٨٧ م، ٦/ ٣٩١).

وأرى جواز الأمرين وإن كان المد أشهر وأقيس؛ وفقاً للقاعدة الصرفية والسماح كما بين ذلك أبو محمد اليزيدي في المجلس، فإن (فَعَال) المعتلة جمعه (أفَعلة) ك (شراء، أشرية) أما الكسائي يعتمد على السماع بدليل قوله: ما سمعت أعرابياً إلا وهو يقصره، لكن قصره على القصر دون المد ليس مستحسنًا؛ فقد رده الأعراب، فالمد لغة الحجاز والقصر لغة نجد؛ وما كان لغة قوم لا يجوز رده.

مسألة حذف التاء من (زوج):

جاء في مجلس أبي حاتم مع الأصمعي، أخبرنا أبو بكر قال: حدثني أبو حاتم، قلت للأصمعي: يقال للرجل زوجٌ، وللمرأة زوجٌ، ومن أهل الحجاز من يقول زوجةً وفلانة زوجة فلان، ورأيت الأصمعي كأنه أنكره، فأنشدته قول ذي الرمة، وقد كان قرئ عليه شعر ذي الرمة فلم ينكره:

أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمُضَرِّ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَأَيْكَ لَهَا بِالْبُضْرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا

(ذو الرمة، ١٩٨٢ م، ٨٥)

فقال: ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين، وقد قرأنا عليه قبل هذا لأفصح الناس فلم ينكره:

فَبَكَى بَنَاتِي شَجَوَهُنَّ وَزَوْجَتِي وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ، ثُمَّ تَصَدَّعُوا

وقال آخر:

مِنْ مَنْزِلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِي هَرِيرَ الْكَلْبَةِ

(السيوطي، ١٩٩٨ م، ٣٣٣/٢)

وإنما لجَّ الأصمعي لأنه كان مولعاً بأجود اللغات، ويرد ما ليس بالقوي، وذلك الوجه أجود الوجهين" (الزجاج، ١٩٨٣ م، ١٥٠).

في هذا المجلس ينكر الأصمعي أن يقال: زوجة، بالتاء، ويرد قول ذي الرمة وهو فصيح ويقول: إن ذا الرمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين، يريد أنه قد تحضر، وذلك كناية عن

طول مكثه في الحاضرة مما أثر في توهين لغته، قال ابن سيده: "الزوج: يذكر ويؤنث، يقال: فلان زوج فلانة وفلانة زوج فلان، هذا قول أهل الحجاز قال الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]". (ابن سيده، ١٩٩٦ م، ١٤٧/٥).

وأرى أن الوجهين صحيحان؛ فما ذهب إليه الأصمعي أفصح وهي لغة أهل الحجاز وأزد شنوءة، فالزوج عندهم يقع على الذكر والأنثى جميعاً، وعلى واحد منهما، الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل بغير التاء، وذلك أفصح عند العلماء وأصح وبه جاء التنزيل: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: ١١٧]. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠]. وأهل نجد يقولون: (زوجة) بالتاء للأنثى وهي صحيحة ولا لحن فيها، وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال في صفة: "يا فلان هذه زوجتي فلانة". (مسلم، ١٩٥٥ م، ٢١٧٤) وقال الفرزدق:

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي
كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَيْلُهُ

(الفرزدق، ١٣٥٤ هـ، ٨٧)

مسألة (أولق) ينصرف أو لا ينصرف:

جاء في مجلس الكسائي مع يونس وابن أبي عيينة، حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال: حدثنا أبي، وحدثنا محمد بن يزيد النحوي عن التوجي قال: "لما دخل الكسائي البصرة أول دخلة جلس في حلقة يونس ينتظر خروجه، فسأله ابن أبي عيينة عن (أولق) ينصرف أو لا ينصرف، فقال: أولق أفعل لا ينصرف، قال ابن أبي عيينة: خطأ والله! وخرج يونس فسئل عن أولق، فقال: هو فوعل وليس بأفعل؛ لأن الهمزة فاء الفعل؛ لأنك تقول: رجل مألوق فتثبت الهمزة، وكذلك أرنب ينصرف لأنه فعلل؛ لأنك تقول: أرض مؤرنب، فتثبت الهمزة، والمألوق: المجنون". (الزجاجي، ١٩٨٣ م، ١٩٤).

قال سيبويه: "أولق، فإن أولقاً إنما الزيادة فيه الواو، يدلک على ذلك قد ألق الرجل فهو مألوق، ولو لم يتبين أمر أولق لكان عندنا أفعل؛ لأن أفعل من هذا الضرب أكثر من فوعل": (سيبويه، ١٩٨٨ م، ٣/ ١٩٥) ثم قال: "وأما أولق فالألف من نفس الحرف، يدلک على ذلك قولهم: ألق الرجل وإنما أولق فوعل، ولولا هذا الثبت لحمل على الأكثر" (سيبويه، ١٩٨٨ م، ٣/ ٣٠٨) وقال ابن مالک: "إن سقط حرف اللين في بعض التصارييف فهو زائد، والهمزة أو الميم أصل كواو (أولق) - وهو الجنون - فإنها زائدة لسقوطها في قولهم: ألق الرجل ألقاً فهو مألوق، أي: جُنْ، هذا هو الأشهر، وبعض العرب يقول: وُلِقَ وَلَقاً فهو مولوق، بمعنى جُنْ أيضاً... فعلى هذا يكون وزن (أولق) أَفْعَل، وعلى الأول يكون وزنه فوعلا" (ابن مالک، ٢٠٠٢ م، ١٢٩): "وقال المبرد: "فأما أولق فإن فيه حرفان من حروف الزيادة: الهمزة والواو، فعند ذلك تحتاج إلى اشتقاق؛ ليعلم أيهما الزائدة، تقول فيه: ألق الرجل فهو مألوق، فقد وضح لك أن الهمزة أصل والواو زائدة؛ لأن الهمزة في موضع الفاء من الفعل؛ فقد وضح لك أنها فوعل". (المبرد، ١٣٨٦ هـ، ٣/ ٣١٦) وقال أبو البقاء العكبري: "وأما أولق ففيه قولان: أحدهما: أنه أفعل من الولق وهو السرعة ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] على قراءة من قرأ بكسر اللام وتخفيف القاف وضمها، ومنه قيل للأحق: أولق لسرعته فعلى هذا لو سميت به لم تصرفه، والقول الثاني: هو فوعل والواو زائدة والدليل عليه قوله للمجنون مألوق ومؤلق على مفعول ومفعول، ويجوز أن تكون من الولق أيضاً وتكون الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت واو أوصل همزة" (العكبري، ١٩٩٥ م، ٢/ ٢٣٤).

وأرى جواز الوجهين في وزن أولق: (فوعل، أفعل) الأول: فوعل وهو الأرجح والواو زائدة بدليل سقوطها في وزن: أَلِقَ - بالبناء للمفعول - يقال ألق فهو مألوق، والهمزة أصلية، فهو مصروف في المعرفة والنكرة، الثاني: أفعل من وَلَقَ - بالبناء للفاعل - يلق فهو مولوق، إذا أسرع، والواو أصلية وحذفت لوقوعها بين ياء وكسرة، أما الهمزة فهي زائدة هنا.

مسألة وزن (نكتل):

جاء في مجلس أبي عثمان المازني مع يعقوب بن السكيت، أخبرنا أبو إسحاق الزجاج قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد، عن أبي عثمان قال: "جمعني وابن السكيت بعض المجالس، فقال لي بعض من حضر: سله عن مسألة، وكان بيني وبين ابن السكيت ود، فكرهت أن أتهجمه بالسؤال؛ لعلمي بضعفه في النحو، فلما ألح علي قلت له: ما تقول في قول الله جل وعز: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَكْتَلُ﴾ [يوسف: ٦٣] ما وزن نكتل من الفعل ولم جزمه؟ فقال: وزنه نفعل، وجزمه لأنه جواب الأمر، قلت له: فما ماضيه؟ ففكر وتشور، فاستحيت له، فلما خرجنا قال لي: ويحك ما حفظت الود، خجلتني بين الجماعة، فقلت: والله ما أعرف في القرآن أسهل منها، قال: وزن نكتل نفعل من اكنال يكتال، وأصله نكتيل، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام فصار نكتل" (الزجاجي، ١٩٨٣ م، ٢٣٠).

أقول إن القولين صحيحان؛ فما ذهب إليه أبو عثمان المازني هو أن وزن نكتل (نفعل) وأصله (نكتيل) بفتح التاء وكسر الياء التي هي عين الكلمة بوزن نفعل، من الكيل، مثل: نكتل ونغتم، فقلبت الياء ألفاً لتحرك ما قبلها، ثم حذفت الألف؛ لالتقاء الساكنين في حال الجزم في جواب الأمر لئلا يلتقي ساكنان فصار: نكتل، وما قاله يعقوب بن السكيت صحيح أيضاً على اعتبار اللفظ بوزن الكلمة على ما هي عليه الآن، وقد قال السمين الحلبي مؤكداً قول ابن السكيت، وهذا ليس بخطأ؛ لأن الصرف نص على أنه إذا كان في الكلمة حذف أو قلب حذفت في الزنة وقلبت فنقول: وزن بُعْتُ وَقُمْتُ: فِعْتُ وفُعْتُ، ووزنُ عِدْ، عِلْ، ووزنُ نَاءٍ: فَلَعْ، وإن شئت أتيت بالأصل، فعلى هذا لا خطأ في قوله: وزن نَكْتَلُ نَفْتَلُ؛ لأنه اعتبر اللفظ لا الأصل "ف(نكتل) وزنه الآن نفعل، وبحسب الأصل نفعل (ابن السكيت، ١٤٠٦ هـ، ٥١٨/٦)".

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أنعم علي بإتمام هذه الدراسة وهذه نتائجه:

- كتاب (مجالس العلماء) موسوعي يحتوي على معارف متنوعة ومسائل مختلفة؛ ففيه علوم القرآن والفقه والأنساب والشعر، ولكنه منصب بصفة خاصة على اللغة والنحو والصرف.
 - لم تظهر الدراسة رأي الزجاجي النحوي؛ لأنه كان يذكر المجلس متضمناً المسألة والذين اختلفوا فيها وحججهم وانتصار بعضهم على بعض دون أن يذكر رأيه في تلك المسألة، ولعله أراد الموضوعية في ذلك.
 - هذه المجالس عبارة عن مناظرات ومحاورات وجدال لغوي تم بين العلماء.
 - أظهرت الدراسة أسلوب علماء العربية الأوائل في مناظراتهم وطرائقهم في التعليل والقياس.
 - كانت تلك المجالس بمثابة مدارس العلم؛ فتعرض المسائل العلمية وتناقش وتمحص الآراء فيها.
 - لكل قبيلة عربية لهجة خاصة بها تجرى بها ألسنتها يعسر تلقيقها غيرها.
 - ما كان لغة لقوم من العرب لا يجوز رده ولا تأويله.
- وأوصت الدراسة باستخراج الجوانب النحوية والأدبية والبلاغية وغيرها؛ فما زال بكرةً يحتاج إلى دراسة، وفيه ثمرات لم تقطف بعد.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الإستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: وضبط وشرح الأساتذة: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ت (٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م.
- الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، قدّم له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، د: ت.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي- (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ذو الرُّمّة، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (ت ١١٧ هـ)، الديوان، شرح: أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١ هـ) صاحب الأصمعي، رواية: أبي العباس ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة، ط ١، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
- رؤية بن العجاج، الديوان، شرح الأصمعي، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦ هـ.
- الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د: ت.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت ٣٣٧هـ):
- اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
- مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
- الزنجشيري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- ابن السراج: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨ م.
- ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، ط ٤، ١٩٤٩ م.
- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م.
- السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
- الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د: ت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي، حاشية الصّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، مجاز القرآن، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار ظليبات، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- عمر بن أبي ربيعة، ديوان، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السعادة، مصر، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
- الفرزدق، الديوان، شرح وتصحيح عبد الله بن إسماعيل الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ١، ١٣٥٤هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- الكفوي، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د: ت.
- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني، (ت ٦٧٢ هـ) إيجاز التعريف في علم التصريف، دراسة وتحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.
- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٥ هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٥ هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٦ هـ.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د: ت.

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ)،
الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض
مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو
٣٩٥هـ)، جهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار
الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨ م.

المعلقات السبع جدليتا الرواية والتعليق

د. أبو هداية محمد إسماعيل محمد. أستاذ الأدب والنقد المشارك، جامعة كردفان، السودان
أ. د. يوسف محمد محمد توتو محمد علي. أستاذ الأدب والنقد، كلية الآداب، جامعة السلام، السودان

المستخلص

تناولت هذه الدراسة جدليتي الرواية والتعليق في المعلقات السبع. وهدفت إلى التعرف على هذا الجانب في المعلقات السبع. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: لم يرد دليل قطعي في الشعر الجاهلي أو مصادر اللغة والأدب أن العرب عامة قد اختارت قصائد بعينها من أجود وأطول أشعارها وسمتها المعلقات، ثم كتبتها وعلقتها على أستار الكعبة- إنَّ التباين الذي شهدته المعلقات من زيادة أو نقصان أو حذف أو تبديل في أبياتها يدل على أنها قد وصلت إلى مرحلة التدوين عبر الرواية الشفوية وليس بالتدوين ومن بعده التعليق- احتواء بعض المعلقات لأحداث عامّة وقعت في العصر الجاهلي- إنَّ حياة الجاهليين القائمة على البساطة في جميع شؤونهم، إلى جانب شيوع الأمية في مجتمعاتهم يقلل من فرضية كتابة المعلقات وتعليقها- إنَّ الشعر الجاهلي الذي هو علم العرب ومصدر معارفهم وديوانهم لم يشر في قصائده أو مقطعاته أو أبياته إلى تسمية تلك المعلقات أو نعتها أو خبر تعليقها مثلما ورد في بعض قصائدهم من الإشارات لتلك التقاليد كالوقوف على الأطلال، أو استخدام الصور والمعاني الشعرية، بل أشار إلى الرواية ودورها في نقل الشعر وحفظه- إنَّ خبر التدوين والتعليق الذي ظلّ ملازماً لتلك القصائد لم تتنوّع مصادر روايته ومصادره، بل رواية واحدة متناقلة متكررة.

الكلمات المفتاحية: جدلية، الرواية، التعليق، الاختيار، التدوين

Abstract

This study aimed to explore the dialectics of narration and hanging in the Seven Mu'allaqāt. The study adopted the inductive-deductive methodology. The study reached several conclusions, including: There is no definitive evidence in the pre-Islamic poetry or in the sources of Arabic language and literature suggested that the Arabs, in general, have selected certain of the finest and longest poems thus naming them as al-Mu'allaqāt then, wrote and hung them on the walls of the Kaaba. The variations observed in the Mu'allaqāt, such as additions, omissions, deletions, or changes in their verses, indicate that they reached the stage of recording through oral transmission, rather than being written down and then hung. The containment of general events that occurred during the pre-Islamic era in certain Mu'allaqāt suggests that the simple life of the pre-Islamic Arabs along with the widespread illiteracy in their society, reduces the hypothesis of the Mu'allaqāt being written down and hung. Furthermore, pre-Islamic poetry, which served as the Arabs' knowledge and a source of their education, in its poems, lyric stanza, or verses, never named or described these Mu'allaqāt or mentioned their hanging, as the case in some of its verses allude to such traditions like stopping at ruins or employing specific poetic imagery and themes. Rather it referred to the oral tradition's role in transmitting and preserving poetry. The narrative surrounding the recording and hanging of these poems has no variations in its transmission sources. Rather, it is a single, frequently repeated, and transmitted narrative.

Keywords: Dialectic, Difference, Narration, Hanging, Writing

المقدمة

من المعروف أنّ المعلقاُ تعدّ من أجود الشعر العربي على الإطلاق وهي القصائد الأنموذج التي احتذى بها شعراء الجاهلية.

هدف الدراسة: الوقوف على من الذي اختار المعلقاُ؟ أهو جمهور العرب أم من عمل الرواة؟ وهل كُتبت وعُلِّقت على أستار الكعبة؟، الإجابة عن هذا التساؤل يحقق لنا هدف الدراسة.

أهميّة الدراسة: تكمن أهميّة الدراسة في كونها تناولت قضية قديمة وشائكة اتصلت بالمعلقاُ منذ نشأتها، وهي قضية اختيارها وتعليقها.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثّل أسباب اختيار موضوع الدراسة في الآتي:

١/ كون المعلقاُ مثلت الصورة الشعرية الكاملة من حيث النضج الفني الذي انتهت إليه تجارب الجاهليين، وعلى الرغم من ذلك صارت حولها جدلية التسمية والاختيار، فالدراسة تبحث في هذا الجانب.

٢/ إنّ المعلقاُ قامت حول جدلية اختيارها من عدمه عدة دراسات قديمة وحديثة، وكل تلك الدراسات لم تقطع بصحة مزاعمها، فظل الموضوع في دائرة البحث والاستقصاء ما دفعنا لاختياره.

٣/ كونها من أهم مصادر دراسة الشعر الجاهلي؛ لأنّها أوّل المجموعات الشعرية التي اتفق القدماء والمحدثون على جودتها.

منهج الدراسة: أتبع في الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي بوصفه منهجاً رئيساً، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة: هنالك دراسات كثيرة تناولت المعلقات قديماً وحديثاً، حيث أنها ناقشت كل القضايا المتعلقة بالمعلقات، ومست موضوع الدراسة من قريب أو بعيد، ومن تلك الدراسات: تأريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان، وشرح المعلقات العشر لمفيد قميحة، ومعلقات العرب، لبدوي طبانة، وعدد من الأوراق المنشورة والرسائل العلمية.

مشكلة الدراسة: عاجلت الدراسة قضيتي الرواية والتعليق التي اتصلت بالمعلقات السبع: من هو الذي اختار المعلقات؟ هل اختارها جمهور العرب في أسواقهم العامة ومحافلهم الجامعة؟، أم هي من عمل الرواة المحترفين في العصور اللاحقة؟ وهل تمت كتابتها ثم علقت على أستار الكعبة؟

هيكل الدراسة: اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي على نقاط تناولت قضيتي رواية المعلقات السبع وتعليقها، من تلك النقاط: التعريف بالمعلقات، والاختلاف في عدد المعلقات، وأصحابها، وتسميتها. وسبقت ذلك مقدّمة، وتلته خاتمة حوت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

التمهيد

التعريف بالمعلقات

إنّ مراحل تطور الشعر الجاهلي في تاريخه الطويل منذ نشأته الأولى في بادية الجزيرة العربية وحتى وصوله إلى الرواة، ومن ثم إلى عصر التدوين ظلّت غامضة؛ لأننا لا نملك أشعاراً تمثل البداية الأولية لذلك الشعر حتّى ظهرت المعلقات بهذه الصورة الفنية الناضجة المكتملة في أفكارها

ومعانيها وأساليبها الفنية وأوزانها وموضوعاتها.

ظهرت المعلقاُ السابع في منتصف القرن السادس الميلادي إلى بداية القرن السابع بهذه الصورة الفنية المكتملة، والنموذج الشعري الفني المتفرد الناضج مما جعل العرب تستحسنها من غير تحليل نقدي، أو تحليل أدبي مما جعلها ميدانا فسيحا للدراسات منذ ظهورها إلى يومنا، إذ رافقتها قضايا مهمة اتصلت بالرواية والتدوين والتعليق؛ مما أثار جدلية نقدية كبيرة. ومن ثمَّ يرصد هذا البحث تلك الجدلية المتعلقة بالرواية والتعليق.

قال الجبوري: "المعلقاُ قصائد طوال جيد، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي قوة ومتانة وجمال أسلوب، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي، ولذلك غطّت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي، وصار لقائلها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من الشعراء، واتخذها الأدباء والشعراء - بعد عصرها - قدوة يحاكونها حين ينظمون، متأثرين بأسلوبها ولغتها وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهليين في معلقاتهم" (الجبوري، ٢٠٠١م، ١٧٣)، وبذلك تُعد المعلقاُ من عيون الشعر العربي منذ نشأته إلى يومنا.

أثارت المعلقاُ جدلاً واسعاً في محيطها العربي وغيره منذ ظهورها في العصر الجاهلي وحتى يومنا، فذهبت مصادر البحث في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من يرى أنها قد اختارها جمهور العرب بناءً على سمات ذوقية خاصة مبنية على المفاضلة التي اعتمد عليها نقاد الجاهلية فكُتبت وعُلقت على أستار الكعبة تعظيماً لها، ومنهم من يرى غير ذلك.

وظلَّ الجدل حولها واسعاً بين أوساط العلماء والباحثين والمهتمين بالشعر الجاهلي والمستشرقين، وتباينت آراؤهم بشأن عددها وقصائدها وشعرائها وتدوينها وتعليقها، ولكنهم اتفقوا

جميعاً على كونها من خيرة الشعر الجاهلي بل العربي جملة. وأوّل ما أثارته من جدل عددها ونعوتها وتدوينها وتعليقها، وهذا ما قصدنا إلى دراسته وبحثه.

الاختلاف في عددها:

أجمع القدماء على أنّ المعلقاُ سبعُ قصائد عند كل من ابن عبد ربه (عبد ربه، ٢٠٠٣ م، ٢٧٠)، وابن رشيق القيرواني (القيرواني، ١٩٥٥ م، ٩٦)، والنّحاس (النّحاس، ١٩٧٣ م، ٤٥)، وابن الأنباري (الأنباري، ١٩٦٣ م، ٧)، والزوزني (الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٠)، ولم يخالفهم في ذلك إلا القرشي الذي تبين أنّ خلافه في الشعراء وليس في العدد (القرشي، ١٩٦٣ م، ٩٥). وهي عند التبريزي عشر قصائد (التبريزي، د.ت، ٤٥).

وبناءً على هذا الاضطراب في الرواية الذي أورده القرشي والتبريزي نرى أنّ المشهور - والذي نرجحه - من المعلقاُ ما أجمع عليه القدماء بأنها سبعُ لشعراء هم: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وليبد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة، وعنترة، وذلك ما سنقف عنده في دراستنا.

ترتيبها: ونلاحظ أنّ شراح المعلقاُ لم يتعرضوا لتاريخ المعلقاُ وترتيبها حسب الزمن الذي وجدت فيه، فيما عدا الشيباني الذي ذكر ترتيبها تاريخياً حسب الزمن (الشيباني، ٢٠٠١ م، ٩):

أولاً: قصيدة امرئ القيس، فهو ابن أخت المهلهل كما تقول الروايات، وهو في زمن المنذر بن والد النعمان، فهو أقدم الجميع.

ثانياً: قصيدة طرفة بن العبد، وهو وجد في زمن عمرو بن هند الذي قتله، فقصيدته تأتي بعد قصيدة امرئ القيس، وقبل قصيدة عمرو بن كلثوم التي قيل جزء منها بعد مقتل عمرو بن هند.

ثالثاً: قصيدة الحارث بن حلزة السياسي المحنك.

رابعاً: قصيدة عمرو بن كلثوم التي تأتي بعد قصيدة الحارث التي قيلت قبل مقتل عمرو بن هند، وقصيدة عمرو بن كلثوم قيلت بعد مقتل عمرو بن هند.

خامساً: قصيدة عنتره التي قيلت في خضم حوادث حرب داحس والغبراء.

سادساً: قصيدة زهير التي قيلت بعد نهاية حرب داحس والغبراء مباشرة.

سابعاً: قصيدة لبید وهو آخر العنقود فقد أدرك الإسلام، وأسلم، وعاش طويلاً في العهد الإسلامي.

وهذا الترتيب التاريخي سوف لا نعتمده أساساً لدراستنا في الفصول التالية؛ لأنه يخالف ما تعارف عليه شراح المعلقات، ولا يتفق مع ما جاءت عليه الشروح المشهورة.

تسميتها: سميت المعلقات بأسماء متعددة لكل اسم من أسمائها دلالة عليها أو على صفة من صفاتها التي تفيد في مجملها الجودة والنفاسة والطول والعدد والشهرة وكلها صفات وألقاب تدل على المفاضلة مقارنة بغيرها من قصائد الشعر الجاهلي، غير أنها اشتهرت باسم المعلقات، ومن أسمائها:

أ. المعلقات: مراد التسمية بأنها كُتِبَتْ وعُلِّقَتْ على أستار الكعبة، وأقدم من أشار إلى التعليق ابن الكلبي المتوفى (٢٠٤هـ) والذي أورد حديثه ابن الأنباري فقال: "أول شعر عُلق في الجاهلية شعر امرئ القيس، عُلق على ركنٍ من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نُظِرَ إليه ثم أُحْدِر، فعُلِّقَت الشعراء بعده، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية، وعدوا من عُلق شعره سبعة نفر" (ابن الأنباري، ١٩٦٣م، ١١)، وتبعه على ذلك صاحب العقد الفريد فقال: "لقد بلغ من كلف العرب به، أي الشعر، وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها

من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة" (ابن عبد ربه، ٢٠٠٣م، ٢٦٩). ونصّ على التعليق كذلك ابن رشيق (القيرواني، ١٩٥٥م، ٨٣).
 ب. **المذهبات:** ومردّ التسمية بأنها كُتبت بماء الذهب (ابن قتيبة، ١٩٧٧م، ٢٥٢). وقال بذلك أيضاً ابن عبد ربه الذي أورد قائلاً: "حتى لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال مذهب امرئ القيس، ومذهب زهير، والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقاُ" (ابن عبد ربه، ٢٠٠٣م، ٢٦٩)، وتبعه على ذلك ابن رشيق (القيرواني، ١٩٥٥م، ٩٦)، وهذه التسمية تدل على قيمتها ومكانتها في الشعر العربي ومنزلتها من نفوس العرب فاختراروا لها مداداً قيماً كتبوها به.

ج. **السموط:** ذكر ذلك القرشي بعد أن أحصى أصحاب المعلقاُ فقال: "هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط، فمن قال إنّ السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة" (القرشي، ١٩٦٣م، ٨٠). والسموط تعني القلادة، وهي سمة مميزة تمثل زينة الشعر الجاهلي.

د. **السبع الطوال:** روي عن أبي جعفر النحاس أن حماداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال (النحاس، ١٩٧٣م، ٤٢٢)، وتبعه على ذلك أبو زيد القرشي (القرشي، ١٩٦٣م، ٨٠)، وغير ذلك من الأسماء التي وُسمت بها المعلقاُ.

وهكذا تعددت أسماء المعلقاُ وصفاتها، وصار لكل اسم من أسمائها دلالة عليها أو على صفةٍ من صفاتها التي تعني الجودة والطول والنفاسة. وتلك التسميات تدل على أن المعلقاُ قد نزلت منزلاً رفيعاً في نفوس العرب؛ لأنها اشتملت على خصائص لم تتوفر في غيرها، وكذلك لم يشك في جاهليتها ونسبتها إلى أصحابها غير قليل من الباحثين والدارسين والمستشرقين.

وقد بلغ من اهتمام القدماء والمحدثين أن عقدوا حولها شروحا ودراسات في مختلف كتب الأدب القديم ونقده، أو شروحا مستقلة ما بين مخطوط ومطبوع.

جدليتا الرواية والتعليق

إن معرفة قضية شائكة كرواية المعلقات السبع، وتدوينها من عدمه، ومن ثم تعليقها قد تبدو صعبة للغاية، وذلك لعدم وجود بيئة من شعراء الجاهلية ذكروا فيها اسم المعلقات وقضية التعليق، وكذلك لتباين الروايات فيها خاصة عند الرواة، فهي ابتداءً قصائد جاهلية طويلة متفق عليها مكتملة الأركان والعناصر الفنية، وينتمي شعراؤها إلى قبائل عربية كبرى مشهورة مثل قبيلة كِنْدَةَ التي ينتمي إليها امرؤ القيس بن حُجر، ومزينة التي ينتمي إليها الشاعر زهير بن أبي سُلمى، وتغلب قبيلة عمرو بن كلثوم، وعبس التي ينتمي إليها عنتر بن شداد، وبكر قبيلة الشاعر طرفة بن العبد البكري، هذا من جانب توثيقها.

أما الناحية الفنية فقد تميزت المعلقات بعنصر فني جعلها تنال إعجاب من وقف عندها ابتداءً بجمهور العرب، ثم الرواة، فالعلماء من قدماء ومحدثين، ومن ذلك طولها اللافت مقارنة بالقصائد الجاهلية الأخرى التي قيلت في عصرها، وتنوع موضوعاتها واستيفائها متطلبات النص الفني الذي يغطي نمط الحياة الجاهلية من عادات وتقاليد عربية راسخة، وتسجيل الحوادث التاريخية والاجتماعية التي ارتبطت بها تلك المعلقات، فضلاً عن شمولها الجغرافي لبيئة الجزيرة العربية من خلال حركة شعرائها أو حركة قبائلهم في الجزيرة العربية بمناطقها المعروفة حتى غطت المعجم اللغوي لتلك البيئة، هذا بالإضافة إلى احتوائها على القواعد الفنية للقصيدة الجاهلية، وبذلك ظلت فضاءً مفتوحاً وأصبحت المثل الشعري الأعلى عند عرب الجاهلية.

لقد اختلف مؤرخو الأدب في عدد القصائد المعلقة، فبعد أن اتَّفَقُوا على سبع منها أو السبع

الطوال، وأصحابها عندئذ هم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سُلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وعنترة بن شداد (ابن الأنباري، ١٩٦٣ م، ٧١٧). واختلفوا في البقية، فمنهم من يعدّ بينها قصيدة النابغة الذبياني، والأعشى، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص، فتكون المعلقات عندئذ عشرًا (زيدان، د.ت، ١١٨).

وذكر أنّ دالية النابغة، ولامية الأعشى، وقصيدة عبيد بن الأبرص أضيفت لتكون تمام العشر (التبريزي، د.ت، ١٧). وهي عند أبي عمرو الشيباني تسع قصائد شعراؤها هم: الأعشى، وطرفة، والنابغة، وعبيد، وامرؤ القيس، وزهير، وعنترة، ولبيد، وعمرو بن كلثوم (الشيباني، ٢٠٠١ م، ٧).

وعند الزوزني سبع قصائد هي: لامرؤ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وعنترة، والحارث بن حلزة (الزوزني، ١٩٨٣ م، ٢٤٧).

أمّا ابن خلدون فذكر منهم: امرأ القيس، والنابغة، وزهيراً، وعنترة، وطرفة، وعلقمة بن عبدة، والأعشى (ابن خلدون، د.ت، ٥٨١). ونلاحظ أنّه أضاف علقمة إلى أصحاب المعلقات، وهذا ما لم نجده عند غيره.

وهم ثمانية شعراء عند صاحب الجمهرة: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو، وطرفة، وعنترة (القرشي، ١٣٠٨ م، ٤٥)، وعلى هذا يكون قد حذف من المشهورين واحداً وهو الحارث بن حلزة، وأضاف النابغة والأعشى (طبانة، ١٩٨٤ م، ٥٥).

أصحابها السبع المتفق عليهم:

اختلف الرواة - كما أسلفنا - في أصحاب المعلقات، ولكنهم اتفقوا على سبعة من الشعراء

وقصائدهم وهم: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سُلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد. وعند أكثر الرواة أنَّ سابع هؤلاء هو: الحارث بن حلزة. وأنَّ ابن خلدون انفرد بذكر: علقمة بن عبدة. وأنَّ أبا زيد القرشي أضاف النابغة الذبياني، وجعل قصيدته هي:

عَوَّجُوا فحَيَّوا النُّعْمَ دمنة الدار ماذا تحيُّون من نُؤى وأحجارٍ

وأضاف الأعشى، وجعل قصيدته هي:

ما بُكاءُ الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردّ سؤالي

وأنَّ أبا جعفر النحوي جعل قصيدة النابغة هي:

يا دار مَيَّةَ بالعلياء فالسَّندِ أقوت وطال عليها سالف الأبدِ

وجعل قصيدة الأعشى هي:

ودَّع هريرة إنَّ الركب مرتحلٌ وهل تُطيق وداعاً أيها الرجلُ

وأنَّ التبريزي أتمَّ العشر قصائد بقصيدة عبيد بن الأبرص.

ومما سبق يمكن القول بأن القصائد المعلقة المتفق عليها عند رواتها الأوائل، وشراحها القدامى والمحدثون هي سبع قصائد بإجماعهم واتفاقهم عليها وعلى قائلها. وأن الاختلاف الذي وقع بينهم لم يكن اختلافاً في القصائد بل هو اختلاف في عدد الشعراء أنفسهم، حيث أورد بعضهم تسع قصائد، وذكر آخرون عشر قصائد، والملاحظ أن الخلاف لم يقع بينهم في القصائد ذاتها، بل نسبوا كل قصيدة إلى قائلها بالنقص أو الزيادة في عدد الأبيات فيما عدا قصيدتي النابغة، والأعشى اللتين وقع الاختلاف بينهما.

وفي هذه الدراسة نقف عند جدليتي الرواية والتعليق، وهنا تظهر فرضيتان أولهما: هل تم اختيار المعلقاُ من جمهور العرب في الجاهلية أم هي من عمل الرواة؟، والفرضية الثانية: هل تمّ تعليق المعلقاُ بين أستار الكعبة أم لا؟

إذا سلّمنا أو افترضنا بأنّ المعلقاُ السابع المتفق عليها علّقت بين أستار الكعبة؛ فإنّ هذا التعليق لا يكون إلّا بعد أن تم الاتفاق عليها ومن ثم تدوينها. وهذا التسليم أو الافتراض يحتم علينا أنّ هذه المعلقاُ قد اختيرت وكُتبت ومن ثم تمّ تعليقها على النحو الذي اشتهرت به منذ ظهورها إلى يومنا. وتعدّ كتابتها قضية تالية لقضية سابقة وهي قضية اختيارها، ومجمل ما سقناه يقودنا إلى الفرضية الأولى، من الذي اختار تلك المعلقاُ؟، هل اختارها جمهور العرب في أسواقهم العامة أم في محافلهم الجامعة؟، أم هي من عمل الرواة المحترفين؟

إنّ الإجابة القطعية أو الظنية على التساؤل قد تبدو صعبة للغاية، لأنّها تسبق بتساؤلٍ آخر وهو كيف وصلت إلينا تلك المعلقاُ بهذه الصورة المكتملة؟، وفي ذلك أنّ جميع المصادر قد قطعت بأنّ الشعر الجاهلي الذي تضمّن المعلقاُ قد وصل إلينا عن طريق الرواية التي تعدّ العمود الفقري في هذه القضية الشائكة التي لم تتضح جوانبها بقطع يقيني، بل ظلّ جدلاً ينقله اللاحق عن السابق.

ومن يتتبع المصادر القديمة يجد أنّ هذه الجدلية قد دارت حول الرواية بوصفها مصدراً رئيساً وصلنا عبره الشعر الجاهلي، والحديث عنها يقودنا إلى أنّ رواية الشعر الجاهلي قد مرت بمرحلتين هما:

١. رواية الشعر من الشعراء وبعض القبائل في الجاهلية:

تعد هذه المرحلة هي اللبنة الأولى في تاريخ رواية الشعر الجاهلي، وتقابلنا في ذلك مدرسة منتظمة في هذا الصنيع يروي خلفها عن سلفها، وهذا الصنيع في الغالب داخل الأسرة أو العشيرة

فَلاَ هُدًى مَعَ الرِّيحِ قَصِيدَةٌ
مَنِّي مَغْلُفَةٌ إِلَى الْقَعْقَعِ
تَرْدُ الْمِيَاهُ فَمَا تَزَالُ غَرِيبَةً
فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمْثُلٍ وَسَمَاعِ

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ الْعَشِيرَةِ بَعْدَمَا
فَأَصْبَحْتُ لَا أُسْتَطِيعُ رَدًّا لِمَا مَضَى

مَضَتْ وَاسْتَتَبْتُ لِلرَّوَاةِ مَذَاهِبَهُ
كَمَا لَا يُرَدُّ الدَّرُّ مِنَ الضَّرْعِ حَالَهُ

69

الشعر علمهم، إذ يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه". (الجمحي، ١٩٧٤م، ٢٢) ونتج عن هذا النوع من الرواية معرفة القواعد الشعرية عند الجاهليين التي سمّاها النقاد تقاليد شعرية موروثة كالوقوف على الأطلال والمقدمات الغزلية، بالإضافة إلى شكل وبناء القصيدة الجاهلية، وبالتالي هذا النوع من الرواية مدرسة فنية لتعليم الشعر وتأصيل قواعده.

هكذا كانت رواية الشعر عند الرواة من الشعراء الذين نقلوا شعر أسلافهم وتعلموا طرائق نظمه عنهم، وفي هذه المرحلة الأولى من عمر الرواية لم نجد أنّ حركة التدوين قد رافقتها (الأسد، ١٩٨٨م، ١٢٢)، وإنّما نشأت فكرة التدوين متأخرة في أواخر العصر الأموي الذي شهد تسجيل مغازي رسول الله ﷺ. ومطلع العصر العبّاسي الذي شهد تدوين العلوم المتنوعة التي من بينها الشعر واللغة. وأمّا عصر صدر الإسلام فقد شهد تدوين القرآن الكريم وجمعه دون غيره.

٢. الرواة المحترفون:

ظهرت هذه الفئة من الرواة أواخر العصر الأموي، وظلّت تمتهن رواية الشعر الجاهلي عملاً لها. وكانوا من العرب والموالي، وجميعهم من الحضر عاش أغلبهم في البصرة والكوفة. وقد ضمّنوا رواية الشعر الجاهلي كثيراً من الأخبار عن الجاهلية وأيامها، وعملوا على تفسير النصوص التي ظلوا يلقونها في حلقاتهم بغرض التعليم، وقد ضمّت هذه الفئة علماء محققين يتحرون الدقة وصحة ما ينقلون من أشعار، ومن ذلك صحة نسبة الشعر إلى الشاعر من عدمه، ومن أبرز هؤلاء الرواة: أبو عمرو بن العلاء، وحمّاد الرواية، وخلف الأحمر، ومحمد بن السائب الكلبي، والمفضل الضبي وغيرهم، وقد اعتمدوا على القبائل والأعراب البدو الذين تجولوا في بادية الجزيرة العربية.

قال أبو الطيب اللغوي: "والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع

ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بيّن في دواوينهم". (أبو الطيب، ١٩٥٥ م، ٧٤)؛ لذلك كانت رواية الشعر عندهم ضرورية لاعتمادهم عليه في تفسير القرآن الكريم، وتلك غايتهم التي كانوا يرمون إليها، واستمر صنيعهم هذا حتى تولدت منه مدرسة البصرة والكوفة النحويتين، حيث تشدد أهل البصرة في روايتهم فقلّت الأشعار عندهم، بينما أطلقها أهل الكوفة ولم يتشددوا فكثُر بينهم النحل والتزُّيد في الأشعار.

وبناءً على ذلك تعد رواية البصرة أوثق من رواية الكوفة، ونُقل عن أبي عمرو بن العلاء راس المدرسة البصرية أنّه كان أميناً، وأنّ حمّاداً الراوية الكوفي متهم بكثيرٍ من الوضع والتزُّيد في روايته؛ ولعل ذلك يرجع إلى كثرة محفوظه من الشعر حتّى لقب بالراوية، أو علمه بقوالب الشعر يقولها على ألسنة الشعراء. وقد روي أنّ الوليد بن يزيد سأله بم استحقت هذا اللقب فقل لك الراوية؟، فأجاب: "بأنّي أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثمّ أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه أو لم تسمع به، ثمّ لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلّا ميزت القديم منه من المحدث، فقال الوليد: إنّ هذا العلم وأبيك كثير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟، قال كثيرٌ، ولكنّي أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام، قال: سأمنحك في هذا وأمرّك بالإنشاد، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمئة ألف درهم". (الأصفهاني، ١٩٨٩ م، ٢٥٩)، وهو نفسه شاعر مجيد صناعة الشعر (السيوطي، ١٩٩٨ م، ٤٠٦).

وعلى الرغم من هذا المحفوظ الوفير فقد وُصف بالفجور والزندقة والتزُّيد، فقد روي عنه أنّه كان ينظم على لسان الجاهليين ما لم ينطقوا به، فأنكر الأصمعي روايته، وقصته مع المفضل الضبي الكوفي في مجلس المهدي معروفة حينما زاد ثلاثة أبيات في مطلع قصيدة زهير "دع ذا وعد القوم في هرمٍ"، فأنكرها المفضل، ولما سأله المهدي بكل يمين محرّجة اعترف بأنّه أضافها من عنده، فأمر

المهدي أن يُنادى في النَّاس بإبطال روايته لكذبه وصحة رواية المفضل (الأصفهاني، ١٩٨٩ م، ٨٩)، فالتهمة لم تكن بصرية خالصة بل بصرية كوفية. ويروى عن المفضل أنَّه قال: "سُلِّطَ على الشعر من حمّاد الراوية، ما أفسده فلا يصحّ أبداً، فقليل له: وكيف ذلك؟، أيُخطئ في روايته أم يلحن؟، قال: ليته كان كذلك، فإنَّ أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلّا عند عالم ناقد وأين ذلك؟" (الأصفهاني، ١٩٨٩ م، ٨٩).

وفي هذا ما يدل على أن بعض الزيادات الواردة في المعلقاُ ربما تكون من صنيعه، وفي ذلك أيضاً دليل على أنَّ تلك المعلقاُ لم تدوّن بل نقلت سماعاً، ودخلها فسادٌ كثير صاحب شهرتها، خاصة أنَّ جامعها حمّاد الراوية رجل فيه صفات غير محمودة كالكذب والتزويد والزندقة. (حسين، ١٩٢٦ م، ١١٩)، كما عرضنا في قصته مع الوليد والمفضل الضبي، فضلاً عن كثرة محفوظه الذي يجعله يخلط بين الأشعار. وكذلك علمه بمذاهب الشعراء يجعله ينحل وينسب الشعر إلى غير قائله، فضلاً عن كونه هو نفسه شاعر وعالم، كل ذلك يجعلنا نشك في روايته حول تعليق المعلقاُ، خاصة أنَّ الرواة الثقات لم يحدثونا بأنهم نقلوا بعض القصائد من كرايس كانت مكتوبة في الجاهلية، ولم يحدثونا كذلك أنَّ شاعراً جاهلياً كتب أشعاره أو ألهاها مدوّنة من صحيفة، بل بديهة وارتجالاً، واستمر هذا الحال مع الشعر حتّى صدر الإسلام حيث نجد الشعراء يتناشدون أشعارهم ولا يقيّدونها إلّا في ظروف خاصة حتّى دخلت فكرة التدوين.

وبذلك تقوم دراستنا على ثلاثة محاور رئيسة وهي:

أ. الرواة والمؤلفون الذين أشاروا إلى التدوين والتعليق: وهم قِلّة مقارنة بمن أنكر أو أغفل التعليق ويتصدّر هؤلاء ابن الكلبي المتوفى سنة (٢٠٤ هـ)، الذي يعد أقدم من أشار إلى

التعليق فقال: "أول شعر عُلق في الجاهلية شعر امرئ القيس عُلق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه الناس ثم أحدر، فعُلقت الشعراء بعده، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية، وعُدَّ من عُلق شعره سبعة نفر". (ابن الأنباري، ١٩٦٣ م، ١١)، وهذا الراوية غير ثقة متهم بالنحل والتزويد في الأخبار، ثم إن ابن الكلبي لم يذكر مصدره الذي نقل عنه التعليق، وذكر أن العرب كانت تفخر بذلك هذا كله يحتاج لدراسة وتحليل.

وتبعه من المؤلفين ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفى (٣٢٧هـ) في معرض حديثه عن تسمية المعلقات بالمذهبات فقال: "حتى لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعُلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يُقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير، والمذهبات سبعٌ ويُقال لها المعلقات". (ابن عبده ربه، ٢٠٠٣ م، ٢٦٩) فهو يشير صراحة إلى أن المعلقات من اختيار العرب وليست من عمل الرواة. وتبعه على هذا الرأي ابن رشيق المتوفى سنة (٤٥٦هـ) في كتابه العمدة والذي أورد قائلاً: "اختيرت من سائر الشعر فكتب على القباطي وعُلقت على الكعبة". (ابن رشيق، ١٩٥٥ م، ٩٦)، وهو لم يحدد الجهة التي اختارتها بالتحديد أهو جمهور العرب أم الرواة.

وجاء من بعدهما ابن خلدون المتوفى (٨٠٨هـ) في مقدمته. وحذا حذوهم الخطيب البغدادي المتوفى (١٠٩٣ هـ). وفي معرض حديثه عن معنى المعلقة بأنه الشعر المكتوب المعلق على ركن من أركان الكعبة. (البغدادي، ١٣٤٧ هـ، ٦١)، وقد تبع هؤلاء قوم كثير من القدماء والمحدثين.

ولكننا نرى أن تلك المعلقات وإن لم يكن هناك دليل قطعي على أن العرب قد اختارتها وعُلقتها فقد اختيرت واحدة منها من بعض بطون العرب وهي معلقة عمرو بن كلثوم التي اهتمت بها قبيلته تغلب فأذاعتها بين القبائل وروتها عنه في الأسواق العامة والمحافل الجامعة وتعلقت بها

حتّى أن أحد شعراء بكر قد عيّهم بذلك قائلاً:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً منذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مشثوم

فالتتبع لمسيرة الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين يجد أن الرواية والمشافهة كانتا هما الوسيلة الوحيدة التي عبرها انتشر الشعر الجاهلي في القبائل حتى وصل إلينا.

فالشعراء في الجاهلية هم الرواة الحقيقيون للشعر، والرواية عندهم مدرسة يتتلمذ فيها صغار الشعراء على كبارهم، فلم نجد في أشعارهم ما يشير إلى التدوين وأنه وسيلة لحفظ الشعر وإذاعته في الجاهلية؛ مما يقلل فرضية تدوين المعلقات.

وإذا تركنا الرواة من الشعراء جانباً وتأملنا عمل الرواة المحترفين من بصريين وكوفيين الذين اتخذوا الرواية عملاً أساسياً لهم في نهاية العصر الأموي ومطلع العصر العباسي أمثال: أبو عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر، وابن الكلبي والمفضل وغيرهم، وجدناهم يعتمدون في صنيعهم على المشافهة عن ينقلون عنهم ويقومون هم بالتدوين، ولم يحدثونا بأنهم قد نقلوا الأشعار الجاهلية مكتوبة، ولم يسيروا كذلك إلى أن شاعراً جاهلياً أتى بقصيدة مكتوبة، ولم يسيروا في مصادرهم أن العرب في جاهليتها قد أجمعت على اختيار المعلقات السبع وتسميتها، ولا قطعت بتعليقها، وقد ورد عنهم تسميتهم لعينية سويد بن أبي كاهل الشكري وهي مفضلية وكانوا يسمونها اليتيمة (الأصفهاني، ١٩٨٩م، ١٠٢)، وذكر ابن قتيبة أن العرب كانت تعجب بمعلقة عنتر بن شداد وكانت تسميها المذهبة (ابن قتيبة، ١٩٧٧م، ١٣٢)، وأشارت المصادر كذلك إلى قصيدتين لعقمة الفحل، مطلع أولاهما:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبّلها إذ نأتك اليوم مصروم

والثانية:

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعيد الشباب عصر حان مشيبُ

فأعجبت بهما قريش وقالت: "هاتان سمطا الدهر" (الأصفهاني، ١٩٨٩م، ٢٠١)، على الرغم من أنهما لم يُعدّا من المعلقات السبع، فهذا ما جادت به المصادر القديمة التي لم تشر إلى أنّ الشعراء الجاهليين قد ألقوا قصائدهم مكتوبة، بل ظلّوا يلقونها من ذاكرتهم ارتجالاً، وقد نقل الجاحظ عنهم ذلك فقال: "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنّه إلهام، فما هو إلا أنّ يصرف العربي وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً وتثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم يقيده على نفسه" (الجاحظ، ١٩٩٨م، ٢٨).

ولكنّا نرى أنّ المعلقات السبع إذا كتبت وعلقت في الجاهلية على نحو ما فُعل بصحيفة قريش -الظالم- لا يمكن أن يقع فيها التباين الذي صاحب بعض أبياتها وكلماتها والاضطراب والإبدال الذي وقع لشاعرين من جملة شعرائها السبعة. كل ذلك يدل على أنّ تلك القصائد - المعلقات - لم تكتب وتعلق، وأنّ جمهور العرب في الجاهلية لم يقع اختياره عليها بالمعنى الشائع المعروف لدينا، وبالتالي نرجح أنّ الاختيار والتعليق من عمل الرواة، وليس لجمهور العرب.

وقد قمنا باستقراء أبيات المعلقات السبع عند الرواة والذين قاموا بشرحها؛ فوجدنا فيها بعض التباين الذي صاحب أبياتها وكلماتها على حدٍ سواء عدا معلقة امرئ القيس، ومن صور هذا التباين:

معلقة طرفة بن العبد:

لقد ورد تباين في أبياتها حسب الروايات، ومن ذلك: نجد البيت رقم (٥٤) بالصفحة

(٩٨) من شرح الزوزني:

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِي أَشْهَدُ الْوَعْيَ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ٩٨)

فقد روي باختلاف ألفاظ منها الزاجري بدلاً عن اللائمي. ونجد كذلك البيت رقم (٦٦)

عند الزوزني وهو:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَ الطَّوْلُ الْمَرْخِي وَثِيَاءَ بِالْيَدِ

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٠١)

يقع بعده بيتاً آخر عند أبي زيد القرشي وهو:

إِذَا شَاءَ يَوْمًا قَادَهُ بِزَمَامِهِ وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَنِيَةِ يَنْقَدِ

ونجد البيتين (٨٠، ٨١) عند الزوزني باختلاف ألفاظ:

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارِنِي بَنُونَ كَرَامٍ سَادَةٌ لُمُسُودِ
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشُ كِرَاسِ الْحَيَّةِ الْمَتَوَقَّدِ

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٠٥)

فقد روي: وعادني بدلاً عن زارني، وروي كذلك: أنا الرجل الجعد بدلاً عن الرجل الضرب.

ونجد إبدال في البيت (٨٦)، وهو:

وَبَرَكَ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ خَافَتِي بَوَادِيهَا أَمْشِي بَعْضُ مُجَرِّدٍ

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٠٦)

فقد وقع فيه إبدال في حرف الباء نون وهو "نواديهـا" بدلاً من بواديهـا.

معلقة زهير بن أبي سلمى:

ونجد في البيت التاسع من رواية الزوزني وهو:

علون بأنطاطٍ عِثاق وكَلَّةٍ وراد حواشيها مشاكهة الدَّم

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١١٦)

ذكر التبريزي وابن الأنباري أنَّ الأصمعي قد روى هذا البيت باختلاف صدره على النحو:

علون بأنطاكية فوق عَقْمَةٍ وراد حواشيها مشاكهة الدَّم

معلقة ليبد بن ربيعة العامري:

وذكر أنه قد "وقع الاختلاف بين الرواة في (٦١) بيتاً من جملة أبيات القصيدة الـ(٨٩)، وكان اختلافهم قد حدث في ترتيب الأبيات، أو في روايتها، أو تفسير معاني بعض ألفاظها" (إسماعيل، ٢٠١٨، ٤)، ومن ذلك: البيت رقم (٣٥)، عند الزوزني:

محفوفةً وسط اليراع يُظَلِّها منه مُصَرَّعٌ غَايَةٌ وَقِيَامُهَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٥١)

ورد عند التبريزي:

وَمَحْفَقاً وَسَطَ الْيَرَاعِ يُظَلِّه مِنْهَا مُصَرَّعٌ غَايَةً وَقِيَامُهَا

والبيت رقم (٣٨) عند الزوزني:

لُغْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعِ شَلُوهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٍ لَا يَمْنُ طَعَامُهَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٥٢)

فقد ورد عند التبريزي: ما يَمْنٌ بدلاً عن لا يَمْنٌ.

والبيت رقم (٤٧) عند الزوزني:

فَتَوَجَّسَتْ زَرَّ الْأَنْيَسِ قِرَاعُهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْيَسِ سِقَامُهَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٥٥)

ورد عند التبريزي: وتَسَمَّعت " بدلاً عن: فتوجست، مع إبدال الفاء واواً.

والبيت رقم (٧٣) عند الزوزني:

وَجُذُورِ أَيْسَارٍ دَعَوَتْ لِحْتَهَا بِمِغَالَتِي مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٦٤)

ورد عند التبريزي:

وَجُذُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتَ إِلَى النَّدَى بِمَغَالِقِ مُثَشَّابِهِ أَعْلَامُهَا

والبيت رقم (٨٨) عند الزوزني:

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُطَيَّئَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِنَائِمِهَا

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٦٩)

ورد عند التبريزي:

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُطَيَّئَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَلُومَ مَعَ الْعَدُوِّ لَوَامِهَا

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي:

البيت رقم (١٦) عند الزوزني:

وَمَثْنَى لَدُنْكَ سَمَقَتْ وَطَالَتْ رَوَادِفُهَا تَنْوُو بِمَا وَلَيْنَا

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٧٩)

ورد عند التبريزي:

وَمَثْنَى لَدُنْكَ طَالَتْ وَلَانَتْ رَوَادِفُهَا تَنْوُو بِمَا يَلِينَا

البيتان (٤٩، ٥٠) عند الزوزني:

فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمُ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا غَصْبًا ثَبِينَا

وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمُ فَتُصْبِحُ غَارَةً مَتَلَبْسِينَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٨١)

وردا عند التبزي باختلف الترتيب.

والبيت رقم (٦٩) عند الزوزني:

ونحن الحابسون بذى أراطى تَسَفُّ الْجَلَّةُ الحُورُ الدَّرِينَا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٨٦)

وقد روى التبزي بعده البيت باختلف في بعض الألفاظ وهما:

ونحنُ الحاكمون إذا أطعنا ونحن العازمون إذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

ووردا عند الزوزني بالترتيب (٩٥، ٩٦) على النحو التالي:

وإنَّا التاركون إذا سخطنا وإنَّا الآخذون إذا رضينا
وإنَّا العاصمون إذا أطعنا وإنَّا العازمون إذا عصينا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٩١)

والبيت رقم (٨٠) عند الزوزني، لم يرد عند التبزي، وهو:

وردن دوارعاً وخرجن شُعْثاً كأمثال الرصائع قد بُلينا

(الزوزني، ١٩٨٣م، ١٨٩)

البيت رقم (٩٨) في رواية الزوزني:

ألا أبلغ بني الطمّاح عَنّا ودُعْميّا فكيف وجدتمونا

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٩٢)

فقد روى التبريزي بعده بيتين، وهما:

لنا الدُّنيا ومن أَمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
نسمّى ظالمين، وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

ويفصل بينهما بالبيت رقم (٩٩) في رواية الزوزني وهو:

إذا ما المُلْكُ سام النَّاسَ خسفاً أيّنا أن نقرّ الدُّلَّ فينا

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٩٢)

أمّا ابن الأنباري فيرويها متعاقبين بعد البيت (١٠٠) عند الزوزني وهو:

ملأنا البرّ حتّى ضاق عَنّا وماء البحر نملؤهُ سفينا

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٩٢)

معلقة عنتره بن شدّاد العبّسي:

اتَّفَق شُراح المعلقة حول (٣٢) بيتاً فيها من حيث الترتيب والشرح والرواية؛ ولكنهم

"اختلفوا حول (٥١) بيتاً فيها في الترتيب، والشرح، والرواية" (إسماعيل، ٢٠١٧ م، ١٧٩)، بعد

البيتين الأول والثاني في رواية الزوزني وهما:

هل غادر الشعراء من مَترِدِمٍ أم هل عرفت الدَّارَ بعد توهُمِ
يا دارَ عَبلَةٍ بالجِواءِ تكلِّمي وِعمي صباحاً دارَ عَبلَةٍ واسلمي

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٩٣)

ويروي أبوزيد بعد البيتين بيتاً آخرًا وهو:

إلا رِواكِدَ بينهن خِصائِصُ وبقِيَّةٍ من نُؤيها المُجرِئِثِ

ويروي جماعة من الرواة بعد البيت الأول بيتين آخرين، وهما قوله:

أعياءَ رَسَمِ الدَّارِ لم يتكلَّم حتَّى تكلَّم كالأصمِّ الأعجمِ
ولقد حبستُ بها طويلاً نَاقِتي أشكو إلى سفعِ رِواكِدِ جُثمِ

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ١٩٣)

والبيت رقم (٦٧) في رواية الزوزني:

إذ يتقون بي الأسِنَّةَ لم أخم عنها، ولكنِّي تضايقَ مقدي

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ٢٠٤)

فقد ذكر التبريزي بعده ثلاثة أبيات لم يثبتها الزوزني، وهي قوله:

ولما سمعت نداء مرّة قد علا وابنِي ربيعة في الغبار الأقمِ

وَمَلْحَمٌ يَسْعُونَ تَحْتَ لُـوَاءِهِمْ وَالْمَوْتُ تَحْتَ لُـوَاءِ آلِ مَلْحَمٍ
أَيَقِنْتَ أَنْ سَيَكُونُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ ضَرْبٌ يَطِيرُ عَنِ الْفَرَاخِ الْجُثْمُ

معلقة الحارث بن حِلْزَةَ الشُّكْرِيِّ:

رواياتها لا تخلو من خلاف في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير، وهي "أكثر القصائد التي وقع خلاف الرواة في ترتيب أبياتها" (إسماعيل، ٢٠٢١م، ٦١). ومن ذلك البيت رقم (١٩) في رواية الزوزني:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

(الزوزني، ١٩٨٣م، ٢٢٣)

ورد في رواية التبريزي: بليلاً بدلاً عن عشاء.

والبيت رقم (٣٨) في رواية الزوزني:

لَيْسَ يَنْحَى مَوَائِلًا مِنْ حِذَارٍ رَأْسَ طُودٍ وَحَرَّةَ رَجَاءٍ

(الزوزني، ١٩٨٣م، ٢٢٨)

فقد أورد التبريزي بعده بيتاً وهو قوله:

فَلَمَّا مَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى مَلِكِ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ

والبيت رقم (٤٩) في رواية الزوزني:

آية شارقُ الشقيقة إذ جا
ءت معدّ لكل حي لواءُ

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ٢٣٠)

ورد عند التبريزي: إذ جاءوا جميعا.

والبيت رقم (٧٧) في رواية الزوزني:

أم علينا جرى قضاة أم ليـ
س علينا فيما جنوا أنداء

(الزوزني، ١٩٨٣ م، ٢٣٦)

أورد التبريزي بعد البيت:

لم يخلوا بني زراح برقاً
ء نطاع لهم عليهم دُعاء

وأورده الزوزني في روايته بالرقم (٧٩)، وعند التبريزي وابن الأنباري: لم يخلوا بدلا عن

يخلوا.

ونخرج مما تقدم بالآتي:

أولاً: إذا كانت المعلقات قد دونت وعلقت على أستار الكعبة لا يمكن أن يخالفهم أبوزيد القرشي الذي أخرج من إجماعهم الحارث بن حِلْزة، وعنترة بن شداد، وأضاف مكانها النابغة الذبياني، والأعشى ولكل منهما اضطراب في معلقته.

ثانياً: إنَّ التبريزي شارح المعلقات قد جمع بين رأي هؤلاء المجمعين ورأي أبي زيد القرشي وأضاف

إليهم عبيد بن الأبرص فصارت عنده عشرًا؛ مما يقلل فرضية كون المعلقا قد علّقَت.

ثالثاً: كثرة التباين والاضطراب في أبياتها وكلماتها، والزيادة والنقصان في أبياتها عند الشراح والرواة يدل على تعدد مصادر الروايات، وتلقي تلك المعلقا من جهات متعددة وليس من مصدر واحد مكتوب، مما يشير إلى تلقيها شفاهةً وليس كتابةً.

والراجع إنّها من عمل الرواة الذين رأوا فيها من الأسس والتقاليد الشعرية ما جعلها القصائد الأنموذج، ولذلك لم تدوّن ولم تعلّق ولو كان ذلك لم نرَ فيها هذا التباين الذي صاحب بعضها وبعض شعرائها وأبياتها وكلماتها، بالإضافة إلى تصريح بعض المؤرخين الذين نصّوا على أنّها من اختيار حمّاد الراوية (ابن خلكان، د.ت، ٢٠٥).

أ. الرواة الذين أنكروا التدوين والتعليق:

من أنكر التعليق أبو جعفر النحاس المتوفى (٣٣٨ هـ). وهو ممن شرحوا تلك المعلقا والذي أورد قائلاً: "إنّ الملك إذا استحسن قصيدة قال: علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزائني، وأمّا قول من أنّها علّقَت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة" (النحاس، ١٩٧٣ م، ٤٧). وتبعه ابن الأنباري المتوفى (٥٧٧ هـ) والذي قال: "ولم يثبت ما ذكره الناس من أنّها كانت معلقة على الكعبة" (ابن الأنباري، ١٩٨٥ م، ٣٩)، وقال بذلك ياقوت الحموي المتوفى (٦٢٦ هـ) في ترجمته لحمّاد الراوية (الحموي، ١٩٩٣ م، ١٤٠).

وعلى هذا الرأي اعتمد بعض الباحثين المحدثين والمعاصرين الذين أنكروا التعليق مستدلين ببعض الحجج، أمثال مصطفى صادق الرافعي (الرافعي، ٢٠٠٠ م، ١٩٢)، والدكتور أحمد محمد الحوفي (الحوفي، ١٣٩٢ هـ، ٢٠١)، والدكتور شوقي ضيف (ضيف، ١٩٦٠ م، ١٤١)، وحذا حذوهم بعض المستشرقين أمثال الإنجليزي نيكلسون (نيكلسن، ١٩٧٠ م، ١٧١) في كتابه تاريخ

الأدب العربي المترجم إلى العربية، والفرنسي هوار في كتابه الأدب العربي (بروكلمان، ١٩٨٧ م، ٨٩)، وغيرهم، وتبعهم الدكتور بدوي طبانة (طبانة، ١٩٨٤ م، ٣١) الذي أنكر التعليق كذلك.

ب. الرواة الذين أغفلوا التدوين والتعليق:

أشهرهم العلامة الراوية الثقة أبو عمرو بن العلاء المتوفى (١٥٤هـ)، وتبعه من المؤلفين من هم أسبق لابن عبد ربه وابن رشيق القيرواني ومن حذا حذوهما، ومن هؤلاء: محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة (٢٣١هـ)، وأبو عثمان عمرو الجاحظ المتوفى (٢٥٥هـ)، وابن قتيبة المتوفى (٢٧٦هـ)، والمبرد المتوفى (٢٨٥هـ)، وابن الأنباري المتوفى (٣٢٨هـ)، وأبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٧هـ)، والأصفهاني المتوفى سنة (٣٥٦هـ)، والباقلاني المتوفى سنة (٤٠٥هـ)، فهؤلاء قد تعرضوا للمعلقات بالشرح والدراسة، وأغفلوا التعليق ولم يسيروا إلى تسميتها بالمعلقات أو تعليقها.

وبذلك نرجح أن المعلقات لم تكتب ولم تُعلق على أستار الكعبة كما هو شائع ومشهور، لعدم وجود رواة ثقات قطعوا بذلك. ولم يرووا لنا أن شاعراً جاهلياً قد ألقى قصيدته من صحيفة مكتوبة، وأن رواية هؤلاء لم تحظ بالدرس والتمحيص والتدقيق حتّى يُستفاد منها في بيان بعض القضايا التي لحقت بالشعر الجاهلي وخاصة قضية التدوين والتعليق التي نُعتت بها تلك المعلقات، وحتّى المصادر العلمية التي نقلت لنا تلك الروايات قد أشارت إل الخلل الذي صاحبها، وبيان حال الرواية من الصحة أو الكذب مما عُدَّ قضية تستحق الوقوف عندها وتمحيصها، ونلاحظ أيضاً أن الشعر الجاهلي نفسه لم يشر إلى المعلقات باسمها، ولم يحدد بأن جمهور العرب قد اختارها، أو خبر تعليقها. ومن خلال دراستنا للأدب الجاهلي عامة والمعلقات خاصة نستدل بعدة أمور تشير إلى عدم القطع بتدوين تلك القصائد وتعليقها في العصر الجاهلي، ومن ذلك:

١/ العرب في جاهليتهم لم يكونوا أمةً واحدة متحدة الهدف والذوق والمزاج، بل كانوا قبائل مختلفة متفرقة في بادية الجزيرة العربية، متباينة اللهجات، متعددة المعتقدات، متنوعة التضاريس، وحتى عند وفادتها على الملوك والأمراء كانوا يأتون أفخاذاً وعشائر وقبائل وليست أمة واحدة مما يقلل فرضية إجماعهم على تلك المعلقات.

٢/ احتفاء القبيلة بنبوغ شاعرٍ فيها وانشغالها بشعر شاعرها يدل على انكماشها في نفسها دون النظر لشعر شاعرٍ من قبيلة أخرى، إلا ما كان يجري من الشعراء والنقاد كصنيع النابغة الذبياني مع بعض الشعراء. أو الخصومات الشعرية المحدودة كحكومة أم جندب، فكل شاعر يمجّد أهله وعشيرته وفخذه وقبيلته دون سائر العرب، وما انشغال تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم إلا ضرباً من ذلك الاحتفاء الذي يقلل من فرضية إجماع جمهور العرب على قصائد بعينها لشعراء من قبائل شتى.

٣/ لم يُشر الرواة أو المصادر المدونة أنّ العرب في أسواقهم العامة ومحافلهم الجامعة قد اختاروا معلقة بعينها وسموها معلقة غير عينية سويد بن أبي كاهل التي ليست من ضمن المعلقات.

٤/ التباين الوارد في بعض أبيات المعلقات من زيادة أو نقصان أو اختلاف لمدلول الكلمات فيه إشارة لعمل الرواة بناءً على من يتلقون عنه تلك المعلقات، وذلك لأنّ الرواة أنفسهم لم يشافهوا هؤلاء الشعراء ولم ينقلوا عنهم مباشرة، أو وجدوا تلك المعلقات مكتوبة، مما يدل على تعدد مصادر التلقي الشفهي وليس المكتوب.

٥/ التعليق على أستاذ الكعبة لم يثبت بالدليل القاطع، فمنهم من أشار إلى أنّه تعليق حقيقي، ومنهم من يرى أنّه تعليق مجازي تشبيهاً لتلك القصائد بعقدٍ ثمين يزين الأعناق، ومنهم من يرى أنّ النعمان بن المنذر إذا أعجبه قصيدة يقول علّقوا لنا هذه، وذكرت المصادر أنّ النعمان أمر بجمع ديوان يحتوي على أشعار الفحول والشعر الذي مُدح به هو وأهل بيته

به، صار ذلك إلى بني مروان أو صار منه (الجمحي، ١٩٧٤م، ٢٥)، ونحسب أنّ هذا الديوان قد يضم المعلقاُ أو بعضها، وما ذكرناه في هذا الصدد لا يشير صراحة إلى تدوينها؛ ومن ثمّ تعليقها مما حدا بقيام جدليتي الاختيار والتعليق وصحتها من عدمها، وخاصة أنّ خبر التعليق قد ظهر في فترة متأخرة عند ابن الكلبي المتهم بالكذب والتزيّد، وقد قطع ابن سلام بعدم تدوين الشعر في الجاهلية فقال: "لما كثر الإسلام وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤوّلوا إلى ديوانٍ مُدوّن ولا كتاب مكتوب، وألّفوا في ذلك، وقد هلك من العرب بالموت والقتل، فحفظوا أقلّ ذلك، وذهب عليهم منه كثيرٌ" (الجمحي، ١٩٧٤م، ٢٢).

٦/ من يتأمّل المعلقاُ يجدها قد توفرت فيها سمات فنية وموضوعية ولغوية وهي تقاليد فنية موروثة كالمقدمات الغزلية والطللية، فضلاً عن ارتباط بعضها بحوادث وقعت في العصر الجاهلي وتعد من أبرز أحداثه، بجانب كون تلك القصائد قد جمعت عدة أغراض في القصيدة الواحدة ذات الفضاء الواسع الذي يعيشه وجدان العربي، ولربما استقل بعض الرواة هذه السمات ومدى وقعها من نفس جمهور العرب فنسبوا إليهم تلك القصائد بناءً على سماتها وأغراضها، يقول القاضي الجرجاني: "وكانت العرب إنّما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبكده فأغزر، ومن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض". (الجرجاني، د.ت، ٣٣) وبالتالي فإنّ المعلقاُ قد وافقت واقع العرب وطبيعة حياتهم، وخاطبت وجدانهم، فأدرك الرواة تلك السمات فيها فاختراروها نيابة عن جمهور العرب، وهم - أي الرواة - أعلم الناس بالشعر في زمانهم. تميّز الشعر عند الجاهليين يقوم على الموازنة بين قصيدتين أو بيتين أو أكثر، والناقد في الجاهلية حينها يقرر

حكمه الذي يقوم على المفاضلة لا يعلل أو يطلق تعليقاً نقدياً؛ وذلك لأنّ ذوقه والمتلقين متقاربان لمعرفتهم بجيد الشعر وردئ اللغة وفضاء الشعر الذي يدور فيه، بالإضافة إلى فقر حياتهم النقدية.

٧/ إذا كانت القبائل العربية في الجاهلية قد احتفت بنبوغ شعرائها أيّما احتفاء فاحتفلت وأقامت الولائم في محافلها الخاصة افتخاراً وتقديراً لهذا التفوق، فكيف لا تحتفي بتفوق قصيدته التي اختارها جمهور العرب وتناشدوها شفاهةً حتّى مثلما فعلت تغلب في قصيدة عمرو بن كلثوم؟، وبالتالي فإنّ هذا التساؤل يرجح كون المعلقات السبع من عمل الرواة وليس من اختيار جمهور العرب.

الخاتمة:

بناءً على ما تقدم فقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ١/ لم يرد دليل قطعي قديم في مصادر اللغة والأدب على أنّ العرب عامة قد اختارت قصائد بعينها من أجود وأطول أشعارها وسمتها المعلقات، ثم كتبتها وعلقتها على أستار الكعبة؛ إلا عند ابن عبد ربه.
- ٢/ إنّ التباين الذي شهدته المعلقات من زيادة أو نقصان أو حذف أو تبديل في أبياتها يدل على أنّها قد وصلت إلى مرحلة التدوين عبر الرواية الشفوية وليس التدوين ومن بعده التعليق.
- ٣/ احتواء بعض المعلقات لأحداث عامّة وقعت في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى اتسامها بسماتٍ عدّت من أصول الشعر الجاهلي وتقاليده يرجح فرضية أنّ بعض الرواة نسبوها للعرب عامة.

٤/ إنّ حياة الجاهليين القائمة على التلقائية والعفوية والفطرية وعدم التكلف في جميع شؤونهم، بجانب شيوع الأمية في مجتمعاتهم، وعدم وجود أدوات يكتب عليها هذا الكم الضخم من الأبيات الشعرية التي تحتويها المعلقات يقلل من فرضية كتابة المعلقات وتعليقها.

٥/ إنّ الشعر الجاهلي الذي هو علم العرب ومصدر معارفهم وديوانهم لم يشر في قصائده أو مقطعاته أو أبياته إلى تسمية تلك المعلقات أو نعتها أو خبر تعليقها مثلما ورد في بعض قصائده من الإشارات لتلك التقاليد كالوقوف على الأطلال، أو استخدام الصور والمعاني الشعرية، بل أشار إلى الرواية ودورها في نقل الشعر وحفظه.

٦/ إنّ الرواة الذين نقلوا لنا معلومة تعليق تلك المعلقات قد سبقهم إلى الرواية آخرون مختصون وشعراء جاهليون احترفوا الرواية لمدارسة الشعر ولم يذكروا لنا ذلك. بالإضافة إلى أنّ الرواة الذين قطعوا بتدوين تلك القصائد وتعليقها أغلبهم متهم بالنحل والتزوير، وأنّ الثقات منهم لم يشيروا إليها.

٧/ إنّ خبر التدوين والتعليق الذي ظلّ ملازماً لتلك القصائد لم تتنوّع مصادر روايته ولم تعدد، بل هي رواية واحدة متناقلة متكررة لم تدرس دراسة مستفيضة تحقق قضية شائكة كهذه.

المصادر والمراجع

- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، بيروت، دار الجيل، ط ٧ ١٩٨٨ م.
- إسماعيل، أبو هداية محمد:
- دلالات المطلع النفسية ومظاهر القيم الخلقية في معلقة الحارث بن حلزة، المجلة العربية العلمية - مداد، مصر، المجلد ٥، العدد ١٤، ٢٠٢١ م.
- مظاهر القيم والخلقية والنفسية في معلقة لبید بن ربيعة (قراءة أخرى)، مجلة جامعة بخت الرضا العلمية، جامعة بخت الرضا، العدد: ٢٦، ٢٠١٨ م.
- معلقة عنتر بن شداد دلالات المطلع النفسية ومظاهر القيم الخلقية (قراءة أخرى)، مجلة جامعة زالنجي للعلوم التطبيقية والآداب، العدد ٦، ٢٠١٧ م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الشعب، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ابن الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، الأردن، مكتبة المنار، ط ٣، ١٩٨٥ م.
- ابن الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣ م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله د. عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، بولاق، السلفية، ١٣٤٧ هـ.
- بيكلسن، رينولد، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة: صفاء خلوصي، بغداد، المعارف، ١٩٧٠ م.

- التبريزي، أبو زكريا يحيى، شرح القصائد العشر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط ١، د.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٧، ١٩٩٨ م.
- الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ٢٠٠١ م.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٠٠ م.
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط ١، ١٩٧٤ م.
- حسن، طه، في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٩٢٦ م.
- الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، بيروت، دار القلم، ط ٥، ١٣٩٢ هـ.
- ابن خلكان، شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان. تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت.
- خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، إحياء التراث، ط ٢، ١٩٩٩ م.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ابن رشيق، أبو الحسن علي، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٥ م.
- الزوزني، شرح المعلقاُ السبع، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣ م.
- أبو زيد القرشي، محمد بن الخطاب، جمهره أشعار العرب، بيروت، ١٩٦٣ م.

- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد منصور، بيروت، دار الكتب، ط ١٩٩٨، ١ م.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، مصر، دار المعارف، ط ١٩٦٠، ١ م.
- طبانة، بدوي، معلقات العرب، الرياض، دار المريخ، ط ١٩٨٤، ٤ م.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٥٥ م.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣ م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ط ١٩٧٧، ٣ م.
- المفضل الضبي، محمد بن يعلى الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل بيروت، الطبعة ١، ١٩٦٢ م.
- النحاس، شرح المعلقات السبع المشهورات، تحقيق: خطّاب، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٣ م.
- هوار، كليان، تاريخ الأدب العربي. ط ١، دار ف للنشر، ١٩٨٧ م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣ م.

هندسة الاختبارات اللغوية من معايير الصدق والثبات إلى تحديات التطبيق

(دراسة تحليلية في ضوء بطاقة تحليل)

د. سعيدة عمر محمد ثاني

أستاذ مساعد، كلية اللغة العربية، جامعة أفريقيا العالمية

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تقديم إطار عملي لهندسة الاختبارات اللغوية وتطوير معايير بنائها، مع التركيز على مراعاة الفروق النفسية والاجتماعية وتحديد الاحتياجات اللغوية للدارسين لتحقيق العدالة في القياس، كما يهدف إلى رصد معايير الاختبار الجيد، وتصنيف أنواع الاختبارات اللغوية، ومقارنة مزاياها وعيوبها. ولتحقيق ذلك، اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي مدعوماً بطاقة تحليل باعتبارها أداة رئيسة لتفكيك وفحص عينة من الاختبارات اللغوية، وتقييم بنودها. وقد خلص البحث إلى أن الاختبار صالح للاستخدام بوصفه اختباراً تحصيلياً للفئة المستهدفة (متوسط)، لكنه غير معياري بدرجة كافية، كما أن الاختبار يتميز بصدق المحتوى والظاهري متحقق (يغطي القراءة، القواعد، المفردات، الكتابة). وأن الاختبار اللغوي الفعّال هو جزء لا يتجزأ من منظومة التقييم الشامل، ويعتمد نجاحه على مدى ارتباطه بالتشخيص الدقيق والتغذية الراجعة، وأن مراعاة الفروق الفردية (النفسية والاجتماعية) أثناء تحديد الاحتياجات تُسهم بشكل مباشر في زيادة دقة نتائج الاختبارات وموضوعيتها وفي ضوء ذلك، يوصي البحث بـ: إخضاع بنود الاختبارات اللغوية لبطاقات تحليل معيارية لضمان الصدق والثبات، كما يوصي بضرورة تدريب المعلمين ومعدّي الاختبارات اللغوية على مهارات هندسة الاختبارات وتطبيق معايير الصدق والثبات العلمي، والتنوع في استخدام أنواع الاختبارات اللغوية (التحصيلية، الكفاءة، التشخيصية) لتغطية كافة جوانب العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: هندسة، الاختبارات اللغوية، معايير، الصدق والثبات، تحديات التطبيق، بطاقة تحليل

Abstract

This study aims to provide a practical framework for language test engineering and the development of test construction standards, emphasizing psycho-social individual differences and determining learners' language needs to achieve measurement fairness. Additionally, it aims to identify the criteria for an effective test, classify various types of language tests, and compare their advantages and disadvantages. To achieve these objectives, the study adopted a descriptive-analytical approach, supported by an "analysis card" as a primary tool to deconstruct and examine a sample of language tests and evaluate their items. The findings revealed that the examined test is valid for use as an achievement test for the target group (intermediate level); however, it lacks sufficient standardization. Furthermore, the test demonstrates established content and face validity, covering reading, grammar, vocabulary, and writing. The study also concluded that an effective language test is an integral part of a comprehensive assessment system, and its success relies heavily on its integration with accurate diagnosis and constructive feedback. Moreover, considering individual (psycho-social) differences during needs assessment directly enhances the accuracy and objectivity of test results. In light of these findings, the study recommends subjecting language test items to standardized analysis cards to ensure validity and reliability. It also highlights the necessity of training teachers and test designers in "test engineering" skills and the application of scientific validity and reliability standards, as well as diversifying the use of language test types (achievement, proficiency, diagnostic) to cover all aspects of the educational process.

Keywords: Engineering, Language Tests, Standards/Criteria, Validity and Reliability, Implementation Challenges, Analysis Card

مقدمة

تُعَدُّ اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل البشري ونقل المعرفة؛ ولذلك فإنَّ قياس مدى إتقانها يتطلب أدوات دقيقة وعلمية.

تأتي هندسة الاختبارات اللغوية بوصفها علماً يسعى لضبط هذه الأدوات وتوجيهها نحو تحقيق أعلى مستويات الكفاءة والعدالة.

إنَّ بناء اختبار لغوي يتجاوز مجرد صياغة الأسئلة إلى كونه منظومة متكاملة تخضع لمعايير الصدق والثبات، وتراعي الفروق الفردية والاجتماعية للمتعلمين. من هنا، تأتي هذه الدراسة لتفكيك بنية هذه الاختبارات، وتحديد ماهيتها، وأبرز المعايير التي تجعل منها أداة تقييمية فعَّالة وناجحة في الميدان التعليمي والبحثي.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود فجوة واضحة بين الجانب النظري لمعايير جودة الاختبارات اللغوية (كالصدق والثبات) وبين الممارسات التطبيقية الفعلية في الميدان التعليمي.

ويظهر ذلك في ضعف مواءمة بعض الاختبارات للفروق النفسية والاجتماعية للدارسين، وافتقارها للأسس العلمية عند تحديد الاحتياجات اللغوية؛ ممَّا يؤدي إلى نتائج تقييمية غير دقيقة؛ لذا يطرح البحث السؤال الرئيس التالي: كيف يمكن تفعيل معايير هندسة الاختبارات اللغوية لتجاوز تحديات التطبيق وتحقيق التقييم اللغوي الفعَّال؟

أهمية البحث:

وتتمثل في:

- الأهمية العلمية: إثراء الأدبيات التربوية واللغوية بإطار نظري حديث حول هندسة الاختبارات اللغوية ومعايير بنائها؛ بالإضافة للاختبارات الرقمية وأدوات الذكاء الاصطناعي في القياس اللغوي.
- الأهمية العملية: تزويد المعلمين ومطوري المناهج بدليل تطبيقي يوضح كيفية تصميم اختبارات لغوية تتسم بالصدق والثبات، وتراعي الفروق الفردية والاجتماعية للمتعلمين.

أهداف البحث:

- ١/ توضيح مفهوم الاختبارات اللغوية، أهميتها، فوائدها، والتمييز الدقيق بين التقويم والاختبار.
- ٢/ تحديد أبعاد التشخيص والتغذية الراجعة والتصديق في سياق القياس اللغوي.
- ٣/ الكشف عن الاحتياجات والفروق النفسية والاجتماعية وتأثيرها على البحث العلمي والاختبارات.
- ٤/ رصد معايير الاختبار الجيد، وتصنيف أنواع الاختبارات اللغوية، ومقارنة مزاياها وعيوبها.

أسئلة البحث:

- ١/ ما الفرق الجوهرى بين التقويم والاختبار في تعليم اللغة؟

٢/ كيف تؤثر الفروق النفسية والاجتماعية في تحديد الاحتياجات اللغوية وتصميم الاختبارات؟

٣/ ما هي أبرز معايير جودة الاختبار اللغوي (الصدق والثبات)؟

٤/ ما هي المزايا والعيوب المرتبطة بتطبيق الأنواع المختلفة من الاختبارات اللغوية؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره إطاراً عاماً للدراسة، مع الاستعانة ببطاقة التحليل أداةً بحثية أساسية لرصد وتصنيف محتوى الاختبارات اللغوية؛ وذلك من خلال الآتي:

- المنهج الوصفي التحليلي: لمراجعة الأدبيات التربوية المتعلقة بمعايير الصدق والثبات، ووصف أنواع الاختبارات اللغوية ومزاياها وعيوبها للوصول إلى استنتاجات علمية دقيقة.
- بطاقة التحليل (أداة الدراسة) لتقييم عينة من الاختبارات اللغوية القائمة، وتحليل بنودها ومحتواها في ضوء معايير الاختبار الجيد) مثل الصدق، الثبات، والموضوعية، وتحديد مدى مراعاتها للفروق الفردية والاحتياجات اللغوية للدارسين.

الدراسات السابقة:

١. دراسة الفوزان (٢٠١٨م)، اسم الدراسة: بناء اختبارات الكفاءة اللغوية: معايير الصدق والثبات في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

محتواها: ركزت هذه الدراسة على الجانب المعياري للاختبارات؛ حيث قدمت إطاراً نظرياً

وتطبيقاً لكيفية بناء أسئلة تقيس الكفاءة اللغوية الفعلية، وشددت على ضرورة إخضاع كل اختبار لمعايير الصدق (بأنواعه) والثبات لضمان جودة المخرجات التعليمية.

٢. دراسة كساب (٢٠٢١م)، اسم الدراسة: استراتيجيات التقويم البديل والتغذية الراجعة في تنمية المهارات اللغوية.

محتواها: بحثت هذه الدراسة في التحول من الاختبارات التقليدية إلى التقويم البديل، وأكدت على أهمية التغذية الراجعة الفورية أداةً لتشخيص الصعوبات اللغوية لدى المتعلمين، مع التركيز على مواءمة الاختبارات لخصائص الدارسين النفسية لضمان عدالة القياس.

٣. دراسة الغالي (٢٠٢٤م)، اسم الدراسة: المعايير المعاصرة والتحديات التطبيقية في الاختبارات اللغوية المحوسبة.

محتواها: تناولت هذه الدراسة الحديثة التحديات التي واجهت الميدان الأكاديمي عند الانتقال للاختبارات الرقمية، وأبرزت كيف يمكن للفروق الفردية أن تؤثر على نجاح الاختبار، داعيةً إلى تبني معايير تقنية وفنية متطورة تتناسب مع هندسة الاختبار الحديثة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسات السابقة في مجملها على أهمية ضبط الاختبارات اللغوية وإخضاعها للمعايير العلمية والتربوية (كالصدق والثبات)، كما تقاطعت في التأكيد على ضرورة مراعاة الفروق الفردية والاحتياجات اللغوية للدارسين. تتكامل دراسة الباحث الحالية مع الدراسات السابقة وتتفرع عنها في آنٍ واحد، نظراً لكون عنوان الدراسة يمثل إطاراً شمولياً هندسياً يجمع بين البناء الأكاديمي، والمعايير السيكمترية (الصدق والثبات) وصولاً إلى تحديات التطبيق الفعلي. ويمكن

إبراز أوجه الموازنة ومواضع التقاطع والافتراق بين الدراسات السابقة ودراسة الباحث عبر الجانب التحليلي الآتي:

أوجه الاتفاق والتقاطع:

- الاشتراك في الهدف العام: تلتقي جميع الدراسات (الفوزان، كساب، الغالي) مع دراسة الباحث في السعي نحو تطوير أدوات القياس اللغوي، والبحث عن جودة المخرجات، سواء كان ذلك من مدخل البناء المعيارى (الفوزان)، أو مدخل التقويم البديل والتشخيص (كساب)، أو مدخل المعايير الرقمية والتحديات (الغالي).

- التقاطع في تتبع التحديات: تتكامل دراسة الباحث مع "دراسة الغالي في تسليط الضوء على عتبة التحديات التطبيقية، إلا أن دراسة الباحث تتميز بوضع إطار تحليلي متكامل يربط بين الجذور (الصدق والثبات) والثمار (تحديات التطبيق).

ما تميزت به الدراسة الحالية:

تفرد هذه الدراسة عن سابقتها من الدراسات بمجموعة من الخصائص المنهجية والتطبيقية، أهمها:

- اعتمادها منهجية الهندسة اللغوية: حيث لم تتوقف الدراسة عند حدود الوصف النظرى لمعايير الجودة؛ بل تبنت رؤية هندسية متكاملة تربط بين تصميم الاختبار، وتحديات تطبيقه واقعياً؛ مما يُسد فجوة بحثية بين التنظير والممارسة الميدانية.
- ابتكار أداة تحليلية محكمة (بطاقة التحليل): تميزت الدراسة ببناء بطاقة تحليل علمية مقننة صُممت خصيصاً لتقييم الاختبارات اللغوية. وقد اكتسبت هذه الأداة قوتها العلمية من

خلال عرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين (التحكيم)؛ ممّا ضمن صدق محتواها وقدرتها على قياس ما وضعت لأجله بدقة عالية، وهو ما يوفر أداة معيارية يمكن للباحثين الآخرين مستقبلاً الاعتماد عليها.

- الحداثة والمواكبة: تُعدُّ هذه الدراسة من الأبحاث الرائدة التي تجمع بين الأصالة في معايير القياس اللساني وبين المعاصرة في مواجهة التحديات التطبيقية الحديثة والخوارزميات؛ ممّا يجعلها مرجعاً تطبيقياً لمطوري المناهج ومصممي الاختبارات في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

الإطار النظري:

ويتكون من خمسة محاور:

المحور الأول: مفهوم الاختبارات وأهميتها وفوائدها

١/ التقويم والاختبار

التقويم (Evaluation) مصطلح شاع استعماله في العصر الحاضر، وبخاصة في ميادين التربية والتعليم والإدارة، وهو في اللغة العربية مصدر للفعل قَوَّمَ، الذي يدل على التعديل والاستقامة وإصلاح المَعْوَجِّ، كما يعني تقدير قيمة الشيء وتحديد ثمنه. (ابن منظور، ١٤١٢هـ، مادة قوم) أمّا من الناحية الاصطلاحية التربوية فإنَّ التقويم في أبسط تعريفاته هو: جمع معلومات - كمية أو كيفية - عن برنامج من البرامج، بطريقة علمية منظمة، وتحديد ما تم إنجازه في ضوء الأهداف المرسومة له أو أهداف المتعلمين، ثم تقديمها إلى القائمين عليه أو صانعي القرار؛ لاتخاذ قرار بشأن إبقائه أو إلغائه أو تعديله. Worthen, B. and Sanders, J. Educational Evaluation, 1987, 22.

وقد يستعمل لفظ آخر للدلالة على هذا المعنى، هو: التقييم، غير أنَّ كثيراً من اللغويين يرفضون استعماله بمعنى التقويم؛ لأنَّه مصدر للفعل قَيِّمَ، أي قدر قيمة الشيء، وليس من معانيه التعديل والاستقامة والإصلاح (أحمد مختار عمر، ١٣٩٤هـ، ١٥٠)؛ بل إنَّ من اللغويين من يرفض استعماله في هذا المعنى الأخير أيضاً، فيخطئ من يقول: تقييم الكتاب، للدلالة على قيمته؛ بحجة أنَّ كلمة قيمة فعلها قَوِّمَ ومصدره تقويم. (عباس أبو السعود، ١٩٧٠م، ٨٤-٨٥) لكن مجمع اللغة العربية قد صحح استعمال الفعل قَيِّمَ. بمعنى حدد قيمة الشيء، وفرق بينه وبين الفعل قَوِّمَ بمعنى عدل وأصلح. (أحمد مختار عمر، ١٣٩٤هـ، ١٥٠).

٢/ تعريف اختبارات اللغة:

اختبارات اللغة (Language Tests) نوع من الاختبارات التي يراد لها أن تقيس ما حصله المتعلم في برنامج معين أو مستوى معين، أو تقيس كفايته العامة في اللغة، أو تقيس استعداده اللغوي (Cohen, A. Testing Language Ability in the Classroom, 1980, 1)؛ وهي مجموعة من الأسئلة التي يطلب من الدارس المُختَبَر أن يستجيب لها، أو يجيب عنها، بهدف قياس مستواه في مهارة لغوية معينة وبيان مدى تقدمه فيها ومقارنته بزملائه (طعيمة، ١٤٢٠هـ، ٢٤٧).

٣/ أهمية الاختبارات وفوائدها:

يعتقد كثير من الناس أنَّ الهدف من الاختبار هو معرفة تحصيل المتعلم في برنامج أو منهج أو مقرر، قبل نقله من مستوى إلى مستوى أعلى منه، أو التأكد من كفايته قبل منحه شهادة النجاح في مرحلة من المراحل الدراسية. ولعل من أسباب هذا الاعتقاد حصر مفهوم الاختبار في نوع واحد أو نوعين من أنواعه، وبخاصة اختبارات التحصيل والاختبارات المعرفية الأكاديمية، وعدم التفريق في كثير من الأحيان بين اختبارات اللغة الأجنبية والاختبارات في الميادين الأخرى.

ولا شك أنَّ الوقوف على التحصيل العلمي للمتعلم من أهم أهداف الاختبارات؛ بيد أنَّ ثمة أهدافاً أخرى لا تقل عنه أهمية؛ منها ما يختص بالمتعلم، ومنها ما يختص بالمعلم أو الباحث، ومنها ما يهم القائمين على البرنامج، ومنها ما هو مشترك بين هؤلاء جميعاً؛ كالتشخيص والتغذية الراجعة، والتصفية والاختيار، والتصنيف، والتقويم، والبحث العلمي، ومعرفة الاتجاهات والميول لدى الطلاب، ما سوف نتحدث عنه بإيجاز في النقاط التالية:

١ - التشخيص والتغذية الراجعة (Diagnosis and Feedback):

من الأهداف العامة للاختبارات، بما فيها اختبارات اللغة، تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في قدرات المتعلم في جانب من الجوانب أو مهارة من المهارات. فقد يعجب المعلم بكفاية أحد طلابه في المهارات الشفهية في اللغة الهدف، من حيث نطق الأصوات والطلاقة في الحديث، ثم يكتشف من خلال نتائج الاختبار أنَّ الطالب يفتقر إلى القدرة على فهم المقروء. وقد يتبين من الاختبار أنَّ هذا التفاوت لدى الطالب سببه النقص في الثروة من المفردات أو الاهتمام بجانب من جوانب اللغة؛ كالجوانب التخصصية مثلاً، وإهمال الجوانب الأخرى. وقد يكون من المناسب تقديم ما يساعد المتعلم أو توجيهه نحو التوسع في المفردات ومعرفة معانيها وتعدد استعمالاتها (Henning, 1987, 1,2).

وسنرى فيما بعد أنَّ تحديد هذه المشكلة وغيرها من المشكلات المشابهة، ثم تقديم الحلول المناسبة لها، يعتمد على المعلومات المتوفرة عن المتعلم وخلفيته اللغوية والثقافية. ولا شك أنَّ اختبارات التشخيص من الوسائل المهمة لجمع هذه المعلومات، وربما تكون الوسيلة العلمية الدقيقة؛ لأنَّها تجمع بين التشخيص والتغذية الراجعة.

٢- التصفية والاختيار (Screening and Selecting):

من الأهداف المهمة للاختبارات اختيار عدد محدود من المتقدمين لبرنامج من برامج اللغة، سواء أكانوا من الطلاب أو من المعلمين. فقد يكون لدى هيئة تعليمية عدد محدود من المنح الدراسية للطلاب الأجانب، فيتقدم إليها عدد كبير منهم، ولا سبيل حينئذ إلى الاختيار السليم العادل إلا من خلال اختبار مقنن، يُعطى للمتقدمين، ثم يختار منهم العدد المطلوب، مِمَّن حصلوا على درجات عالية، وتوفرت فيهم الشروط المطلوبة، ولزيد من التمييز والتصفية يمكن أن يُعطى المتقدمون اختباراً مستقلاً في الاستعداد اللغوي Aptitude، أو إدخال بنود منه ضمن بنود الاختبار (Bachman, L. F., 1990, 58).

وقد تعلن هيئة من الهيئات التعليمية عن حاجتها إلى عدد محدود من معلمي اللغات الأجنبية، ثم يتقدم إليها عدد كبير منهم، مِمَّن تنطبق عليهم الشروط العامة للالتحاق، يفوق العدد المطلوب؛ فلا سبيل حينئذ إلى الاختيار السليم العادل إلا من خلال اختبار مقنن، تحدد فيه الأهداف العامة والخاصة، سواء أكانت لغوية أم تربوية أم ثقافية أم غيرها، ثم يُعطى للمتقدمين، فيختار منهم من حصلوا على درجات عالية، وتوفرت فيهم الشروط والمواصفات المطلوبة. (Bachman, 1990, 58) وهذا الاختبار قد يكون اختبار كفاية أو اختبار تحصيل أو اختباراً مهنيّاً وتربويّاً، وقد يكون اختباراً للاتجاهات والميول نحو اللغة الهدف وثقافة الناطقين به (Henning, 1987, 2).

٣- التصنيف (Placement):

عندما يلتحق الطلاب الأجانب في برنامج اللغة، يلاحظ تفاوتهم في الخلفيات اللغوية، ولو وضعوا جميعاً في مستوى واحد لم يستطع المعلم التعامل معهم، وربما لا يستفيد الكثير منهم ممّا يقدم من مواد لغوية، وبخاصة الضعاف والأقوياء منهم. لهذا ينبغي إعطاؤهم اختباراً من اختبارات

التصنيف (placement tests)، فيوضع كل منهم في المستوى المناسب له، وهناك أنواع من هذه الاختبارات التي بالسهولة النسبية، منها اختبارات ميتشجان (Michigan Tests)، واختبارات جامعة كاليفورنيا للتصنيف (2, Henning, UCLA Placement Tests).

٤- تقييم البرامج (Programs Evaluation):

تُعَدُّ الاختبارات من الأساليب الشائعة في تقييم البرامج التعليمية، وبخاصة اختبارات التحصيل؛ حيث تقدم للمقَّوم أو الباحث معلومات عن أثر التدريس على أداء الطلاب، ومدى استفادتهم ممَّا قدم لهم من مواد تعليمية. ولا يُنظر - في هذه الحالة - إلى درجة طالب بعينه، وإنَّما ينظر إلى المعدل العام للطلاب، وهو متوسط درجاتهم في الاختبار.

وغالباً ما يتطلب التقييم إجراء عدد من الاختبارات التي تقدم للطلاب؛ كالاختبارات القبليّة (pretests)، التي تقدم في بداية البرنامج وقُبيل عملية التدريس، والاختبارات البَعْدِيّة (posttests)، التي تلي العملية التعليمية، وهذا ما يعرف بالتقييم الختامي (summative evaluation)، في مقابل تقييم التقييم أو تقييم التصحيح (formative evaluation)، الذي يُجرى خلال العملية التعليمية في شكل اختبارات قصيرة (Quizzes)، تُعطى للطلاب بصورة مستمرة؛ لرصد تقدمهم أولاً بأول. بناء على ذلك يتخذ أصحاب الشأن قراراتهم بشأن إبقاء البرنامج أو إلغائه أو إيقافه أو تصحيحه (Bachman., 1990, 59).

٥- البحث العلمي:

قد تكون الاختبارات وسيلة مفيدة لجمع المادة في البحوث العلمية؛ بل إنَّها تُعَدُّ من أفضل وسائل البحث العلمي في ميدان اللغات الأجنبية. ولا يقتصر الاختبار على جانب محدود؛ بل يشمل جوانب عديدة من جوانب البحث العلمي في هذا الميدان؛ كالبحث في اكتساب مورفيات اللغة

وتراكيبها وعناصرها، والوقوف على التدرج الطبيعي في هذا الجانب، بالإضافة إلى البحث في فاعلية طرائق التدريس، واستراتيجيات التعلم، وإعداد المناهج والمواد اللغوية وتقنيات التعليم، ونحو ذلك واستعمال الاختبارات في البحوث العلمية موضوع واسع، يُصعب تفصيله في هذا الموضع.

٦- تحديد الاتجاهات والفروق النفسية والاجتماعية:

ينظر اللغويون التطبيقيون إلى العوامل النفسية والاجتماعية نظرة خاصة تفوق النظرة إلى الجوانب المعرفية. فالاتجاهات الإيجابية نحو اللغة الهدف وثقافة الناطقين بها ذات علاقة وثيقة بالنجاح في تعلمها. كما أنَّ الاختلاف بين المتعلمين من النواحي المعرفية والأكاديمية يرجع - في كثير من الحالات - إلى تفاوت في خلفياتهم الثقافية والاجتماعية. ولا سبيل إلى معرفة هذا التفاوت بشكل دقيق إلا من خلال الاختبارات (Bachman, 1990, 59).

٧- ضمان الاستمرار وتحقيق الأهداف:

يحتاج معلم اللغة إلى معرفة مستوى طلابه، والتأكد من تفاعلهم معه، واستفادتهم ممَّا يقدم لهم من مواد تعليمية، وهذا لا يتم إلا باختبار الطلاب باستعمال الاختبارات اليومية القصيرة Quizzes، التي تضمن استمرار الطلاب، وتساعد المعلم على تحسين أدائه. كما يحتاج المعلم إلى التأكد من تحقق الأهداف العامة التي يرمي واضعو المنهج إلى تحقيقها، وهذا يحتاج إلى اختبار تقارن نتائجه بالأهداف المرسومة للبرنامج (Cohen Testing, 1980, 2-3).

بالإضافة إلى ذلك؛ فإنَّ اختبارات اللغة وسيلة لنقل الطالب من مستوى إلى مستوى أعلى منه، كما أنَّها وسيلة للتأكد من قدرته على النجاح في الوظيفة المتقدم إليها، وبخاصة وظائف الترجمة، والوظائف التي تتطلب الحديث والقراءة والكتابة باللغة الهدف.

المحور الثاني: معايير الاختبار الجيد ومواصفاته

من النادر أن يخلو اختبار من النقص أو يسلم من الخطأ، بيد أن الاختبار الجيد هو الذي تقل فيه الأخطاء، سواء أكانت أخطاء لغوية أم فنية أم شكلية، وتتوفر فيه المعايير والمواصفات الأساسية اللازمة لبناء الاختبارات، بالإضافة إلى مواصفات ثانوية خاصة بكل اختبار. وسوف نقتصر هنا على المواصفات الأساسية للاختبار الجيد، وهي: الصدق، والثبات، وسهولة التطبيق، والتمييز، والموضوعية.

١. الصدق (Validity):

يقصد بصدق الاختبار مدى دقته في قياس ما وضع لقياسه، ويوصف الاختبار بأنه صادق إذا اقترب من الكمال في قياس ما أُريد له أن يقيسه. فإذا كان الاختبار قد أُعدَّ لقياس حصيلة الدارس في المفردات فإنه يكون صادقاً بقدر تركيزه على المفردات ودقته في قياسها، وعدم التعرض لعناصر أخرى كالأصوات والصرف والنحو (عبد الخالق، ١٤١٧هـ، ٤٨) والصدق في الاختبار أنواع، منها:

أ- الصدق الظاهري (Face Validity): ويمكن الوصول إليه عن طريق سؤال الطلاب المتحنيين عن صعوبة الامتحان وسهولته، وطوله أو قصره، وشموله للمنهج أو المقرر، ونحو ذلك. وهذا النوع من الصدق مبدئي يعتمد على الملاحظات والآراء والانطباعات، ولا يعول عليه كثيراً إلا في اختبارات التحصيل (Henning, 94-96).

ب- صدق المحتوى (Content Validity): ويقصد به أن يعكس الاختبار ما وُضع من أجله، فإذا كان الاختبار تحصيلياً؛ فينبغي أن يركز على المحتوى الذي درسه الطلاب من الكتاب المقرر،

وأن تكون الأسئلة موزعة عليه توزيعاً عادلاً، وقد يتطلب هذا تحليلاً دقيقاً لمحتوى اللغة ومهاراتها.

ج- الصدق في صحة الاستجابة (Response Validity) وتقاس صحة الاستجابة بمدى تناسق إجابة المختبرين، وعدم اضطرابها أو تناقضها، وهذا النوع قد يحتاج إلى إجراء مقابلات مع الطلاب الممتحنين؛ لاستطلاع آرائهم في البحث عن سبب الغموض.

د- الصدق التلازمي (Concurrent Validity): وهو معياري شبه تجريبي، يعتمد على جمع المعلومات بطريقة علمية، ويمكن الحصول عليه من خلال مقارنة نتائج الاختبار بنتائج اختبار آخر ثبت صدقه وأعطى للطلاب في اليوم الذي أخذ فيه هذا الاختبار المراد فحصه، وبقدر تشابه النتيجة في معايير الارتباط يمكن الحكم على صدق الاختبار المراد فحصه؛ لهذا يسمى هذا النوع من الصدق بالصدق الإحصائي (Henning, 1987, 94-96).

هـ- الصدق في التوقع (Predictive Validity): وهذا النوع قريب من سابقه ويقصد به صدق توقع نجاح الطالب في برنامج ما كالدراسة الجامعية أو الدراسات العليا مثلاً، إذا أجاد في هذا الاختبار، ويتم التأكد من هذا الصدق من خلال الربط بين درجة الطالب في هذا الاختبار ومعدله التراكمي في الجامعة فيما بعد. فإذا ثبت أن من اجتاز هذا الاختبار اللغوي بدرجة معينة تمكن من النجاح في الدراسة الجامعية بمعدل تراكمي معين، أي كانت معايير الارتباط بينهما مرتفعة فهذا يعني توفر صدق التوقع في هذا الاختبار، وإلا فلا. وغالباً ما يصعب التأكد من هذا النوع من الصدق، وبخاصة عندما لا تتوفر في الاختبارات الجامعية مواصفات الاخبار الجيد.

و- صدق البناء (Construct Validity): ويسمى الصدق التكويني، وهذا النوع من الصدق تجريبي يعتمد على فرض الفروض، وجمع المعلومات، ثم اختبار الفروض بناء على ذلك، غير أنه لا يعتمد على اختبار أو معيار آخر يقارن به. وصدق البناء يعتمد على نظرية نفسية تسمح

لنوع من التوقع لسلوك بعض العوامل أو كيفية تأثرها ببعض العوامل الأخرى. بناء على ذلك، ينظر إلى العامل أو العوامل المتوقعة تأثيرها فيه عند فرض الفروض، فإذا كانت النتيجة إيجابية كان الاختبار صادقاً من حيث البناء، وإلا فلا. وللتأكد من أن الاختبار صادق البناء لابد من فرض عدد من الفروض بطريقة منطقية ومتدرجة، وإجراء سلسلة من الاختبارات تحت ظروف مختلفة، وهذه إجراءات تحتاج إلى مهارات عالية وجهود متواصلة (Henning, 1987, 94-96).

بناء على ذلك؛ فإن أي نقص في أنواع الصدق هذه يُعدُّ عاملاً يؤثر في صدق الاختبار، ويقلل من درجة الثقة فيه. لهذا نبه المختصون بالاختبارات إلى عوامل كثيرة قد تؤثر في صدق الاختبار، منها:

- أ- تطبيق الاختبار تطبيقاً سليماً ولو كان الاختبار في أصله صادقاً. فاختبار الكفاية مثلاً لا يكون صادقاً إذا استعمل لقياس التحصيل اللغوي لبرنامج معين رسم لأهداف محددة.
- ب- اختيار محتوى غير مناسب لمستوى الطالب أو غير شامل لأهداف المادة، أو لم يقدم للطلاب أثناء العملية التعليمية، وغير ذلك مما يُعدُّ نقصاً في صدق المحتوى.
- ج- النقص في تعاون المختبرين وعدم اكترائهم بنتائجه، أو جهلهم بكيفية التعامل معه؛ مما يسبب خللاً في صدق الاستجابة.
- د- أن يُعطى الاختبار لمجتمع غير المجتمع الأصلي الذي أُعدَّ له، وهذا قريب من سابقة، فلو أُعدَّ اختبار لمتعلمي اللغة العربية بوجه عام، وتم التأكد من صدقه، ثم أعطى للناطقين بالأردية فقط فإنَّ نتائجه لن تكون صادقة مقارنة بالناطقين باليابانية مثلاً؛ لقدرتهم على القراءة السريعة؛ لأنَّ لغتهم تكتب بالحرف العربي، ولارتباطهم الوثيق بالثقافة الإسلامية؛ مما يؤثر على النتيجة العامة.

ه- النقص في اختيار المعيار الذي قيس عليه صدق الاختبار، سواء أكان الصدق المراد قياسه صدقاً تلازمياً أم صدقاً توقعياً (Henning, 1987, 94-96).

٢- الثبات (Reliability):

يقصد بثبات الاختبار: الحصول على نتائج متشابهة أو متماثلة لاختبار واحد عند تطبيقه على مجموعة واحدة أكثر من مرة في مدة قصيرة، أو على مجموعة مشابهة للمجموعة الأولى في ظروف مشابهة. فإذا كانت النتائج متقاربة أمكن الحكم على الاختبار بأنه ثابت بقدر درجة هذا التقارب بين النتائج. فالاختبار بمثابة المقياس المتري للأشياء، فإذا كان من معدن متين فإنه يقيس الأشياء آلاف المرات بدرجة واحدة مهما كان الشخص الذي يستخدمه، وإن كان من المطاط فسوف يتغير كل مرة عن الأخرى حسب الاستعمال من حيث الشد الإرخاء (عبد الخالق، ٣٩، د.ت).

وقد تختلف نتائج الاختبار أحياناً لكن بطريقة مطردة، كأن يرتفع معدل كل طالب من المجموعة في الاختبار الثاني عنه في الاختبار الأول؛ نتيجة تقدم في المستوى العام للطلاب، فهذا النوع من الاختلاف لا يؤثر في الحكم على الاختبار؛ بل يزيده ثباتاً. وهذا يعني أن ثمة ثباتاً في الاختبار لكل فرد من المجموعة المختبرة، مثل أن يحصل كل فرد على النتيجة التي حصل عليها في الاختبار الأول أو الاختبارات السابقة، أو يزيد عليها بطريقة مطردة. أمّا ثبات الاختبار في المعدل العام للمجموعات المختبرة فهذا موضع خلاف، والأولى أن يعد مؤشراً على الثبات إذا لم تتفاوت مستويات كل فرد تفاوتاً ظاهراً.

والمعروف أن أي اختبار، مهما بلغ من الصدق والثبات، تتأثر نتيجته ببعض الأخطاء، أي أن اختلاف النتائج بين اختبارين مثلاً لا يعني بالضرورة عدم ثبات الاختبار، ولا يعني اختلافاً في مستوى الطالب. فقد يكون بسبب خلل فني في سماع الصوت، أو عدم وضوح التعليقات، أو تخمين

بعض الإجابات، أو نحو ذلك. بيد أن ثمة عوامل تؤثر تأثيراً حقيقياً في ثبات الاختبار، منها:

أ- تذبذب المتعلم وتأرجح إجابته واختلافها من وقت لآخر؛ ممّا يقلل من درجة معامل الارتباط. ولهذا التأرجح عدة صور منها التغير في الإجابات الصحيحة؛ بسبب النضج العلمي أو الجسمي، والتعلم أو النسيان، ومنها التغير المؤقت لدى المتعلم من الناحية النفسية كالإرهاق والتعب والمرض، وانشغال الذهن، وكثرة التدريب على الاختبار وغير ذلك.

ب- التذبذب في علامات الاختبار نتيجة عدم الدقة في تقدير الدرجات واختلافها من مصحح لآخر؛ بسبب تفاوت في خبراتهم، أو اختلاف في نظراتهم إلى الطالب أو الموضوع أو تقدير الدرجات أو غير ذلك.

ج- التذبذب في طريقة إجراء الاختبار نفسه نتيجة مشكلة في إجراء الاختبار، ويظهر هذا التذبذب غالباً عندما يُعطى الاختبار لمجموعات متباعدة في أوقات مختلفة أو أيام متباعدة، وقد يحدث هذا التذبذب بسبب عدم وضوح التعليمات للطلاب، أو بسبب عدم السيطرة على الغش.

د- التذبذب في بيئة الاختبار؛ فتختلف النتائج بسبب اختلاف هذه البيئات. فالمجموعة التي يحدث لها انقطاع للكهرباء أو خلل في التسجيل وقت الامتحان، أو يحدث داخل القاعة شجار أو غير ذلك من المشكلات، لا شك أن أدائها سوف يختلف عن أداء المجموعة الأخرى التي لم يحدث لها شيء من ذلك.

هـ- مشكلات داخل الاختبار نفسه، كأن يكون الاختبار سهلاً جداً، أو يكون صعباً صعباً زائدة؛ ممّا يسبب تجمع درجات الطلاب في حيز متقارب، فلا يمكن التمييز بين مستوياتهم. وقد تكون المشكلة في طول الاختبار وزيادة فقراته زيادة مفرطة، أو بناء نصوصه بناء

مصطنعاً؛ ممّا قد يسبب صعوبة الاستمرار في التركيز، واللجوء إلى التخمين. كل ذلك يقلل من درجة الثقة في الاختبار (Henning, 1987, 75-77).

ثالثاً: العلاقة بين الصدق والثبات

ذكرنا من قبل أنّ الصدق يعني: أن يقيس الاختبار ما أُريد له أن يقيسه، وأنّ الثبات يعني: الحصول على نتائج متشابهة أو متماثلة لاختبار واحد عند تطبيقه على مجموعة واحدة أكثر من مرة في مدة قصيرة، أو على مجموعة مشابهة للمجموعة الأولى في ظروف مشابهة. نستنتج من هذين التعريفين وجود علاقة حميمة وتلازم وثيق بين صدق الاختبار وثباته؛ فكلاهما شرط أساس من شروط الثاني (الصدق) في معظم الحالات، بيد أنّ هذا الشرط غير كافٍ. بناءً على ذلك، فإنّ الاختبار يمكن أن يكون ثابتاً من غير أن يكون صادقاً، وذلك في حالات خاصة، لكن العكس غير ممكن؛ إذ لا يعقل أن يكون الاختبار صادقاً وهو غير ثابت، ولتوضيح هذه العلاقة بينهما نعطي الأمثلة التالية:

مثلاً لو أجرينا اختباراً في مقرر النحو ثلاث مرات لطلاب في المستوى المتوسط، وحصل الطلاب فيه على درجات متقاربة في المرات الثلاث، حوالي ٤٠٪ مثلاً، فإنّ هذا قد يُعدّ مؤشراً أو دليلاً على ثبات الاختبار، بيد أنّ هذا الثبات لا يعني بالضرورة أنّ الاختبار صادق. فقد يكون السبب في حصول الطلاب على هذه النسبة الضعيفة في المرات الثلاث وجود نسبة عالية من الأسئلة التي لا علاقة لها بمقرر النحو؛ كأن تكون أسئلة في موضوعات عامة أو خاصة، تتطلب تذكر أرقام أو معلومات محددة. وقد يكمن السبب في احتواء الاختبار على كلمات صعبة جداً لم يدرسها الطلاب من قبل؛ فأثرت على فهم الأسئلة، ومن ثم الإجابة عنها، أي أن هذا الاختبار لا يمثل المادة تمثيلاً صادقاً. (طعيمة، ١٤٢٠هـ، ٢٤٨).

٣. العملية (Practicality):

يوصف الاختبار بأنه عملي أيضاً إذا لم يتطلب من المعلم أو المعد جهداً شاقاً فوق العادة في الإعداد والتطبيق والتصحيح، ولم يحتتم على الطلاب استخدام أدوات معينة مكلفة، أي أن الاختبار العملي هو الذي يكون سهل الإعداد والتطبيق.

فمن حيث الإعداد ينبغي ألا يستغرق إعداد الاختبار وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً في جمع المواد اللغوية واختيارها وترتيبها وتقديمها. فقد لوحظ أن كثيراً من الاختبارات الموضوعية المقننة التي استغرق إعدادها سنوات عدة، صدرت منها نسخة واحدة، أو عدد محدود من النسخ مرة واحدة، ولم تعد التجربة مرة أخرى، ولم يعد بالإمكان مراجعتها أو تقويمها فضلاً عن تعديله؛ بل أصبح الكثير منها نماذج مصورة، يحفظها الطلاب ويحيون عن أسئلتها إجابات شبيهة بالإجابات عن الاختبارات التحصيلية.

ومن حيث التطبيق، ينبغي أن يكون الاختبار سهل التطبيق والتصحيح. ونقصد بسهولة التطبيق إمكان تطبيقه في حدود الإمكانيات المادية والزمنية المتوفرة للمعلمين والطلاب، وهذا ما عبر عنه بعض الباحثين بالاعتقاد في الوقت والجهد والمال. فمن سهولة التطبيق ألا يتطلب إجراء الاختبار توفير أجهزة معقدة أو غالية الثمن تفوق قدرات الجهة المنفذة، أو توافر قاعات ومقاعد خاصة بهذا الاختبار. ومن سهولة التطبيق أيضاً ألا يستغرق إجراء الاختبار وقتاً طويلاً جداً، أو يستهلك كمية كبيرة من الأوراق، أو نوعاً خاصاً من الأقلام والأدوات الغالية الثمن.

ومن سهولة التصحيح ألا تكون الإجابات طويلة جداً، أو مكتوبة على ورقة الإجابة بحيث يصعب تصحيحها آلياً، وبخاصة مع الأعداد الكبيرة من الممتحنين. لهذا ينصح في مثل هذه الحالة أن يُعدَّ الاختبار بحيث يمكن تصحيحه باستخدام الحاسوب أو الأوراق المثقوبة. (عبد الخالق،

١٤١٧ هـ، ٥٣).

٤. التمييز (Discrimination):

صفة من صفات الاختبار الجيد، يقصد به أن يكون الاختبار مبيناً الفروق بين الطلاب، ومميزاً الأقوياء من الضعفاء والمتوسطين. وتقاس هذه الصفة بسعة المدى في درجات الطلاب؛ فكلما اتسع هذا المدى أمكن وصف الاختبار بالتمييز بقدر هذه السعة. فإذا كانت درجات الطلاب في اختبار ما تتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ٩٠٪ فإنَّ درجة التمييز في هذا الاختبار عالية. أمّا إن كان المدى في نتائج الاختبار قليل جداً، لا يتعدى بضع درجات، كأن تتراوح درجات الطلاب فيه ما بين ٧٨٪ إلى ٨٢٪، فإنَّ هذا الاختبار لا يميز بين الطلاب، ولا فرق بين طالب حصل فيه على ٨٠٪ وطالب آخر حصل على ٨٢٪. علماً بأنَّ الحاجة إلى التمييز تختلف تبعاً للهدف الذي وُضع من أجله الاختبار؛ فاختبارات الكفاية أحوج إلى هذه السمة من اختبارات التحصيل مثلاً. كما أنَّ اختبارات الكفاية تحتاج إلى مدى أوسع مما تحتاجه اختبارات التحصيل؛ فتراوح درجات الطلاب ما بين ٨٠٪ إلى ٩٥٪ تعد كافية للتمييز في الاختبارات التحصيلية، بيد أنَّ هذه النسبة غير كافية في كثير من اختبارات الكفاية؛ بل إنَّ حصول جميع الطلاب على مثل هذه النسبة العالية تُعدُّ عيباً من عيوب اختبارات الكفاية.

ولكي يتحقق هذا الهدف ينبغي توخي الدقة قدر الإمكان في مدى سهولة الأسئلة وصعوبتها؛ بحيث لا تكون كلها صعبة يبرز فيها المتفوقون فقط، ولا متوسطة يجب عنها المتفوقون والمتوسطون دون الضعاف، ولا سهلة جداً يجب عنها الجميع بلا تمييز. لهذا ينبغي صياغة الأسئلة صياغة جيدة سليمة، بعيدة عن الغموض واللبس؛ بحيث لا يكون للسؤال إلا تفسير واحد. وتقاس درجة التمييز في السؤال بقدر قربه من النتيجة العامة للاختبار، أي أن السؤال الجيد هو السؤال المميز الذي تتفق نتيجته مع النتيجة العامة للاختبار.

وللتأكد من تحقق سمة التمييز في الاختبار؛ ينبغي تجريبه على عينة ممثلة لمجتمع الاختبار المراد تطبيقه فيه، ثم تحليل بنوده تحليلاً علمياً دقيقاً، وفي ضوء الإحصاءات المبدئية تحذف البنود السهلة جداً التي أجاب عنها كل الدارسين، وتحذف البنود الصعبة جداً التي لم يجِب عنها أحد من الدارسين أو أجابت عنها نسبة ضئيلة منهم. (عبد الخالق، ١٤١٧هـ، ٥٤).

٥. الموضوعية (Objectivity):

الموضوعية صفة أخرى من صفات الاختبار الجيد، يقصد بها وضوح الاختبار في الأهداف والتعليمات والبنود، وتوفر المناخ اللازم لأداء الاختبار، وعدم تأثير شخصية المصحح على تقدير درجات الطلاب في الاختبار (طعيمة، ١٤٢٠هـ، ٢٤٧).

فالاختبار يُعدُّ موضوعياً إذا كان واضحاً عادلاً، يعطي الدرجة نفسها، بغض النظر عن مصححه. وتحقق الموضوعية في الاختبار من ثلاث نواحٍ:

الأولى: الموضوعية في الوضع؛ بحيث يكون الاختبار واضحاً في أهدافه وتعليماته وبنوده، بغض النظر عن يقوم بتنفيذه وتطبيقه، وأن يفهم الطلاب المطلوب منهم بدقة ووضوح، وأن يكون لكل سؤال من أسئلته تفسير واحد وإجابة واحدة وإن اختلف الأسلوب؛ بحيث لا تسمح صياغة السؤال بفهم معنى آخر غير المعنى المقصود؛ لأن الاختلاف في فهم المضمون نتيجة لبس أو غموض في الصياغة يؤثر في صدق الاختبار، وقد يؤثر في ثبات نتائجه؛ فلا يكون حينئذ موضوعياً.

الثانية: الموضوعية في التصحيح ورصد الدرجات؛ بحيث لا تتأثر درجة الطالب فيه بشخصية المصحح؛ فتختلف نتائج الاختبار بحسب طبيعة المصحح أو فهمه للسؤال أو الإجابة عنه أو بحسب معرفته بالطالب.

الثالثة: العدل، والعدل في الاختبار مفهوم واسع، يشمل العدل في توفير المناخ والظروف اللازمة لأداء الاختبار بشكل عادل لجميع الطلاب، ويشمل العدل في الزمن والوضع والتصحيح ورصد الدرجات، كما يشمل العدل في الصعوبة والسهولة؛ فلا يكون صعباً جداً ولا سهلاً جداً.

وهذه الشروط لا تتوفر بشكل جيد إلا في الاختبارات الموضوعية التي تقيس الكفاية اللغوية العامة لدى المتعلم. فالاختبارات المقالية الذاتية غالباً ما تختلف الإجابات عن أسئلتها تبعاً لاختلاف في فهم السؤال واختلاف في ثقافة الطالب ومعرفته باتجاهات المعلم أو واضع الاختبار، أما الاختبارات الموضوعية التي لا تختلف إجاباتها؛ لأنها محدودة، لا تتعدى الصواب والخطأ، أو ملء الفراغات، أو الاختيار من متعدد الخيارات. والاختبارات التحصيلية، المرتبطة بكتاب مقرر أو محتوى محدد، قد يتوفر فيها شرط أو شروط محدودة من شروط الموضوعية، بيد أنها قاصرة على طلاب في فترة زمنية أو مكانية محدودة. (عبد الخالق، ١٤١٧هـ، ٥٦).

المحور الثالث: أنواع الاختبارات

الاختبارات أنواع كثيرة متنوعة، يمكن تصنيفها في مجموعات بحسب أهدافها، وطرائق بنائها، وأساليب تصحيحها، ونوع القائمين عليها. وقد تشابه هذه الأصناف مع بعضها؛ بسبب تداخل الاختبارات نفسها وتشابهها في الأهداف، وطرائق البناء، وأساليب التصحيح، كما أن بعضها يشمل البعض الآخر، أو يكون جزءاً منه، بحسب النظرة إلى الاختبار، وطريقة التصنيف، من حيث الهدف، أو البناء، أو طريقة التصحيح. وسوف نتحدث في هذا الفصل عن أهم هذه الاختبارات، وأكثرها شيوعاً في الميدان، مع الإشارة إلى ما بينها من تشابه وتداخل.

١. اختبارات المقال (Essay Tests):

اختبارات المقال أو الاختبارات الذاتية، أي غير الموضوعية (Subjective Tests)، كما يطلق عليها أحياناً، من أقدم الاختبارات وأكثرها استعمالاً في معاهد تعليم اللغة العربية، واختبار المقال هو الاختبار الذي يطلب فيه من المتعلم أن يجيب عن أسئلة الاختبار إجابة موسعة تشبه المقال أو التعبير الحر. من أمثلة هذا الاختبار أن يطلب المعلم، أو معد الأسئلة، من الطالب أن يجيب عن سؤال في مقرر النحو يقول فيه مثلاً: اذكر الأسماء الخمسة مع التمثيل، أو يقول في مقرر التعبير: تحدث عن مدينة الرياض مقارناً بينها وبين عاصمة بلدك، أو: تحدث عن مشاعرك تجاه تجمع المسلمين في مكة المكرمة في موسم الحج، وهكذا.

وهذا الاختبار سهل الإعداد، ومناسب لقياس الجوانب المعرفية في السلوك، والوقوف على قدرة المتعلم على التعبير وترتيب المعلومات وسلامتها من الأخطاء. بيد أن هذا الاختبار لا يغطي إلا جانباً محدوداً من المنهج، كما يؤخذ عليه طول الإجابات، وانعدام الدقة في وضع الدرجات؛ حيث يعتمد على الحكم الشخصي للمصحح وخلفيته عن الموضوع؛ لأنَّ معدَّ الاختبار أو مدرس المقرر هو الذي يقوم بتصحيح الأوراق ووضع الدرجات، وفي هذا صعوبة، وإهدار للوقت والجهد. (، 1987, Henning P4)

ويمكن تلافي هذه العيوب في اختبارات المقال إذا كانت الإجابات المطلوبة قصيرة وواضحة، وأمكن تغطية الجزء الأكبر من المنهج. كما يمكن تلافي الذاتية والاقتراب من الموضوعية في هذه الاختبارات إذا حددت فيها درجات كل فقرة أو جزء من الفقرة داخل السؤال الواحد بدقة، واستخدمت فيها وسائل علمية لجمع الدرجات، مثل الجداول التي تخصص فيها حقول ومربعات توضع فيها درجة كل فقرة أو جزء منها، ثم تجمع في نهاية الجدول. وإذا توفرت هذه الأمور أمكن أن يشترك في التصحيح أكثر من شخص.

٢. الاختبارات الموضوعية (Objective Tests):

الاختبارات الموضوعية نوع من الاختبارات التي تتميز بطريقة خاصة في الإعداد وتقدير الدرجات، ويستخدم في تصحيحها مفاتيح للإجابات يمكن أن يقوم بها أي فرد من غير حاجة إلى تدريب ولا معرفة بالمادة أو بمحتوى الاختبار (Henning, 1987, P4).

والاختبارات الموضوعية أنواع نذكر منها:

- أ- الاختبار متعددة الاختيارات (Multiple Choice Test)، وفيه يقدم الطالب سؤال أو مشكلة تحتها مجموعة من البدائل، يختار منها الإجابة الصحيحة. يستعمل هذا النوع في اختبار الطلاب في أنواع من المهارات والعناصر اللغوية، كفهم المسموع، والقراءة، والقواعد، ومقررات العلوم الشرعية، والسيرة النبوية.
- ب- اختبار الصحة والخطأ (True-false Test)، وفيه يقدم للطالب عبارة أو إجابة ويطلب منه تحديد ما إذا كانت صحيحة أم خطأ. ويدخل في هذا النوع اختبار المهارات والعناصر اللغوية الواردة في الاختبار السابق.
- ج- اختبار التكملة (Completion Test)، وفيه تقدم للطالب جمل حذفت بعض كلماتها ويطلب منه كتابتها في أماكنها الصحيحة. يستفاد من هذا النوع في اختبار الكفاية اللغوية، ومن النادر أن ترتبط مواد هذا الاختبار بمقررات محددة.
- د- اختبار المزاوجة (Matching Test)، وفيه يقدم للطالب عمودان من الكلمات أو العبارات ويطلب منه ربط كل كلمة أو عبارة في العمود الأول بما يناسبها من العمود الثاني. (طعيمة، ١٤٢٠هـ، ٢٥٠).

تتميز الاختبارات الموضوعية بجميع أنواعها بارتفاع مستوى الصدق والثبات فيها،

وشمولها لمعظم أجزاء المنهج، وتحديد المهارة المراد قياسها، كما تتميز بالدقة وسهولة التصحيح، والموضوعية في تقدير الدرجات؛ بل إنَّ معظم هذه الاختبارات تصحح بواسطة الحاسوب، فتوفر كثيراً من الوقت والجهد والمال.

بيد أنَّ لهذه الاختبارات عيوباً، أهمها صعوبة الإعداد، حيث يتطلب وضع الاختبار مهارة عالية وقدرة على اختيار المفردات وتحديد البدائل وصياغتها صياغة دقيقة وواضحة، ولا شك أنَّ هذه الأمور تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً متواصلاً، فضلاً عن عجز هذه الاختبارات عن قياس بعض المهارات والقدرات كالقدرة على التعبير والابتكار ونحو ذلك. وقد تبتعد هذه الاختبارات عن الموضوعية وتقترب من الذاتية إذا أُسيء استعمالها؛ لغموض في الأسئلة، أو تفاوت في توزيع الدرجات، أو اقتصار على جزء من المنهج، أو نحو ذلك.

٣. الاختبارات المباشرة (Directed Tests):

يقصد بالاختبارات المباشرة الاختبارات التي تقيس الظاهرة المراد قياسها بطريقة مباشرة. فاختبار القدرة على الاتصال من خلال المقابلة الشخصية يُعدُّ اختباراً مباشراً للكفاية اللغوية التي يمثلها الأداء الكلامي، واختبار القدرة على التعبير الكتابي من خلال التعبير الحر يعد اختباراً مباشراً. كما أنَّ اختبار مقررات النحو والصرف والبلاغة والأدب من خلال الأسئلة المباشرة يعد اختباراً مباشراً؛ بل إنَّ معظم الاختبارات التحصيلية تعد من الاختبارات المباشرة.

ولا شك أنَّ للاختبارات المباشرة فوائد في حالات خاصة؛ كالتشخيص، وتحديد المشكلات التعليمية وعلاجها، لكنها غالباً ما تكون محدودة الأهداف، غير مضمونة النتائج؛ لأنَّ إجابات الطالب فيها ربما لا تنم عن كفاية لغوية حقيقية (طعيمة، ١٤٢٠هـ، ٢٥١).

٤. الاختبارات غير المباشرة (Indirect Tests):

يقصد بالاختبارات غير المباشرة الاختبارات التي تقيس الظاهرة المراد قياسها بطريقة غير مباشرة. فالاختبارات الموضوعية بجميع أنواعها تُعدُّ اختبارات غير مباشرة للكفاية اللغوية، والمقابلة الشخصية قد تفيد في معرفة ثقافة المتعلم ورصيده من المفردات، والتعبير الكتابي الحر، الذي يُعدُّ اختباراً ذاتياً، قد يكون اختباراً غير مباشر للمفردات أو للصرف أو للنحو أو لموضوع فرعي من موضوعات النحو والصرف.

وهذه الاختبارات غالباً ما تكون متوفرة وسهلة الإعداد والتصحيح، لكن الاقتصار عليها قد يحول دون تحقيق الهدف المطلوب، وربما لا تقدم نتائج الاختبار صورة صادقة للمهارة المراد قياسها لدى الطالب الممتحن، إذا لم يكن موجهاً إليها توجيهها مباشراً.

٥. اختبارات النقاط المنفصلة (Discrete-Point Tests):

اختبارات النقاط المنفصلة نوع من الاختبارات التي يركز فيها على عنصر واحد من عناصر اللغة أو مهارة واحدة من مهاراتها، أو جانب من جوانب المهارة. فاختبارات القراءة والكتابة والصرف والنحو والإملاء وتمييز الأصوات مثلاً تُعدُّ اختبارات لنقاط وعناصر لغوية منفصلة، تقدم للمتعلم في شكل اختبارات موضوعية أو مقالية.

وهذه الاختبارات سهلة الإعداد، وتخدم أهدافاً محددة وواضحة، كما أنها تفيد في تشخيص مشكلات الطلاب، وتحديد مواطن القوة ومواطن الضعف لديهم، كما تفيد في التأكد من أثر التدريس علاجاً للمشكلة. إلا أن هذه الاختبارات لا تعطي صورة كاملة عن مستوى المتعلم وتقدمه في المهارات الأخرى، وقد يكون تقدير الدرجات فيها ذاتياً إذا قدمت في صورة اختبارات مقالية (Henning, 1987, 5).

٦. الاختبارات التكاملية (Integrative Tests):

الاختبارات التكاملية هي الاختبارات التي لا تقتصر على اختبار الطالب في مهارة واحدة من مهارات اللغة أو عنصر واحد من عناصرها؛ بل تغطي معظم جوانب اللغة ومهاراتها، وتكون نتائجه دليلاً على تقدم المتعلم أو تخلفه في اكتساب اللغة بوجه عام. ومن أمثلة هذه الاختبارات اختبار القدرة على التعبير من خلال المقابلة، واختبار القدرة على الكتابة من خلال الاتصال، وغير ذلك من الاختبارات التي تدخل ضمن اختبارات الكفاية اللغوية، وهي في معظمها اختبارات تعبيرية أو موضوعية غير مباشرة (الفوزان، ٢٠١١م، ١٥٣).

وهذه الاختبارات تكاملية، كما يبدو من اسمها، تشمل المهارات الأساسية للغة، وغالباً ما تكون سهلة التصحيح، مع الدقة في تقدير الدرجات، بيد أن إعدادها يحتاج إلى مهارة خاصة إذا كانت من الاختبارات الموضوعية.

٧. اختبارات التحصيل (Achievement Tests):

يستعمل اختبار التحصيل أو الاختبار التحصيلي لقياس كمية ما حصله الطالب في منهج أو مقرر، أو محتوى تعليمي موصوف بصفات معينة وأهداف واضحة في فترة زمنية محددة. يستعمل هذا الاختبار غالباً في نهاية الفصل أو العام الدراسي؛ لنقل الطالب من مستوى تعليمي إلى مستوى آخر، ويقوم بإعداده معلم المادة. وعندما يركز في الأسئلة على جانب أو جوانب محددة من جوانب المحتوى لغرض معين يسمى هذا الاختبار عندئذ اختبار تشخيص. وقد يستفاد منه في تقييم البرنامج والوقوف على مدى استفادة الطلاب منه.

واختبارات التحصيل تكون على هيئة اختبارات مقالية أو اختبارات موضوعية، وقد تكون شفوية أو تحريرية، والأسئلة فيها ينبغي أن تغطي قدراً كبيراً من المنهج المقرر، ولا تخرج - في العادة -

عن إطار هذا المنهج بأسلوب مباشر ما أمكن، وحسب ما تم تدريسه بالفعل (6, Henning, 1987).

وهذه الاختبارات هي المعمول بها في معظم برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والتي تعتمد اعتماداً كلياً على الكتب المقررة، وهي ضرورية للتأكد من تحصيل الطالب ونقله من مرحلة إلى مرحلة أخرى، كما أنّها مهمة للتشخيص أحياناً ولتقويم بعض جوانب البرنامج أحياناً أخرى. لكن يصعب أن تغطي هذه الاختبارات جميع جوانب المنهج، وبخاصة عندما تكون اختبارات مقالية. وقد أسيء استخدامها في كثير من برامج تعليم اللغة العربية، لاعتقاد الكثير من القائمين على هذه البرامج أنّها المعيار الوحيد للوقوف على تقدم المتعلم في برامج اللغة. ولعل سبب هذا الاعتقاد هو حصر مفهوم اللغة فيما تحويه هذه المقررات، وهذه نظرة ضيقة لمفهوم اللغة، فاللغة أوسع من هذا بكثير؛ بدليل أن المتعلم قد ينجح في الاختبار التحصيلي في برنامج معين يتفوق، لكنه يرسب في اختبار الكفاية. لهذا ينبغي أن تكون الاختبارات التحصيلية جزءاً من التقويم العام للمتعلم، ومقدمة لاختبار الكفاية لا بديلة عنه.

٨. اختبارات الكفاية (Proficiency Tests):

اختبارات الكفاية هي الاختبارات التي تقيس الجوانب العامة لدى متعلم اللغة قياساً شاملاً لجميع المهارات اللغوية، ولا ترتبط بمقرر أو محتوى محدد درسه المتعلم في برنامج معين. فهي اختبارات تقيس التحصيل اللغوي العام للمتعلم، وتبين مدى استفادته مما تعلمه في الفهم والأداء لجانب اللغة؛ المنطوق والمكتوب.

ومن حيث الأهداف فإنّ اختبارات الكفاية تقابل عادة باختبارات التحصيل؛ لأنّ الأولى تنظر إلى الأمام، أي إلى كفاية الدارس في القيام بالمهام التي تطلب منه مستقبلاً، سواء أكانت أكاديمية أم كانت عملية، أمّا الثانية فتتنظر إلى الخلف، أي إلى ما درسه الطالب فعلاً وما حصله في برنامج

اللغة ضمن المواد المقررة.

وكما تكون اختبارات الكفاية شاملة لجميع المهارات اللغوية، فإنَّها قد تكون شاملة لمهارة واحدة من مهارات اللغة، كمهارة الكلام فقط، أو مهارة الكتابة فقط أو نحو ذلك، بشرط أن يتصف الاختبار بالشمول، ولا يقتصر على جانب واحد من جوانب المهارة المطلوبة. (Henning, 1987, 7).

ولأنَّ اختبارات الكفاية عادة ما تكون عامة وشاملة، وتعتد لدارسين من خلفيات متباينة؛ فإن مادتها التي تُبنى عليها الأسئلة تُؤخذ من مصادر كثيرة في تخصصات مختلفة. وهذا التنوع مهم للتأكد من أنَّ الحاصل على الدرجة المطلوبة قادر على النجاح في الجامعة التي يلتحق بها، أو الميدان الذي يتخصص فيه، أو الوظيفة التي يلتحق بها.

وغالباً ما تبني اختبارات الكفاية في شكل اختبارات موضوعية، تشمل مهارات اللغة الأربع، ويتكون الاختبار- في العادة- من عدد الأجزاء التي تغطي هذه المهارات؛ كفهم المسموع، والقواعد، والمفردات، والقراءة، والكتابة. ومن الأمثلة على ذلك اختبارات اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة أجنبية التي منها:

.Michigan Test ،Test of English as a Foreign Language (TOEFL)

ويمكن أن تقدم في شكل اختبارات مقال مطول أو تعبير حرّ، وقد تكون في شكل مقابلة أو حديث مطول، بشرط أن يكون الهدف معرفة كفاية الطالب المختبر في اللغة أو في مهارة من مهاراتها الأساسية.

واختبارات الكفاية، كما يتضح في اسمها، مهمة في تقويم الدارسين، والتأكد من تمكنهم من

اللغة الهدف؛ لأن اختباراتنا عادة ما تكون موضوعية شاملة لمهارة اللغة وعناصرها. ويستفاد منها في تصنيف الطلاب، ونقلهم من مستوى إلى مستوى آخر، كما يستفاد منها في تقويم البرامج والمناهج والمقررات، بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية التي هي قياس الكفاية اللغوية العامة لدى متعلم اللغة.

وهذه الاختبارات سهلة التصحيح مع الدقة والموضوعية في تقدير الدرجات، لكن إعدادها لا يمكن أن يقوم به فرد؛ بل يحتاج إلى مهارات عالية ونفقات مالية باهظة، وغالباً ما تقوم به هيئات علمية لديها عدد كافٍ من الباحثين والمتخصصين في جمع مواد الاختبارات وتنظيمها وإعدادها. كما أن إجراء هذه الاختبارات يتم على نطاق واسع، ويتسم بالسرية التامة، ويصعب تداولها بين المعلمين.

٩. اختبارات التشخيص (Diagnostic Tests):

يهدف الاختبار التشخيصي إلى مساعدة كل من المعلم والمتعلم في الوقوف على معرفة نقاط الضعف ونقاط القوة لدى المتعلم، ومدى تقدمه في تعلم عناصر محددة في برنامج معين. ولهذا النوع من الاختبارات أهمية خاصة في البحث عن الصعوبات التي يُعاني منها المتعلم، والوقوف على أسبابها، تمهيداً لعلاجها بالوسائل العلمية الناجحة (مذكور، ٢٠٠٧م، ٣٤٢).

يستطيع المعلم أن يجري الاختبار التشخيصي في فترات متقاربة أثناء التدريس، أو في نهاية كل وحدة، للتأكد من مناسبة المادة المقررة وطريقة التدريس لمستوى طلابه. فقد يكتشف في المادة صعوبة شديدة أو سهولة، فيغير في محتوى المادة أو يعدل في أساليب تقديمها بما يناسب مستوى طلابه ويحقق الهدف المنشود. وقد يشعر بوجود مشكلة لدى طلابه، فيقدم لهم اختباراً في النقاط والعناصر التي يرى ضرورة التأكد منها.

ويمكن أن يُعقد الاختبار التشخيصي في نهاية الفصل الدراسي؛ فإذا رسب عدد كبير من

الدارسين، في الصف في المادة أو في جزء منها، وجب البحث عن الأسباب، وأُعيد النظر في المحتوى أو في طريقة التدريس، أو في تصنيف الطلاب.

١٠. الاختبارات ذوات المعايير الثابتة (Criterion Referenced Tests):

يقصد بالاختبارات ذوات المعايير الثابتة الاختبارات التي يتم إعدادها قبل التخطيط للتدريس، وتنسجم مع أهدافه المقررة في البرنامج، وتقرر درجة النجاح والدرجة العليا فيها قبل عملية التدريس؛ فيعرف الطالب الحد الأدنى من الدرجة التي ينبغي أن يحصل عليها ليتقل من مستوى إلى آخر، وإلا أعاد المستوى أو المادة التي رسب فيها.

يقوم أداء المتعلم في هذه الاختبارات على أساس من الدرجة التي حصل عليها، ومدى قربها أو بُعدها عن الدرجة المطلوبة لتحقيق هدف أو أهداف معينة، والهدف هنا هو حصول المتعلم على الدرجة المطلوبة للنجاح، من غير مقارنة بأداء زملائه، وهذا ما يقصد بالمعايير الثابتة. إذا رسب عدد كبير من الطلاب يُعاد النظر في طريقة التدريس أو أداء المعلم أو محتوى المقرر، وقد يُعاد النظر في الأهداف نفسها، لكن لا يُعاد النظر في درجة النجاح بهدف نجاح المجموعة الراسبة (Henning, 1987, 8).

وهذه الاختبارات شائعة الاستعمال في كثير من برامج التعليم في العالم العربي؛ بما في ذلك تعليم اللغة العربية لغة ثانية، إلا أن درجة النجاح في هذا الاختبار غالباً ما تكون مرتفعة (٨٠-٩٠). وتأتي هذه الاختبارات في صور عدة؛ فقد تُعدّ على هيئة اختبارات مقالية، أو في شكل اختبارات موضوعية، وتكون منفصلة أو تكاملية، مباشرة أو غير مباشرة.

ولهذه الاختبارات مزايا منها:

- أ. الدقة في وضع الدرجات، وسهولة التأكد من تحقق الأهداف المرسومة؛ مما يسهل على المعلم أداء مهمته التعليمية.
- ب. أنّها مهمة ومفيدة في إعادة النظر في الأهداف أو المنهج أو المحتوى أو الطريقة.
- ج. أنّها مفيدة في حالة قلة عدد الطلاب، عندما لا توجد مجموعة أخرى أو عدد كاف من الطلاب للمقارنة، كما هو الحال في الاختبارات ذات المعايير المرجعية.
- د. عادة ما يعرف الدارسون- في هذه الحالة- مهمتهم في البرنامج وما يجب عليهم دراسته في المقرر، كما أنّهم يعرفون أسلوب الاختبار من حيث درجة النجاح والرسوب.
- هـ. أنّ الوضوح في الأهداف ودرجات النجاح يُقلل من قلق الدارسين الذي قد يحدث نتيجة عدم وضوح الرؤية لدى الكثير منهم.

كما أنّ لهذه الاختبارات عيوباً منها:

- أ. أنّها قد تقود المعلمين إلى التدريس من أجل الاختبار، وقد يتعمق هذا المفهوم لدى المتعلمين أيضاً؛ مما يؤثر على تحقيق الكفاية اللغوية.
- ب. صعوبة صياغة الأهداف صياغة دقيقة وواضحة يمكن التأكد من تحققها بهذا الاختبار.
- ج. لا يعرف المتعلم مستواه الحقيقي في اللغة في كثير من الحالات؛ بسبب عدم مقارنة أدائه بأداء زملائه.
- د. أنّ الطلبة المتفوقين لا يجدون ما يحفزهم لمزيد من التقدم إلى مستوى أعلى ممّا وصلوا إليه في الاختبار؛ لأنّ معيار التفوق محدود بسقف معين وهو الدرجة العليا في الاختبار.
- هـ. نظراً لعدم مقارنة هذا الاختبار بغيره من الاختبارات يصعب التأكد من صدق هذا الاختبار وثباته.

١١. اختبارات المهارات اللغوية (Skill Tests):

معظم اختبارات اللغة، التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة، تدخل ضمن اختبارات المهارات اللغوية؛ لأنَّ اللغة مجموعة المهارات الأربع التي هي: الاستماع والحديث والقراءة والكتابة، وكل عنصر من عناصر اللغة، كالأصوات والمفردات والقواعد، يدخل ضمن مهارة واحدة أو أكثر من هذه المهارات. غير أنَّ ما نقصده هنا باختبارات المهارات اللغوية الاختبارات التي تُعدُّ لاختبار مهارة بعينها، كاختبار فهم المسموع، واختبار مهارة الكلام، أو مهارة القراءة، أو مهارة الكتابة. (محمود الناقة، ١٩٨٥ م، ٢٩٨).

واختبار المهارة غالباً ما يكون اختبار كفاية في المهارة المعينة إذا كان شاملاً لجميع جوانبها. فاختبار فهم المسموع مثلاً يقصد به اختبار القدرة على فهم النص أو الحوار المسموع، والإجابة عن الأسئلة حوله. واختبار الكلام يمكن أن يسمى اختبار كفاية إذا قصد به اختبار القدرة على الطلاقة في الحديث، وتوصيل الرسالة إلى السامع، بشكل صحيح لغوياً ومقبولاً اجتماعياً، وهكذا في مهارتي القراءة والكتابة. أمَّا إنَّ كان الاختبار مقصوراً على أجزاء داخل مهارة معينة، كاختبار المعلم طلابه في نطق أصوات معينة، وقدرتهم على التمييز بين الأصوات المتشابهة، من خلال الإيماء، أو الاستجابة الجسدية لأوامر معينة داخل الفصل، فلا يُعدُّ اختباراً كافياً.

واختبار المهارات يكون موضوعياً كما يكون ذاتياً، ويكون منفصلاً كما يكون تكاملياً، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وقد يكون الهدف من اختبارات المهارات تقويمياً لمنح المتعلم شهادة أو لنقله من مستوى إلى مستوى آخر، وقد يكون الهدف منه التصنيف أو التشخيص أو غير ذلك. فاختبارات المهارات إذن يمكن أن تدخل ضمن أنواع أخرى من الاختبارات، وتختلف باختلاف الهدف وطريقة التصحيح، غير أنَّها غالباً ما تكون اختبارات موضوعية على هيئة اختبارات كفاية بطريقة غير مباشرة.

ولا شك أنَّ هذه الاختبارات أهم أنواع اختبارات اللغة؛ لأنَّها تركز على المهارات اللغوية، وتقيس كفاية المتعلم، التي هي الهدف الأسمى من تعلم اللغة؛ لأنَّ كل ما يقدم من اختبارات وتدريبات يُعدُّ وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

هذه هي أبرز أنواع الاختبارات المعروفة في الميدان، صنفناها في مجموعات متجانسة قدر الإمكان. ونذكر هنا أنَّ هذه الأنواع متشابهة ومتداخلة أحياناً في الأهداف والأشكال والأبنية وأساليب التصحيح، كما أنَّ بعضها يشمل البعض الآخر، أو يكون جزءاً منه؛ بحسب النظرة إلى الاختبار، وطريقة التصنيف من حيث الهدف، أو البناء، أو طريقة التصحيح (-9, 1987, Henning 10).

المحور الرابع: الاختبارات الرقمية والذكاء الاصطناعي في القياس اللغوي

شهد حقل اللسانيات التطبيقية وتقويم اللغات تحولات جذرية بفضل الثورة التكنولوجية المعاصرة، ولا سيما الإسهامات الكبرى لتقنيات الذكاء الاصطناعي والنظم الرقمية الذكية. لقد تجاوز القياس اللغوي الأساليب التقليدية المعتمدة على التقييم البشري المباشر - وما تتسم به غالباً من ذاتية وتباين في التقدير - إلى فضاءات أرحب تعتمد على الخوارزميات المتقدمة، والنماذج اللغوية الكبيرة، والتصحيح الآلي الموثوق، ويهدف هذا المبحث إلى تسليط الضوء على آليات توظيف الاختبارات الرقمية، وتقنيات الذكاء الاصطناعي في القياس اللغوي، مع التوسع في مزاياها.

أولاً: مفهوم الاختبارات الرقمية وأدوات الذكاء الاصطناعي في القياس اللغوي

تُعرف الاختبارات الرقمية الذكية بأنَّها تلك المنصات والاختبارات المعتمدة على الحاسوب وشبكة الإنترنت، والمزودة بخوارزميات التعلم العميق ومعالجة اللغات الطبيعية (NLP)، بهدف قياس كفاءة المتعلم في مهارات اللغة المختلفة (الاستماع، القراءة، التحدث، الكتابة) بشكل آلي

متكامل. (آل مصلح، ٢٠٢٤م، ١١٥) وتعتمد هذه الأنظمة على تقنيات مثل تحليل المشاعر، وتصنيف النصوص، وتقييم الصوت البشري وتحويله إلى نصوص مكتوبة (STT) بدقة عالية؛ مما يتيح تقييم المستويات اللغوية وفق معايير معيارية دقيقة وثابتة تتماشى مع الإطار المرجعي العالمي للغات.

ثانياً: آليات القياس اللغوي الآلي وعناصره

تتعدد الآليات التي تتبناها منصات القياس اللغوي المدعومة بالذكاء الاصطناعي لتغطية مهارات اللغة المختلفة، ومن أبرزها:

- التصحيح الآلي للمقالات حيث تعتمد النماذج على تحليل البنية النحوية، والمفردات المستخدمة، والتماسك النصي، وتقديم تقديرات تتطابق إلى حد كبير مع تقديرات المصحح البشري (الدريهم، ٢٠٢٤م، ٥٨٥).
- الاختبارات التكيفية: (CAT) تقوم هذه الأنظمة بتعديل مستوى صعوبة الأسئلة طردياً أو عكسياً بناءً على استجابة الممتحن الفورية؛ مما يوفر وقتاً كبيراً ويعطي تقييماً أكثر دقة لكفاءة الفرد (المنظومة العربية للبحوث والدراسات، ٢٠٢٥م، ١٧٨).
- التقييم الشفهي الصوتي: تحليل النطق، والتنغيم الصوتي، والطلاقة عبر تقنيات التعرف على الكلام ومعالجة الإشارات الصوتية (المساوي، ٢٠٢٤م، ٤٨).

ثالثاً: مزايا القياس اللغوي المدعوم بالذكاء الاصطناعي

يحقق دمج الذكاء الاصطناعي في الاختبارات اللغوية جملة من المكاسب الأكاديمية والعملية:

- ١/ الموضوعية والنزاهة: الحد من التحيز البشري والذاتية التي تُصاحب عادةً عمليات التصحيح اليدوي للمقالات والاختبارات الشفهية (آل مصلح، ٢٠٢٤ م، ١٢٠).
- ٢/ قابلية التوسع والسرعة: إمكانية اختبار أعداد هائلة من المتقدمين في آن واحد مع تقديم التغذية الراجعة الفورية التي تُسهم في تسريع عملية التعلم (الدريهم، ٢٠٢٤ م، ٥٩٢).
- ٣/ التكيف وقوة الاستدلال: قياس المهارة اللغوية ضمن بيئة مرنة تراعي فيها الفروق الفردية للمتعلمين عبر خوارزميات الذكاء الاصطناعي التكيفي (المنظومة العربية للبحوث والدراسات، ٢٠٢٥ م، ١٨٤).

المحور الخامس: الجانب التطبيقي

أولاً: بطاقة تحليل (استمارة تقييم اختبار لغوي)

إجراءات بطاقة التحليل والتحقق من خصائصها العلمية في البحوث اللغوية:

تُعدّ بطاقة التحليل أداة منهجية رئيسية لجمع البيانات وتحليلها في البحوث الوصفية والتطبيقية (ولا سيما المرتبطة بتحليل المضمون، وتقويم المحتوى اللغوي، وفحص الكتب والمناهج). ولضمان رصانة النتائج وموثوقيتها، تخضع هذه البطاقة لإجراءات علمية دقيقة لبنائها والتحقق من خصائصها السيكمترية أو المنهجية (الصدق والثبات).

- ١/ إجراءات بناء بطاقة التحليل وتصميمها: تُصمم بطاقة التحليل وفق خطوات منهجية متسلسلة لضمان شموليتها واستيعابها للمتغيرات:

- تحديد الأهداف: صياغة أهداف البطاقة بدقة بناءً على الأسئلة.
- تحديد وحدات التحليل: اختيار الوحدات المناسبة لموضوع الاختبار.

٢/ إجراءات التحقق من الخصائص العلمية لبطاقة التحليل: لكي تكتسب البطاقة صفة الموثوقية الأكاديمية، يتم التحقق من خاصيتين أساسيتين:

أ. التحقق من الصدق:

يُقصد بالصدق قدرة البطاقة على قياس ما وضعت من أجله بالفعل، ويتحقق غالباً عبر:

صدق المحكمين (الظاهري وصدق المحتوى): يُعرض التصميم الأولي للبطاقة على مجموعة من الخبراء والمختصين في اللسانيات التطبيقية، ومناهج البحث، وتدريس اللغات. يُطلب منهم إبداء الرأي في مدى وضوح العبارات، وشمولية الفئات لمجتمع الدراسة، وسلامة صياغة المؤشرات، مع إجراء التعديلات والحذف والإضافة بناءً على آرائهم.

ب. التحقق من الثبات:

يُقصد بالثبات إعطاء البطاقة نفس النتائج أو نتائج متطابقة تقريباً إذا ما أُعيد استخدامها تحت نفس الظروف.

ثانياً: تطبيق عملي

تحليل اختبار لغوي وفق البطاقة

١/ البيانات الأولية للاختبار

اسم الاختبار:

الجهة المُعدة:

الفئة المستهدفة: (ناطقون بالعربية / الناطقين بغيرها / مرحلة تعليمية)

المستوى اللغوي: (مبتدئ - متوسط - متقدم)

الهدف من الاختبار: (تحصيلي - تشخيصي - كفاءة)

المهارات المستهدفة: (استماع - تحدث - قراءة - كتابة - نحو - مفردات)

زمن الاختبار:

عدد الأسئلة:

نوع الأسئلة: (اختيار من متعدد - مقالي - مزيج)

طريقة التصحيح: (آلي - يدوي - معايير)

٢/ الصدق:

أ. الصدق الظاهري

هل يبدو الاختبار مناسباً للهدف؟

☐ نعم ☐ إلى حد ما ☐ لا

تعليق:

ب. صدق المحتوى

مدى تغطية الاختبار لمحتوى المنهج

☐ عالي ☐ متوسط ☐ ضعيف

هل الأسئلة تمثل المهارات المطلوبة؟

☐ نعم ☐ جزئي ☐ لا

ج. الصدق البنائي

هل يقيس الاختبار المهارة اللغوية المقصودة؟

☐ نعم ☐ جزئي ☐ لا

د. الصدق التلازمي / التنبؤي

هل تتوافق نتائجه مع اختبارات أخرى؟

☐ نعم ☐ غير واضح ☐ لا

٣/ الثبات:

أ. الاتساق الداخلي

هل الأسئلة متجانسة؟

☐ عالي ☐ متوسط ☐ ضعيف

ب. ثبات المصححين

هل النتائج تختلف باختلاف المصحح؟

☐ لا ☐ قليلاً ☐ نعم

ج. ثبات الإعادة

هل يعطي نفس النتائج عند الإعادة؟

☐ نعم ☐ تقريباً ☐ لا

٤/ جودة بنود الاختبار:

وضوح التعليمات

☐ واضحة ☐ تحتاج تحسين ☐ غير واضحة

مستوى اللغة في الأسئلة

☐ مناسب ☐ أعلى من المستوى ☐ أقل

تنوع الأسئلة

☐ جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف

خلو الأسئلة من الغموض

☐ نعم ☐ جزئي ☐ لا

٥/ الجوانب التطبيقية:

ملاءمة الزمن

☐ كافٍ ☐ غير كافٍ ☐ زائد

سهولة التطبيق

☐ سهل ☐ متوسط ☐ صعب

توافر الوسائل

☐ متوفر ☐ جزئي ☐ غير متوفر

٦/ التحديات:

- صعوبة قياس مهارة التحدث
- الذاتية في التصحيح
- ضعف تدريب المصححين
- محدودية الأدوات التقنية
- اختلاف مستويات الطلاب

(يُضاف تعليق تحليلي)

٧/ الحكم العام على الاختبار والتوصيات:

التقدير: ممتاز / جيد / مقبول / ضعيف

معهد الصباح المنير بجامعة الإعمار فرع مامو جمهورية غينيا كوناكري

امتحان القراءة- تحريري المستوى: المتوسط للناطقين بغير العربية، الدور الأول

الاسم الزمن: ساعتان

التاريخ.....

السؤال الأول :

اقرأ النصَّ جيداً ثمَّ اجبْ عن الأسئلة التالية:

الموضوع: السفر والبحث عن عمل

سَامِي شَابٌ عَرَبِيٌّ أَتَمَّى دِرَاسَتَهُ الْجَامِعِيَّةَ فِي بَلَدِهِ .بَعْدَ التَّخْرُجِ، قَرَّرَ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى دَوْلَةٍ أُخْرَى لِيَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ مُنَاسِبٍ .كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُسَاعِدَ أُسْرَتَهُ وَيُحَسِّنَ دَخْلَهُ.

فِي بَدَايَةِ السَّفَرِ، شَعَرَ سَامِي بِالْحُزْنِ لِأَنَّهُ ابْتَعَدَ عَنْ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ .كَمَا وَاجَهَ صُعُوبَةً فِي اللُّغَةِ .لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمَ، فَبَدَأَ يَخْضُرُ دَوْرَاتِ لُغَةٍ، وَأَرْسَلَ سِيرَتَهُ الذَّائِتَةَ إِلَى عِدَّةِ شَرِكَاتٍ.

بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، حَصَلَ سَامِي عَلَى وَظِيفَةٍ فِي شَرِكَةٍ صَغِيرَةٍ. شَعَرَ بِالسَّعَادَةِ لِأَنَّهُ حَقَّقَ هَدَفَهُ، وَتَعَلَّمَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَجَرِبَةِ الْعُرْبَةِ.

أولاً: ضع دائرة حول حرف الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- لَمَّاذَا سَافَرَ سَامِي؟

أ. لِلسِّيَاحَةِ لِلْبَحْثِ عَنْ عَمَلٍ

ب- لِلدِّرَاسَةِ

٢- بَمَاذَا شَعَرَ فِي بَدَايَةِ السَّفَرِ؟

١. بِالْفَرَحِ

٢. بِالْحُزْنِ

٣. بِالْغَضَبِ

٣- مَاذَا فَعَلَ لِيَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ؟

١. سَافَرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ

٢. حَضَرَ دَوْرَاتِ لُغَةٍ

٣. عَادَ إِلَى بَلَدِهِ

ثانيًا: أجب إجابة قصيرة فيما يلي

١. كم شهرًا انتظر سامي حتى حصل على وظيفة؟

٢. هل استسلم سامي للصعوبات؟

ثالثًا: ضع (✓) أمام العبارة الصحيحة و (X) أمام العبارة الخطأ:

١. سافر سامي قبل أن يُنهي دراسته ()
٢. أرسل سامي سيرته الذاتية إلى شركات ()
٣. حصل سامي على وظيفة بعد أسبوع ()
٤. تعلم سامي أشياء جديدة من العربة ()

السؤال الثاني :

١. أكمل الجمل الآتية بوضع الفعل المناسب:

- _____ سامي إلى الخارج.
- _____ سامي اللغة في المعهد.
- _____ على وظيفة بعد ثلاثة أشهر.

٢. اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- سامي _____ عن عملٍ. (يبحث - يبحث - يبحث)
- هو _____ في شركة صغيرة. (يعمل - يعملون - أعمل)

٣. حَوِّلْ إِلَى الْمَاضِي: يَبْحَثُ سَامِي عَنْ وَظِيفَةٍ.....

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: الْمَفْرَدَاتُ

١. صِلِ الْكَلِمَةَ بِمَعْنَاهَا:

الكلمة	معناها
أجر	مَكَانٌ لِلْعَمَلِ
شَرِكَةٌ	راتب
الغربة	الوَظِيفَةُ
العمل	البُعْدُ عَنِ الْوَطَنِ

٢- املأ الفراغ بوضع الكلمة المناسبة:

(رَاتِب - أُسْرَتُهُ - لُغَةٌ - هَدَفٌ)

أ. يُرِيدُ سَامِي أَنْ يُسَاعِدَ.....

ب. تَعَلَّمَ سَامِي _____ جَدِيدَةً.

ج. كَانَ لَهُ _____ وَاضِحٌ.

د. حَصَلَ سَامِي عَلَى _____ جَيِّدٍ.

السؤال الرابع: التغيير

اكتب فقرة قصيرة عن: هل تُحب السفر للعمل؟ لماذا؟

السؤال الخامس :

اكتب عن سيرتك الذاتية في خمسة أسطر.

.....

.....

.....

.....

المحور الثاني: تطبيق عملي (تحليل اختبار لغوي)

مثال: اختبار لغة عربية – مستوى متوسط

أولاً: البيانات الأولية

الاسم: اختبار القراءة تحريري، الدور الأول

الفئة: طلاب غير ناطقين بالعربية (معهد المصباح المنير بجمهورية غينيا كوناكري / جامعة الإعمار

فرع مامو)

المستوى: متوسط

المهارات: قراءة + قواعد + كتابة

الزمن: ٦٠ دقيقة

عدد الأسئلة: ٥ أسئلة

المهارة المستهدفة:

الفهم القرائي أساساً

مهارات لغوية مساندة (نحو – مفردات – تعبير)

نوع الاختبار:

اختبار تحصيلي (لقياس الكفاية اللغوية)

ثانياً: تحليل محتوى الاختبار

١. نص القراءة

الموضوع: السفر والبحث عن عمل

تحليل النص:

المستوى اللغوي: مناسب للمستوى المتوسط (جمل واضحة، مفردات شائعة)

المجال: حياتي / وظيفي (واقعي ومرتبطة بالمتعلمين)

الطول: متوسط (ملائم لزمّن الاختبار)

التدرج: يحتوي على:

فكرة رئيسة

أحداث متسلسلة

مفردات سياقية

نقطة قوة: واقعية النص تساعد في الصدق

ملاحظة: يوجد بعض التشكيل الزائد الذي قد يشتت المتعلم المتوسط

٢. أسئلة الفهم القرائي:

أ. اختيار من متعدد

مثل:

لماذا سافر سامي؟

تحليل:

تقيس الفهم المباشر

عدد البدائل (٣) مناسب

جيد: وضوح الأسئلة

ضعف: جميعها من مستوى واحد (لا يوجد تحليل أو استنتاج)

ب. أسئلة قصيرة

مثل: كم شهراً انتظر؟

تحليل:

تقيس الفهم الدقيق

تتطلب إنتاج لغوي بسيط

ملاحظة: تحتاج إلى تحديد معيار تصحيح واضح

ج. صح وخطأ

تحليل:

تقيس الفهم العام، سهولة نسبياً، احتمال التخمين مرتفع (٥٠٪)

٣. قسم القواعد

المهام: إكمال جمل، اختيار فعل مناسب، تحويل إلى الماضي

تحليل:

يقيس: الأزمنة، تصريف الأفعال

ملاحظات:

بعض الأسئلة غير واضحة تمامًا (مثل تكرار الفعل "يبحث")

لا يوجد سياق كافٍ لبعض الفراغات

٤. قسم المفردات:

المهام: توصيل الكلمة بمعناها، ملء الفراغ

تحليل:

يقيس: الفهم الدلالي، استخدام المفردة في سياق

جيد: تنوع في نوعي الأسئلة

ملاحظة: بعض الكلمات قد تكون سهلة جدًا للمستوى المتوسط

٥. التعبير الكتابي:

المهام: فقرة عن السفر للعمل، كتابة سيرة ذاتية

تحليل:

يقيس: الإنتاج الكتابي، التنظيم، استخدام اللغة

ملاحظات مهمة: لا يوجد (سلم تصحيح)

الموضوع الثاني (السيرة الذاتية) يحتاج توجيه أكثر

ثالثاً: تحليل الاختبار وفق المعايير العلمية

١. الصدق

صدق المحتوى:

يغطي: (قراءة، مفردات، قواعد، كتابة)

إذن الصدق جيد

ملاحظة:

التركيز الأكبر على الفهم المباشر

ضعف في: (التحليل) الاستنتاج

٢. الثبات:

متوسط، بسبب: أسئلة مقالية بدون معيار تصحيح واضح، تفاوت في صعوبة الأسئلة

٣. معامل الصعوبة:

الاختبار من متعدد: سهل

الصحيح والخطأ: سهل

التعبير: متوسط إلى صعب

التوزيع غير متوازن

٤. معامل التمييز:

ضعيف نسبياً لأن: كثير من الأسئلة مباشرة، لا تفرق بين الطالب القوي والضعيف

٥. الشمول:

جيد: يشمل مهارات متعددة

لكن: القراءة هي المسيطرة

رابعاً: نقاط القوة

نص مناسب وواقعي

- تنوع في أنواع الأسئلة

- وضوح التعليمات

- مناسب للمستوى المتوسط عمومًا

خامساً: نقاط الضعف

- غياب سلم تصحيح للتعبير

- ضعف التدرج في الصعوبة
- بعض الأخطاء الطباعية/ التنظيمية
- احتمالية التخمين في بعض الأسئلة

سادساً: التحديات

- إهمال مهارتي الاستماع والتحدث (استخدامها بطريق غير مباشر)
- التركيز على الحفظ لا الأداء
- ضعف الموضوعية في التصحيح

سابعاً: التوصيات

- إضافة أسئلة: تحليل، استنتاج، رأي
- إعداد سلم تقدير للتعبير (مهم جداً)
- تحسين قسم القواعد: جعله سياقياً أكثر

تقليل: الصحيح والخطأ، وزيادة أسئلة متنوعة

ضبط التوازن بين: السهولة والصعوبة

خلاصة التقييم العام:

- الاختبار جيد من حيث البناء العام
- لكنه يحتاج تطويراً ليصل إلى مستوى اختبار معياري قوي

معايير الاختبار النفسية والاجتماعية والفروق الفردية:

- مراعاة الجوانب النفسية للمتعلم: (متحقق) يخفف الاختبار من القلق الامتحاني عبر البدء بنص مألوف ومفهوم المفردات، كما أنَّ صياغة التعليمات واضحة ومباشرة، وورقة الاختبار منظمة وبها مساحات إجابة كافية، فضلاً عن أنَّ زمن الساعتين كافٍ تماماً لإبعاد التوتر عن الطالب.
- مراعاة الأبعاد الاجتماعية والثقافية: (متحقق) الموضوع المختار (السفر والبحث عن عمل لمساعدة الأسرة) يمس الاحتياجات الحياتية والواقعية للطلاب باختلاف خلفياتهم، وهو موضوع محايد ومقبول ثقافياً؛ ممَّا يُعزز دافعية المتعلمين للتفاعل معه لكونه يخدم أهدافهم الحياتية والمهنية.
- مراعاة الفروق الفردية: (متحقق) تم التدرج في بناء الأسئلة من السهل والمباشر (مثل استخراج المعلومات من النص في السؤال الأول) ليناسب الطلاب دون المتوسط، وصولاً إلى الأسئلة التي تتطلب إنتاجاً لغوياً حراً (مثل التعبير وكتابة السيرة الذاتية) والتي تميز الطلاب المتميزين وتبرز ثراءهم اللغوي.

معايير التقويم اللغوي الفَعَّال:

- الارتباط بالسياق: الاختبار مترابط موضوعياً؛ فلم تأتِ القواعد والمفردات معزولة بل جاءت مستمدة ومبنية على فكرة النص الأصلي.
- الوظيفية والتواصل: يقيس الاختبار قدرة المتعلم على توظيف اللغة في مواقف واقعية، مثل السؤال الخامس الذي يطلب كتابة سيرة ذاتية وظيفية.
- التوازن: تم الموازنة بين مهارات الاستقبال كالقراءة، ومهارات الإنتاج كالكتابة والتعبير.

التقييم النهائي للاختبار:

يُظهر الاختبار بناءً أكاديمياً رصيناً ومعداً بعناية لمستوى الطلاب المتوسط. نجح واضع الاختبار في توظيف موضوع واحد (السفر والعمل) بوصفه محوراً تدور حوله جميع الأسئلة؛ مما ساعد في تثبيت السياق الذهني للمتعلم وتقليل التشتت. كما اتسمت الأسئلة بالصدق والشمولية لغالبية المهارات اللغوية المستهدفة. اختبار صالح وصادق يقيس الكفاية اللغوية للمستوى المتوسط بكفاءة.

نتائج البحث:

- ١/ إنَّ الاختبار اللغوي الفعَّال هو جزء لا يتجزأ من منظومة التقويم الشامل، ويعتمد نجاحه على مدى ارتباطه بالتشخيص الدقيق والتغذية الراجعة.
- ٢/ مراعاة الفروق الفردية (النفسية والاجتماعية) أثناء تحديد الاحتياجات تُسهم بشكل مباشر في زيادة دقة نتائج الاختبارات وموضوعيتها.
- ٣/ الاختبار جيد (يحتاج إلى تطوير).
- ٤/ الاختبار صالح للاستخدام بوصفه اختباراً تحصيلياً للفئة المستهدفة (متوسط)، لكنه غير معياري بدرجة كافية.
- ٥/ الصدق: جيد، صدق المحتوى والظاهري متحقق (يغطي القراءة، القواعد، المفردات، الكتابة).
- ٦/ يفتقر إلى الصدق البنائي العالي؛ لأنه لا يقيس مستويات التفكير العليا (الاستنتاج، التحليل، النقد)؛ بل يركز على الفهم.
- ٧/ الثبات: متوسط (نسبة الثبات منخفضة محتملة).

- ٨/ معامل الصعوبة: غير متوازن، الأسئلة الموضوعية (اختيار من متعدد، صحيح/خطأ): سهلة جداً (يميل معظم الطلاب لحلها).
- ٩/ وحدة الموضوع (السفر والعمل) جعلت الاختبار متماسكاً وسهل الفهم للطلاب، وقللت من تشتت الذهن.
- ١٠/ مراعاة الجوانب النفسية والثقافية: الزمن (ساعتان) كافٍ جداً، والموضوع قريب من واقع الطلاب (البحث عن عمل ومساعدة الأسرة)؛ مما عزز الدافعية.
- ١١/ إهمال مهارتي الاستماع والتحدث: الاختبار يقيس نصف الكفاية اللغوية فقط (القراءة والكتابة).
- ١٢/ لا توجد أداة اختبارية كاملة؛ فكل نوع من الاختبارات اللغوية يمتلك مزايا وعيوباً تتطلب الموازنة والدمج بين أكثر من أداة لقياس المهارات اللغوية بنجاح.

التوصيات:

- ١/ إخضاع بنود الاختبارات اللغوية لبطاقات تحليل معيارية لضمان الصدق والثبات.
- ٢/ ضرورة تدريب المعلمين ومعدّي الاختبارات اللغوية على مهارات (هندسة الاختبارات) وتطبيق معايير الصدق والثبات العلمي.
- ٣/ تفعيل دور الاختبارات التشخيصية والتغذية الراجعة المستمرة بوصفها أدوات تطويرية وليس فقط أدوات لرصد الدرجات.
- ٤/ مراعاة الخصائص النفسية والبيئة الاجتماعية للمتعلمين عند صياغة وبناء بنود الاختبارات اللغوية لضمان العدالة.
- ٥/ التنوع في استخدام أنواع الاختبارات اللغوية (التحصيلية، الكفاءة، التشخيصية) لتغطية كافة جوانب العملية التعليمية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أحمد مختار عمر، من قضايا اللغة والنحو، القاهرة، عالم الكتب، ١٣٩٤ هـ.
- الدريهم، سعد، دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في خدمة الكلمة العربية من خلال تطبيق (صحح لي) الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، مجلد ٦ عدد ٤، ٢٠٢٤ م.
- عباس أبو السعود، أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠ م.
- عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١١ م.
- علي أحمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٧ م.
- طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.
- محمد عبد الخالق محمد، اختبارات اللغة، ط ٢، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٧ هـ.
- محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، أسسه مدخلاته طرق تدريسه، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٥ م.
- آل مصلاح، حسن، دور الذكاء الاصطناعي في التقويم والقياس اللغوي، مجلة كلية التربية العلمية، جامعة البحرين، ٢٠٢٤ م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم. لسان العرب، ط ٢، بيروت، دار صادر، ١٤١٢ هـ.
- المنظومة العربية للبحوث والدراسات، التحول الرقمي في الدراسات اللغوية العربية، نحو منصة تكنولوجية متكاملة مدعومة بالذكاء الاصطناعي، مجلد ١٩، عدد ١، ٢٠٢٥ م.

- الميساوي، الذكاء الاصطناعي وحوسبة اللغة العربية: الواقع والآفاق، مجلة أسيج، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر، ٢٠٢٤ م.

المراجع الأجنبية:

- Bachman, L. F. 1990. *Fundamental Considerations in Language Testing*. Oxford: Oxford University Press.
- Cohen, A. 1980. *Testing Language Ability in the Classroom*. Rowley, Mass.: Newbury House.
- Henning, G. 1987. *A Guide to Language Testing: Development- Evaluation- Research*. Cambridge. Mass.: Newbury House, 1987.
- Worthen, B. and Sanders, J. 1987. *Educational Evaluation: Alternative Aroaches and Practical Guidelines*. New York: Longman.

منطقة الحلاوين في ظل الدولة السنّارية

١٥٠٤-١٨٢١ م

د. محمد الفاتح حياتي

قسم الآثار، جامعة الخرطوم

المستخلص

من المعلوم لدينا أن منطقة الجزيرة كانت خاضعة لحكم الفونج أيام ازدهار دولتهم، فقد كانت منطقة الحلاوين جزءاً من هذا الحيّز الجغرافي. تتحدث هذه الورقة عن الوضع الذي كان يعيشه السكان في منطقة الحلاوين إبان حكم السلطنة الزرقاء، وطبيعة العلاقة بين الحاكم في سنّار، والرعية في منطقة الحلاوين، ومساهمات إنسان منطقة الحلاوين خلال تلك الفترة، وطبيعة هذه المساهمات، سياسية كانت أو دينية. كما تتناول الورقة بعض الشخصيات التي أثّرت الحركة الدينية والفكرية في منطقة الجزيرة، وكانوا جزءاً من الكيان الاجتماعي لمنطقة الحلاوين. اعتمدت الورقة على ما وُجد من معلومات ضئيلة عن المنطقة في بعض المصادر التي تناولت تاريخ الدولة السنّارية. كما اعتمدت على التحليل والاستنتاج اللذين يتكئان على الأخبار القليلة عن المنطقة وإنسانها إبان عهد دولة الجلف السنّاري. تم التوصل من خلال التحليل والاستنتاج إلى أن هذه المنطقة كانت رافداً ثقافياً واقتصادياً لمنطقة الجزيرة، ولحكومة المركز في سنّار. لكن لا بد من القيام بأبحاث جديدة حتى نتوصل إلى معلومات أكثر وأوثق عن هذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: منطقة الحلاوين، دولة سنّار، الجزيرة، أربجي، الفقهاء والصوفية

Abstract

It is well established that the Gezira region was under the rule of the Fung kingdom during the height of its political power, with the Halaween area forming an integral part of this geographical domain. This paper examines the conditions experienced by the inhabitants of the Halaween region during the period of the Fung kingdom, focusing on the nature of the relationship between the central authority in Sennar and the local population. It also explores the contributions of the people of Halaween during this period, highlighting both their political and religious roles. In addition, the paper discusses several prominent figures who influenced the religious and intellectual life of the Gezira region and who formed an important part of the social fabric of Halaween. The study is based on the limited information available in historical sources dealing with the history of the kingdom Sultanate. It also employs analytical and inferential approaches to interpret the scarce historical accounts concerning the region and its inhabitants during the era of the Sennar Alliance State. The analysis suggests that the Halaween region served as an important cultural and economic contributor to both the Gezira region and the central government in Sennar. Nevertheless, further research is essential to obtain more comprehensive and reliable information about the history and significance of this region.

Keywords: Halaween, Sennar, Gezira, Arbaji, Jurists and Sufis

تمهيد:

إن السودان بجغرافيته وتاريخه ذاخر بالإرث الثقافي، والمكتسبات الفكرية، بل إنه يتمتع بأبعاد روحية متنوعة أثرت الوجدان السوداني خلال مسيرة زمنية ليس من السهل أن نحصرها في تاريخ معين-دقيق، إذ إنها قديمة قدم فترة ما قبل التاريخ في السودان، ونحن نفتأ نطالعها في حياتنا اليومية متجسدة في التراث المادي والروحي للإنسان.

ومع التوثيق الذي حظيت به بعض جوانب تاريخ بلادنا؛ إلا إن هنالك بعضاً من هذه الجوانب قد تركت غُفلاً، وطويت داخل جزء كبير من ذاكرة الشعب السوداني، ولم يحفظها إلا نذرٌ يسيرٌ من الناس، سيما أصحاب الاختصاص، أو أصحاب الصلة الروحية أو العرقية بالشخص المعني أو الحدث المعني أو المنطقة المعنية. ولذلك؛ فقد كان من الضروري أن يتم تناول تاريخ منطقة الحلاوين خلال عصر السلطنة السنارية، سيما وأن هذه المنطقة تعد امتداداً طبيعياً للنفوذ الجغرافي لحكم الحلف السناري.

مشكلة الدراسة:

في إطار مشروع سنّار عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٧م؛ تم تناول كل مناطق الفضاء السنّاري والتي تضم كل الأراضي التي كانت واقعة تحت حكم الفونج، إضافة إلى الجهات التي تقع ضمن حدود الفضاء السنّاري وما يربطها به من علائق ثقافية-اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية. ولذلك؛ تركّز هذه الصفحات على الأثر الذي اطلّعت به منطقة الحلاوين إبان حكم الفونج، كما تحاول فهم طبيعة العلاقة بينهما. إضافة إلى ذلك؛ ينبغي التعرف إلى المجتمع الذي عايش ذلك العصر في هذه المنطقة.

أهمية الدراسة:

إن المناطق التي تقع إلى الجنوب من ولاية الخرطوم لم تجد حظاً وافراً من الدراسات التاريخية والآثرية والإثنوغرافية، ما خلق شُحاً معرفياً يدعو إلى استقصاء هذه المناطق عن كثب. ولذلك تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول جاهدة سبر أغوار هذه المنطقة خلال عصر الفونج، خاصة وأن معظم المصادر على قلتها قد سكنت عنها، وهذا ما يحتم البحث عن كنه الحراك الثقافي الذي لازم تلك الفترة في هذه المنطقة من وجهة نظر آثارية وتاريخية.

أهداف الدراسة:

تمت كتابة هذه الورقة بناءً على عدد من الأهداف التي تتجسد فيما يلي:

- ١/ معرفة المكونات الثقافية والاجتماعية التي شكلت المنطقة إبان عصر الدولة السنارية، خاصة وأن المنطقة قد سُكنت من قبل المجموعات العربية المهاجرة.
- ٢/ التعرف إلى طبيعة العلاقة بين سكان المنطقة بكافة أطيافهم ومركز السلطة في سنّار، إذ إن المنطقة تقع ضمن النفوذ السياسي والإداري لدولة سنّار.
- ٣/ الاطلاع على الوجود الأثري الذي عاصر فترة الفونج في هذه المنطقة، إضافة إلى توثيق التراث الشفهي الذي يحفظه المواطنون عن تلك الفترة.
- ٤/ التوثيق للشخصيات ورموز المجتمع التي شهدت تلك الفترة، وبخاصة تلك الشخصيات التي لم يتم التوثيق لها من قبل.
- ٥/ البحث في المهام والآثار التي قامت بها المنطقة وإنسانها فيما يخدم مصالح الحاكم في سنّار إن وُجد ذلك.

منهج الدراسة:

في هذه الدراسة تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد على المسح الميداني الذي جُمع من خلاله كمّ من المعلومات التي لم تدونها المصادر المتنوعة. فقد تم سرد الوقائع التاريخية التي توثق لهذه المنطقة، وهي مرتكزة على ما تم نقله من المصادر، إضافة إلى المسح الآثاري الذي تم من خلاله تصوير بعض المواقع الأثرية، ثم الاعتماد على الروايات الشفهية التي كانت عماد هذه الورقة، خاصة وأن ما ذكرته المصادر شحيح جداً. ومن هنا يمكن القول بأن هنالك بعض المعلومات تذكر لأول مرة خلال هذه الورقة.

البعد الجغرافي والتاريخي لمنطقة الحلاوين:

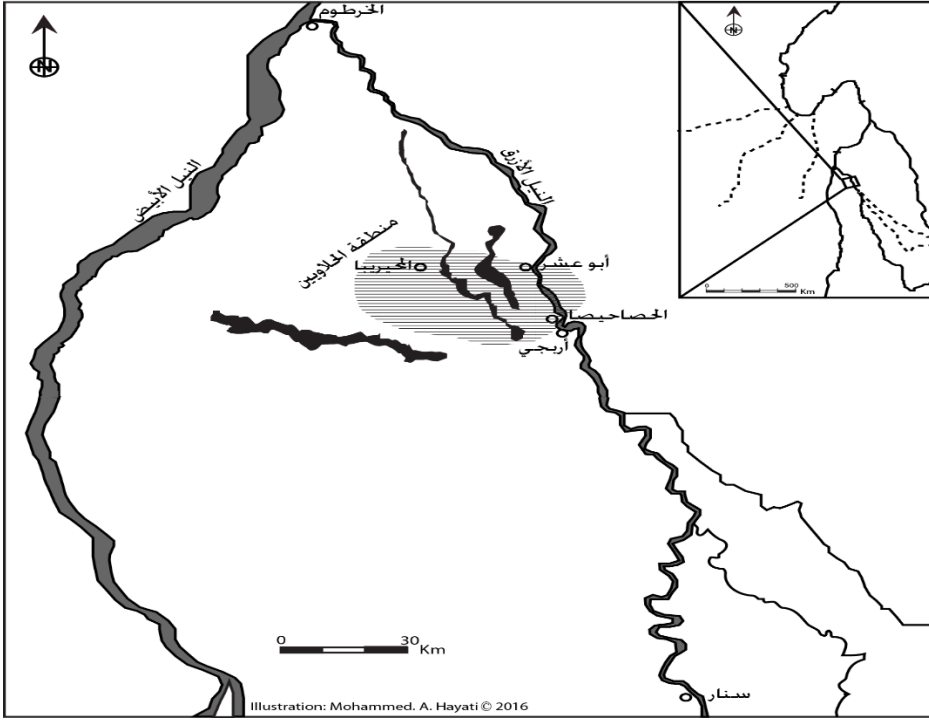
تعد منطقة الحلاوين بوسط إقليم الجزيرة إحدى المناطق ذات الأهمية بمكان في الخارطة الثقافية-السياسية والدينية لهذا الوطن. فهذه المنطقة تمتعت بوجود المواقع الأثرية الدالة على استيطان الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ، فمواقع ثقافة القوز كما سماها البريطاني بلفور بول (H. G. Balfour-Poul) خير شاهد ودليل على عملية تسلسل ثقافي بدأت من العصر الحجري القديم الأعلى (حوالي ١٢٠٠٠ ق.م) ثم العصر الحجري الوسيط (٥٥٠٠-٨٠٠٠ ق.م)، مروراً بالعصر الحجري الحديث (٥٥٠٠-٣٠٠٠ ق.م)، ويحتوي بعض هذه المواقع على دلائل الفترات التاريخية كفترة الحضارة الكوشية (٩٠٠ ق.م - ٣٥٠ م) وما بعدها، إلى أن نصل إلى الفترة المسيحية (٥٤٣-١٥٠٤ م) (Balfour-Poul, 1952)، فقد كان للموقع الجغرافي الذي حظيت به هذه المنطقة أثراً عظيماً في أن تزدهر خلال مختلف الفترات، إذ كان للنيل والأودية الكبيرة القُدح المعلن في ردف الحراك الحيوي في هذه المنطقة.

سكن الحلاوين هذه المنطقة بعد موجات هجرة العرب إلى السودان، فقد ذكر السير

هارولد ماكمايكل (H. McMichael) أنهم فرع كبير من قبيلة رفاعا ويتواجدون في منطقة رفاعا وسنار، كما ذكر أن جُلَّهم فقهاء (McMichael, 1922, Vol. 1, 242). وقد استقر بهم المقام في غابة أم سوتيب، وذلك حوالي العام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦م، ٦٤٩)، وهي المكان الحالي الذي أسس فيه الحلاوين قراهم، واحدة تلو الأخرى (خارطة: ١). ولا ريب أن لهذا المكان أبعاداً استراتيجية، فهؤلاء القوم قد سكنوه منذ عهد مملكة علوة المسيحية، ولذلك فمن الطبيعي أن يساهموا في اقتصاد المنطقة، إذ إنهم كانوا أصحاب ماشية، ثم ما لبثوا أن أصبحوا يعتمدون على الزراعة المطرية، وذلك نسبة لخصوبة التربة في المنطقة، وكذلك ارتفاع معدلات الأمطار في الأزمان السابقة. وقد وقفنا شهداء على بقايا مخازن الغلال التقليدية (المطامير) التي استخدمت قبل قيام مشروع الجزيرة، ما يعني أن المنطقة وإنسانها كانا مشاركين في اقتصاد البلاد حتى قبل قيام مشروع الجزيرة. فقد كان الاقتصاد في منطقة الجزيرة يعتمد على زراعة الذرة والدخن والبقوليات والتوابل، إضافة إلى تربية الأبقار والجمال والضأن والماعز، وهو شأن معظم مناطق السودان ذات الأراضي المستوية (Muchugh, 1994, 42). ووفقاً لتوزيع الشاطر بصيلي عبد الجليل للسكان في حوض النيل الأوسط فإن منطقة الحلاوين تدخل ضمن المناطق التي يشغل سكانها بالزراعة والتجارة، فهم ضمن المجموعة الإقليمية الثالثة التي يبدأ نفوذها من الجانب الأيسر لنهر عطبرة، وحتى شمالي أربجي (الشاطر بصيلي عبد الجليل، ١٩٥٥، ٣٧). سيما وأن هذه المنطقة قد عرفت زراعة القطن منذ العام 1800م، أي خلال أواخر عصر الفونج. وقد استفادوا منه كثيراً، وكانوا من المشغولين بالغزل والنسيج في ذلك الوقت، رجالهم ونسائهم، إذ انتشرت الأنوال وأدوات الغزل والنسيج في المنطقة خلال ذلك العهد بشكل لافت. وكذلك انتشرت المنتجات الصناعية القطنية، كالمفارش والملابس وغيرها. وكان يتم أخذ هذه المنتجات إلى سنار وغيرها من المناطق لبيعها، حيث يُشترى بثمانها الرقيق والبضائع المتنوعة (Tame, 1934, 206).

وعندما قامت دولة الفونج فقد كانت المعركة الفاصلة بينها وبين دولة علوة في الطرف

الجنوبي لمنطقة الحلاوين، فمنطقة أربجي ليست ببعيدة عن المركز الرئيس لتواجد قرى الحلاوين. وما يؤسفنا هو عدم وجود كتابات توثيقية لدور المنطقة في معركة أربجي، لكن ما نعرفه هو علاقة الحلاوين بالقائد الشيخ عبد الله جماع القاسمي الذي تربطهم به صلة رحم وهي قبيلة رفاعة الأم، إذن فمن المرجح أن يكونوا قد ناصروا جيش التحالف بدافع الغيرة على الإسلام، ثم بدافع نصره الدم والعرق.



خارطة (١) الموقع الجغرافي لمنطقة الحلاوين.

تأسست أربجي في عام ٨٨٠ هـ، الموافق لـ ١٤٧٥ م، وقد أسسها الشيخ حجازي بن معين (الشاطر بصيلي عبد الجليل، ١٩٥٥ م، ٢٥٦-٢٦٠). وعلى الرغم من أن الشيخ حجازي من الذين أخذوا الطريق القادري على الشيخ تاج الدين البهاري فإن هذا التاريخ لا يتوافق مع عهد الشيخ

حجازي، فهو قد جاء متأخراً عن ذلك التاريخ، فلربما شيد بها مسجداً، لكن لم يكن مؤسساً لها (ود ضيف الله، ١٩٧١ م، ٣٩). وقد كتب نيل موشو (N. Muchugh) ما نصه: "كانت مدينة تجارية منذ ازدهار مملكة علوة، وتساندها المدينة القريبة منها، وهي مدينة المسلمية. وكان يطلق على سكان أربجي اسم الحضور. كما ارتبطت أربجي بالعالم الإسلامي والعلماء المسلمين منذ القرن السادس عشر، ولها ارتباط خاص بسواكن وجدة ومكة" (Muchugh, 1994, 38). ويعد الشيخ حجازي بن معين، والفقيه أبو سنية من أعمدة وركائز مدينة أربجي، إذ بلغت هذه البلدة أوجها في العلم الشرعي إبان تلك الفترة، حين انتشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة (كاتب الشونة، ٢٠٠٩ م، ٢٧). ولا ريب أن الحلاوين قد استفادوا من هذه المكانة العلمية، بل إن عدداً كبيراً منهم قد التحق بالخللاوي ومعاهد تدريس علوم الفقه والشريعة في أربجي. كما كانت هناك بعض الخللاوي في منطقة الحلاوين نفسها، وهذا يذكرنا بما قاله ماكمايكل عن أن جل هؤلاء القوم فقهاء (McMichael, 1922, Vol. 1, 242). إذن فليس هناك منطقة أقرب من أربجي حتى يلجأ إليها معظم طلاب العلم، وهذا لا ينفي أن يهاجر بعض طلاب العلم من المنطقة إلى المناطق التي ذاع صيتها في أقاليم السودان الأخرى، وحتى إلى خارج الوطن حيث الحجاز ومصر وغيرها من البلدان الإسلامية. ولا نملك بينات كاملة عن سيرة الجيل الأول من الفقهاء الحلاوين المعاصرين لمملكة الفونج، وذلك فيما يتعلق بتعليمهم، وطلابهم، وإنجازاتهم العلمية، ومساهماتهم في دفع الحركة العلمية والثقافية إبان تلك الفترة. فما وُجد من معلومات شحيح للغاية. وعلى أية حال فهناك بعض الشخصيات ذات الأهمية في تاريخ مملكة الفونج قد سكنت هذه المنطقة، وأسست دوراً للعلم، ومن هذه الشخصيات:

١ - الفقيه بركات:

هو أحد الفقهاء الذين ذاع صيتهم في المنطقة إبان عصر السلطنة الزرقاء وفقاً لما ذكره

الراوي الماحي محمد عثمان منصور (السكن: قرية السنية الحلاوين). وعلى الرغم من ذلك لم نجد له ذكراً في طبقات الشيخ ود ضيف الله. وقد ذكرت الرواية الشفهية أن أصل هذا الرجل كان في قرية السنية، وتوجد أسرة كبيرة تحمل اسم البراكية نسبة إلى الفقيه بركات، لكنهم تفرقوا في قرى الصعيد، أي المناطق التي تقع إلى الجنوب من مدينة ود مدني. ويقول الراوي عبد الرحمن يوسف الحسن (السكن: الجريف - الخرطوم) أن آل بركات يعيشون الآن في مدينة الدندر.

٢- الفكي محمد أبو مطايب:

ورد اسم هذا الشيخ عند أهالي المنطقة بوصفه أحد الرموز الدينية القديمة التي ذاع صيتها في المنطقة، وجدير بالذكر أن اسمه مذكور في شجرة نسب الحلاوين المنتشرة عند الأهالي في المنطقة، وذريته تمثل جزءاً كبيراً من فرع العصامنة الحلاوين. ويذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور نقلاً عن الرواية المتوارثة بين الناس في المنطقة أن هذا الرجل كان موجوداً في هذه المنطقة حوالي عام 1000هـ/1579م (الراوي الماحي محمد عثمان منصور)، وهذه التواريخ موافقة لعصر الفونج. لكن على الرغم من ذلك لم يرد ذكره في طبقات الشيخ ود ضيف الله، فربما لم تصله أي أخبار عنه. كما تشير الروايات إلى أن الفقيه رحمة الحلاوي تزوج من فاطمة بنت الفكي محمد أبو مطايب وأنجب منها بنتاً واحدة، وهي التي تزوجها الشيخ كنين الصوفي، وربما كان اسمها فاطمة أيضاً.

٣- الشيخ محمود الكباري:

تمثل ذريته إحدى أكبر فروع النوايلة بمنطقة السنية وصافية وكتفية وحلة عباس، حيث ذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور (لوحة: ١)، والرواية فاطمة بشرى عبد الله (السكن: قرية السنية الحلاوين) أن الشيخ محمود الكباري كان معاصراً للفكي محمد أبي مطايب والفقيه رحمة الحلاوي، وكان من أهل القرآن والعلم الشرعي، وهو جد فرع الطُّرشاب النوايلة من الحلاوين.

٤- الشيخ كنين الصوفي:

هو ابن الشيخ محمود الكباري، إذ يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن الشيخ كنين الصوفي قد تزوج من فاطمة بنت الفكي رحمة وأنجب منها الفكي بادي الذي ينتمي إليه أهالي قرية السنية وحلة عباس. والجدير بالذكر أن اسم بادي كان قد انتشر كثيراً في المنطقة إبان ذلك الوقت، ما يدل على مودة بين أهالي المنطقة والحكام في سنّار، حتى أن الراوي الماحي محمد عثمان منصور يقول إن الشيخ كنين الصوفي قد توفي ودُفن بقرية الصوفي، وهي ليست ببعيدة عن مركز سنار. ويُعد الشيخ كنين الصوفي من الشخصيات الدينية المهمة في المنطقة، إذ إن اسمه معروفاً بشكل واضح في المنطقة.



لوحة (١): أخذ الروايات الشفهية من الحاج الماحي محمد عثمان منصور.

٥- الفقيه رحمة الحلاوي:

هو الفقيه رحمة بن جمعة بن عفيف بن إبراهيم شمش بن محمد زغيو (خازن) بن نائل بن السيد محمد حلو الشمائل وهو جد الحلاوين بن السيد حمد بن السيد رافع بن السيد عامر بن السيد الحسن بن السيد إسماعيل بن السيد عبدالله بن السيد إبراهيم بن السيد علي الرضا (لم يذكر هذا الاسم عند ماكهاكل) بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين. وهذا النسب قد أورده ماكهاكل على الرغم من أنه يدّعي أنهم يزعمون هذا النسب زعماً، فقد ذكر أن مخطوطة هذا النسب أحضرها الشيخ عبد الله العركي من مكة المكرمة عندما ذهب للقاء الشيخ تاج الدين البهاري لأخذ الطريق القادري (McMichael, 1922, Vol. 2, 166). وهذا الشيخ هو جد الرحاب، وهم فرع كبير من قبيلة الحلاوين، ولهم شأن عظيم في المنطقة بآثرها، فقد كانت عندهم نظارة المنطقة (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦ م، ٤٦-٤٧)، ومنهم ينحدر الشهيد عبد القادر محمد إمام الشهير بود جبوبة (عثمان عوض الكريم، ٢٠٠٨ م، ٧).

ورد اسم هذا الشيخ عند الشيخ ود وضيف الله في طبقاته بوصفه أحد الذين ترجم لهم، وأحد الذين أخذوا الطريق القادري عن الشيخ تاج الدين البهاري (ود وضيف الله، ١٩٧١ م، ٢١٦)، كما أنه كان يسلك الطريق القادري للمريدين. وقد بنى الشيخ خلوة كبيرة في قرية شرفت الحلاوين (محمد الطيب البصير، ٢٠١٠ م، ٢٧)، وربما كانت هذه الخلوة مكاناً لتدريس العلوم الشرعية. ومن المؤسف أنه لم يبق منها شيء اليوم إلا المباني الدينية التي شيدت على أطلالها، ولم يتم توثيق آثار هذه المباني. وقد تم تدوين بعض الأخبار المنقولة شفهيّاً عن ميلاد الفقيه رحمة، حيث يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن الفقيه رحمة قد وُلد في منطقة أبو حمد في العام 1013 هـ/1592 م، وذلك عندما عاد والده من رحلة الحج، حيث مكث في شرق السودان لفترة من الزمن،

وتزوج من بنت الفكي رحمة الكاهلي في تلك المنطقة، وأنجب منها ولدين؛ وهما رحمة ومديدة. وقبل وفاته في حوالي العام ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م (هذا التاريخ بعيد عن ميلاد الفقيه رحمة المذكور أعلاه، لكنه يؤخذ على أنه رواية شفوية) ، قام السيد جمعة بتسليم سيفه ومصحفه. (وكان اسمه مكتوباً عليها) لزوجته وصهره وأوصاهما بتسليمهما للولدين عند بلوغهما، وأوصاهما بأخذهما إلى أهلها في منطقة أم سوتيب (منطقة الحلاوين الحالية) ، وعند قدومهما إلى المنطقة وجدا الفكي محمد أبو مطايب والشيخ محمود الكباري، فعرفوهما واستقبلوهما في بلد أهلها. كما قام الفكي محمد أبو مطايب بتزويج ابنته فاطمة للفقيه رحمة (الراوي الماحي محمد عثمان منصور). وهذه القصة أيضاً نقلها الإداري البريطاني ج. ب تيم الذي كان يعمل في منطقة النيل الأزرق، إذ كان كبيراً للمفتشين الزراعيين بمكتب تفتيش دُلفاً بمنطقة الحلاوين. وقد سجل عدداً من الروايات الشفهية من سكان المنطقة، فكان أن قام بنشر بعض ما سجله في مجلة السودان في رسائل ومدونات (Tame, 1934, 202).

وعندما قدم الشيخ للمنطقة كان حافظاً للقرآن الكريم، لكنه تتلمذ على الفكي محمد أبو مطايب والشيخ محمود الكباري في أخذ العلم الشرعي، ما يعني أنه قد ورثه من بعده وتزوج بإحدى بناته. كما يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن الفقيه رحمة الحلاوي قد تزوج عدداً من النساء، فغير فاطمة بنت الفكي محمد أبو مطايب؛ تزوج بنت قاسم الهمجاوي بن محمد أبو لكيلك، والتي أنجب منها أولاد بُلَّة الذين يوجد نسلهم في قريتي استرحنا ومناقزا، غير أن هذه الرواية تجد ما يعارضها، إذ يذكر الإداري الإنجليزي تيم أن قاسم الهمجاوي كان قد عينه الملك محمد عدلان أبو لكيلك، وهو آخر أمراء الهمج، حيث تولى الحكم في الفترة من ١٨٠٨م وحتى آخر عصر الفونج في العام ١٨٢١م (Tame, 1934, 206). إذن فكونه معاصراً للفقيه رحمة؛ فهذا ما لا يجد سنداً تاريخياً، إذ إن مجيء قاسم الهمجاوي إلى هذه المنطقة كان متأخراً عن عصر الفقيه رحمة بما يقارب الثلاثمائة عام. وتجدر الإشارة إلى أن قاسم الهمجاوي هذا كان مسؤولاً في منطقة الحلاوين،

خاصة مناطق التميد وحلة مصطفى قرشي الحلاوين التي كانت تعرف بعزاز الصهباء، وهي المنطقة التي ترعى فيها الإبل (كمال عبد الله محمد، السكن؛ قرية شرفت الحلاوين)، حيث كان يقوم بجمع الضرائب والزكاة وإرسالها إلى سنّار، فهذه إشارة قوية على طبيعة العلاقة بين أهالي المنطقة وإدارة الدولة في سنّار. لكن في نفس ذلك التوقيت، أي إبان إدارة قاسم الهمجاوي للمنطقة؛ كان الشيخ أحمد البصير قد ظهر في المنطقة، وكان زعيماً دينياً استطاع أن يحل كثيراً من الصراعات القبلية في المنطقة، وبخاصة الصراع التاريخي الذي كان دائراً بين الحلاوين والكواهلة (Tame, 1934, 202- 206).

ومن أبناء الفقيه رحمة أيضاً نجد عائلة الشنيناب، وهم أبناء أحمد شنينة الذين تنحدر منهم أسرة الناظر محمد أمام والد الشهيد عبد القادر ود حبوبه، ويقطن معظمهم مدينة المحيريا وقرى ود شنينة وشكيرة حاج الصافي وشكيرة الحليواب وشرفت الحلاوين.

إذن فلا شك أن الفقيه رحمة قد كان صاحب أثرٍ طليعيٍّ في نشر العلم الفقهي والشرعي في المنطقة. ولكن ما نلاحظه أن الطريقة القادرية لم تنتشر كثيراً في منطقة الحلاوين، حتى أننا لا نجد إراثاً وخلافة للشيخ رحمة الحلاوي، فأبنائهم وأحفاده لم يحيا منهجه القادري، فربما اهتم الناس بالعلم الفقهي دون الاهتمام بنشر الطريقة القادرية التي لم تحظ بانتشار واسع بين الحلاوين بقدر ما انتشرت الطريقتين السمانية والختمية فيما بعد، إذ أدخل الشيخ أحمد البصير والشيخ القرشي ود الزين الطريقة السمانية، كما أدخل الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة الطريقة الختمية، والذي أخذها عن السيد محمد عثمان الميرغني (السيد الختم) (عثمان حمد الله، ١٩٦٥ م، ٤٩)، وهو ابن الرسالة بنت مختار ود بل الحلاوي، وابن خالة الشيخ القرشي ود الزين (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦ م، ٦٤٩).

ولذلك؛ ومن خلال ما ذكر عن الفقيه رحمة في بعض المصادر على قلتها وقلة المعلومات الواردة فيها نرى أن هذه الشخصية لم تكن حِكراً على منطقة الحلاوين فحسب، بل في منطقة

الجزيرة، وبشكل محصور في المنطقة الممتدة على النيل الأزرق في الجزيرة. ولعل شيخه تاج الدين البهاري قد سكن قرية وادي شعير القديمة، والتي كانت تعرف ب: ترس نقي (بالقرب من قرية العمارة كاسر) مع مَصِيَّه داود بن عبد الجليل، حيث أقام فيها حوالي سبع سنين (ود ضيف الله، ١٩٧١م، ١٢٧-١٢٨).

فهذه القرية تقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لمنطقة الحلاوين، ولا تبعد كثيراً عن قرية شرفت التي كان يقطنها الفقيه رحمة، فربما خلق هذا القرب جسراً من التواصل المحدود جغرافياً بالنسبة لهذا لشيخ، ولم نجد له ذكراً في البلاط الفوننجي، حيث إن المصادر لم تورد ضمن الذين اتصلوا بسلاطين الفوننج في سنّار، فربما كان ذلك نابعاً من زهده فيما عندهم، ومحاولته عدم الوقوف بالعلم على أعتاب السلاطين، والحفاظ على هبة العلم الشريف وذهاب مكانته تحت صلف الحكام. ويذكر الراوي كمال عبد الله محمد أن والد الفقيه رحمة كان يطلق عليه لقب الملك جمعة ود عفيف، حيث كان يعيش في سنّار، ومَعَيَّناً من قبل الملك على جمع الضرائب، خاصة من أبناء عمومته الحلاوين الموجودين في منطقة الدندر.

لكن لم نجد لهذه الرواية ما يعضدها من براهين أخرى، لذلك لا نستطيع الجزم بصحتها ما لم تظهر لنا قرائن أخرى من خلال بحثنا عن التراث في هذه المنطقة. ومهما يكن من أمر فليس من السهل الجزم بالأسباب التي أدت إلى اختفاء تراث الفقيه رحمة الحلاوي، مع عدم وجود الدليل القاطع، فما ذكرناه من حديث هو مجرد تحليل للأبعاد والتداعيات السياسية والاجتماعية التي اكتنفت حياته. وعلى كل حال فقد دُفِن الشيخ بقرية شرفت الحلاوين، وتم بناء قبة على قبره (لوحة ٢)، ولكن بكل أسف فقد أزيلت القبة القديمة وبنيت في مكانها قبة جديدة (لوحة ٣).



لوحة (٢): قبة الفقيه رحمة الحلاوي بقرية شرفت الحلاوين بطرازها القديم (تصوير الباحث) .



لوحة (٣): قبة الفقيه رحمة الحلاوي بعد بنائها من جديد (تصوير الباحث) .

للفقيه رحمة عدد من التلاميذ الذين انتشروا في المنطقة، ومنهم:

أ/ الشيخ سليم الخالدي:

هو من قبيلة الخوالدة، لكنه كان يسكن قرية السيال التي تُعرف الآن بقرية سليم والتي يسكنها الدباسيون اليوم، وتقع في أقصى غربي منطقة الحلاوين، وهي مقابلة لمدينة أبي عُسر، وقد كانت بلداً عامراً في ذلك الوقت. والشيخ سليم من عباد الله الصالحين، وقال عنه الشيخ حمد بن الترابي: اللهم انفعني ببركة الشيخ سليم راجل السيال؛ يعطي كسرتة لله ورسوله لا لشكر ولفخر، وتوفي رحمه الله تعالى بالسيال وقبره ظاهر يزار (ود ضيف الله، ١٩٧١ م، ٢٢٢). هذا ولم يذكر الشيخ ود ضيف الله شيئاً عن أخذه العلم أو الطريق الصوفي، لكن الراوي الماحي محمد عثمان ذكر أن هذا الشيخ من تلامذة الفقيه رحمة الحلاوي في أخذ العلم والطريق القادري. كما يذكر الراوي متوكل أحمد أبو علامة (السكن: قرية شكيرة حاج الصافي) بأن الشيخ سليم هو تلميذ الشيخ دفع الله المصوبن العركي.

ب/ الشيخ سليمان الزملي:

محله قرية السيال (سليم)، أخذ الطريقة القادرية عن الفقيه رحمة الحلاوي (ود ضيف الله، ١٩٧١ م، ٢٢٢). ولم نعر على تفاصيل أخرى عن هذا الشيخ.

ج/ الشيخ ودّ داد بن سليمان الزملي:

هو ابن الشيخ سليمان الزملي تلميذ الفقيه رحمة الحلاوي، واسمه عبد الرحيم، ووطنه السيال وقد ذكر عنه الشيخ ود ضيف الله في طبقاته ما نصه: "وودّ داد هذا كان فقيهاً ماهراً له معرفة بالأقضية والأحكام، وله مسائل في نحو الكراسين سأل عنها الشيخ الشبراخيتي شارح

مختصر الشيخ خليل في مصر، فهو في غاية الفائدة، تدل على نبالته وفقهه. وقد رأيت بخط الشيخ دفع الله في مكان من كتاب له مكتوب صورته: "من عند فقير الله دفع الله بن الشيخ محمد إلى عند الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ سليمان الزملي المشهور بين الأقران بوّد داد قام مقام أبيه بزيادة. إن فلان قادم إليك له حجة عند قاضي أربجي وهو ما يبحكم إلا بمشورتك، كُن في عونته بالحق.. انتهى". وكان صاحب ميسرة ودفن بالسيال" (ود ضيف الله، ١٩٧١ م، ٣٧١).

د/ الشيخ عالم المسلمي:

هو الشيخ عالم بن الشيخ أحمد القرشي المسلمي. ورد اسم هذا الشيخ عند صاحب الطبقات بوصفها أحد تلامذة الشيخ مختار ولد أبو عناية، حيث أخذ عنه الطريق القادري (ود ضيف الله، ١٩٧١ م، ٣٤٦). لكن الراوي الماحي محمد عثمان يذكر نقلاً عن الفكي أحمد ود منصور من أهالي قرية السنية أن هذا الشيخ كان من تلامذة الفقيه رحمة الحلاوي. لكن يتضح أن هذه الرواية الشفهية بعيدة عن الحقيقة، إذ يبدو أن هناك فارقاً زمنياً بين الفقيه رحمة والشيخ عالم المسلمي، حيث أن الأخير متأخر زمنياً، فابنه الشيخ ابراهيم عالم قد عاصر التركية ولقي الثائر محمد أحمد المعروف بالمهدي وعمل في سلك القضاء إبان الحقبة المهدوية (محمد الطيب البصير، ٢٠١٠ م، ٣٩). وقد ورد اسم الشيخ عالم عند الباحث الفحل الفكي الطاهر في كتابه الخاص بتاريخ وأصول العرب بالسودان كأحد الصالحين بمنطقة الحلاوين (الفحل الفكي الطاهر، ١٩٧٦ م، ٥٨). كما ورد ذكر هذا الشيخ أيضاً عند الإداري البريطاني تيم باعتباره أحد الشيوخ الكبار في منطقة الحلاوين، وذكر أنه كان تلميذاً للشيخ دفع الله ود محمد أبو إدريس العركي والذي عاش بين ١٥٩٤-١٦٨٠ م، وذكر له عدداً من الكرامات (Tame, 1934, 204).

وقد دفن هذا الشيخ داخل قبة معروفة بقرية قرشي الحلاوين (لوحة ٤). ودفن معه أبنائه عبد الجليل، والشيخ ابراهيم عالم القاضي المشهور. وتذكر المصادر أن هذه القبة قد بنيت في عدد من

المرات، لكن أعاد بناءها وترميمها حاج أحمد ود عالم في العام ١٢٣٠ هـ (Tame, 1934, 205). لكن الناظر بدقة إلى التواريخ ومقارنتها بالشخصيات المذكورة في هذا السياق يلاحظ بعض الاضطراب في التورخ للشيخ وشيوخه ومعاصريه وأبنائه، فإما أن يكون هناك عدم صحة في نقل التواريخ، والشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ عالم الطريق القادري، وإما أن يكون هناك تطابق في الأسماء، فلربما تكرر اسم عالم في الأسرة أو المنطقة لعدد من المرات، ما أحدث ارتباكاً في تحديد التواريخ وربطها بالشخصيات.



لوحة (٤): قبة الشيخ عالم المسلمي بقرية حلة قرشي الحلاوين. تصوير الباحث.

٦- الشيخ مختار ود بل الحلاوي:

هو الشيخ مختار بن حمدين بل بن حمدين بن شاور بن محمد بن حمد بن حلو جد الحلاوين، وهو من فرع العصامنة الحلاوين) عثمان حمد الله، ١٩٦٥، ٤٨). وهو من المعاصرين لمملكة الفونج، كما إنه من الرجال الذين عمروا المنطقة بالذكر، فقد أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ يوسف بن محمد الطريفي (الشيخ يوسف أبو شرا). (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦ م، ٦٤٩). وكما أورد الشيخ ود ضيف الله أن الشيخ يوسف رضي الله عنه قد توفي في عام ١٢٧ هـ/ ١٧٩٦ م (ود ضيف الله،

١٩٩٧م، ٣٧٤). وهذا التاريخ يمثل مرحلة الاضطرابات في البلاط الفونجي خلال عصره الأخير. وقد صاحب الشيخ مختار الشيخ يوسف أبو شرا، حتى أنه كان يزوره في منطقة الحلاوين. وهناك رواية يتناقلها الحلاوين فيما بينهم، إذ تذكر الرواية إنه عندما زار الشيخ يوسف تلميذه الشيخ مختار في بيته عرض عليه بناته، فأنكر عليه الحلاوين ذلك، فقال الشيخ يوسف مقولة مشهورة دونها التاريخ وهي: "بنات مختار يلدن الأقمار". (عثمان حمد الله، ١٩٦٥م، ٤٩)

وقد كان ما قال، فقد أنجبت الزيارة بنت مختار الشيخ القرشي ود الزين رضي الله عنه، وقد كان من أبرز الذين أرسوا دعائم الطريقة السمانية في منطقة الحلاوين، ومن أشهر تلامذته؛ الأستاذ الشيخ عبد المحمود ود نور الدائم الطيبي رضي الله عنه، والسيد محمد أحمد المعروف بالمهدي. كما أنجبت الرسالة الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة رضي الله عنه والذي نشر الطريقة الختمية وأنشأ مسيداً وخلوة بحلة مصطفى الحلاوين (لوحه. ٥) (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦م، ٦٤٩). وأنجبت فاطمة إبراهيم ود بهاي، وهو جد أهالي قرية ود بهاي المعروفة بمنطقة الحلاوين.



لوحه (٥): مدخل غار الخليفة الماحي ود الجبارة، حلة مصطفى الحلاوين.

٧- الفكي الأمين ود محمددين:

هو الفكي الأمين بن الفكي محمددين بن الفكي حمدنا الله. ولد في عهد السلطنة الزرقاء، ولم نعر على تاريخ محدد لولادته، وقد وُلد بمنطقة الخرطوم التي كانت تسمى وقتها بالقصير. وينتمي لقبيلة رفاعه، فرع الشبيلات. حفظ القرآن الكريم على يد والده، وتلقى العلم على يد علماء سنّار، حيث كانت هي معقل العلم آنذاك. اشتهر الفكي الأمين بالعلم والصلاح. ثم بعد ذلك نزح إلى منطقة (أبو عُشر) وأقام بها مسيداً لتعليم القرآن الكريم، ومن أشهر تلامذته بها على سبيل المثال؛ القاضي إبراهيم شاقوق قاضي سنّار، والفكي عبد الله العريان رجل الداداب، وقيل اسمه الفكي حمد العريان، إذ إن هناك خلطاً بين الفكي عبد الله العريان جد حاج الصافي مؤسس قرية شكيرة حاج الصافي والفكي حمد العريان. واسم رجل الداداب هذه تُنسب للحاج سليمان ود الفكي قرشي (رجل الداداب) (الراوي متوكل أحمد أبو علامة). وغيرهم كثر. وقد توالى على خلافة المسيد عدد من أبنائه (صديق البادي، ١٩٩٤م، ١٠٣)، وما زال المسيد عامراً بطلاب القرآن الكريم إلى يومنا هذا.

٨- الشيخ أحمد البصير:

هو الشيخ أحمد بن عبد الرازق بن محمد نور بن عبد الرازق بن الحاج بن حمد بن مديدة بن جمعة بن عفيف بن إبراهيم شمش بن محمد زغيو (خازن) بن نائل بن حلو. وُلد الشيخ أحمد في العام 1780م بقرية دُلّقا التي أسسها جده الثالث الحاج ود حمد (صديق البادي، ١٩٩٤م، ١١٠). وكان ذلك موافقاً لولاية الملك محمد عدلان أبو لكيلك ملك الهمج بالسلطنة الزرقاء (التجاني عامر، ١٩٧٧م، ١٠٤). ويُروى أن جده عم أبيه الشيخ قرشي بن عبد الرزاق كان قاضياً بسنّار، لكن هذه المعلومة لم تجد حظها من التوثيق الكامل (الراوي متوكل أحمد أبو علامة).

حفظ الشيخ القرآن الكريم ودرس قسطاً من العلوم الدينية، وأخذ الطريقة السمانية عن شيخه الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير رضي الله عنه. وقد كان الشيخ أحمد ضريراً إثر ضربة رمح أصابه إبان حروب الحلاوين مع جيرانهم الكواهلة (صديق البادي، ١٩٩٤م، ١١٠)، لكن الشيخ أحمد الطيب بن البشير لقبه بالبصير لما رأى عليه من الفتوحات والقرب من الله تعالى. وقد كان من أجلّ تلاميذ الشيخ أحمد الطيب، إذ كان الشيخ يقدره ويجلسه بجانبه، ولا يفعل ذلك مع غيره التلاميذ (عبد المحمود نور الدائم، ١٩٩٧م، ٢٩١) وأثر الشيخ الديني كبير وواضح، لكنه أيضاً يمثل مرشداً ومصلحاً اجتماعياً بالغ الأهمية، وله كلمته بين الناس في المنطقة، وخير مثال لذلك؛ بروز شخصيته في حسم الصراع الذي كان دائراً بين الحلاوين والكواهلة في ذلك الوقت، حيث سافر الشيخ البصير إلى منطقة النيل الأبيض ليلتقي بالعقلاء من الكواهلة ويبحث معهم مشروع صلح يحقن الدماء، وبالفعل كان له ما أراد، وتوج ذلك بزواجه من ابنة الفكي محمد الأغبش، وهو من قادة الكواهلة. وقد أنهت هذه المصاهرة الصراع الذي دام لعقود طويلة بين الحلاوين والكواهلة (Tame, 1934, 206)، وكان ذلك في العام 1244هـ. (عبد المحمود نور الدائم، ١٩٩٧م، ٢٩١).

وعندما جاء قاسم الهمجاوي بن الملك محمد عدلان أبي لكيلك إلى المنطقة، وأحدث عنفاً في جمع الضرائب؛ تذكر الروايات أن الملك محمد عدلان أبو لكيلك استدعى الشيخ البصير وأكرم وفادته، واعتذر له عما بدر من قاسم الهمجاوي، وسلمه مكتوباً ينص فيه على تسليمه أرضاً يقوم بزراعتها، وهذا نص المکتوب: "حجة سلطانية مرضية بالديار الفونجية، بمدينة سنّار المحمية، لدى متوليها وابن متوليها، القابض أعنة قاصيها ودانيها، السلطان بن السلطان محمد أبو لكيلك. إنه قد تصدق على الشيخ أحمد البصير بدار خلته مطرية كانت أو بحرية، فهذه الحلة لا عليها كرشة ولا مُحَلّاية ولا متورت ولا غيرها من السبل العادية. والصدقة المذكورة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فنؤكد عليكم أيها الجاين ألا تتعرضوا لهذه القرية، فمن تعرض لها

فكأنها عرّض نفسه للوبال والهلاك. والسلام". (Tame, 1934, 213). ويروي تاريخ الحلاوين أن الشيخ أحمد البصير قد توفي في العام 1244 هجرية، أي نفس العام الذي عقد فيه الصلح مع الكواهلة (Tame, 1934, 208).

من الواضح جلياً أن منطقة الحلاوين كانت غنية بالفقهاء والصالحين العبّاد، ما يشير إلى أن هذه المنطقة قد نالت حظاً وافراً من التعليم الديني في ذلك الوقت، ولعلنا نلاحظ أن المنطقة قد ازدهرت بصورة أكبر خلال الفترة التركية، إذ أنشئت الخلاوي والمعاهد الدينية في معظم قرى منطقة الحلاوين، كما احتضنت المنطقة الثورة المهدية في مهدها، وذلك عندما كان الثائر محمد أحمد تلميذاً عند الشيخ القرشي ود الزين.

أما فيما يتعلق بالزعامات السياسية والإدارية المحلية إبان تلك الحقبة فلم نجد ذكراً لشخص ذائع الصيت إلا للمك بلولة، ويبدو أنه أحد الذين تعاقبوا على زعامة المنطقة خلال عصر الفونج، لكن لم نجد له إرثاً تاريخياً موثقاً بشكل مستفيض، غير أن ذكره قد جاء خلال المعارك التي كانت تنشب بين الحين والآخر بين الحلاوين والكواهلة القريشاب في منطقة عديد أبو عشر، فقد قُتل هذا الرجل خلال تلك المعارك (Tame, 1934, 203)، وكذلك الشيخ محمد القرشي المعروف بمحمد الهدو، وهو أحد أبناء أتباع الشيخ عالم المسلمي، وكان معاصراً للمك ناصر الأمين زعيم العبدلاب، وكان الشيخ محمد الهدو حاضراً عندما هاجم المك ناصر الأمين المنطقة إبان بعض النزاعات بين الفونج والعبدلاب (Tamem, 1934, 205). ولعل الزعامات الدينية كانت تطّلع بأثر كبير في الإدارة الأهلية، كما ورد ذلك عن الشيخ أحمد البصير في حلّ الخلاف بين الحلاوين والكواهلة.

مناقشة وتلخيص:

ثمة ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، فبما أن منطقة الحلاوين تعد جزءاً لا يتجزأ عن الأقاليم القريبة من سنّار، فبالأحرى أن تكون ذات أهمية بالنسبة للحاكم في سنّار، فهذه الأهمية تتجسد في النواحي السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والدينية. فليس من المعقول أن تكون هذه المنطقة بمنأى عن سياسات الحاكم، سواء كان في سنّار العاصمة، أم في مركز أربجي، أو مركز المسلمية. وفي هذا المقام يمكن أن نورد عدداً من البراهين التي تؤكد أن لهذه المنطقة شأنًا خلال فترة حكم الفونج لجزء كبير من السودان. ولعل الدراسات اللاحقة تزيد هذه البراهين تأكيداً، لأن شح المعلومات والمصادر المتحدثة عن هذه المنطقة إبان عصر الفونج يعد من العوامل المؤثرة على كتابة تاريخها ولو لفترة مؤقتة، فلعل الأبحاث الاجتماعية والآثارية المستقبلية تمدنا بمعارف جلية عن هذا الشأن. وتتمثل البراهين فيما يلي:

- ١/ يمثل وجود الفقيه رحمة الحلاوي في هذه المنطقة منبعاً لروح العلم، وتجسيدا لشخص الشيخ المعلم المربي، والزعيم الذي يجتمع الناس عند كلمته وتحت رايته، سيما وأنه يعد أبا فرع كبير من فروع الحلاوين، والذين آلت إليهم نظارة القبيلة خلال الحكم التركي، وذلك في عهد الناظر محمد إمام ود إدريس (عون الشريف قاسم، ١٩٩٦م، ٦٤٩).
- ٢/ يُعد قُرب المنطقة من مراكز الإشعاع في ذلك الوقت سبباً كافياً لأن يخرج إنسانها باحثاً عن كافة دروب الحياة، فأربجي والمسلمية كانتا على قدر من الازدهار والتقدم الحضاري، وبخاصة مدينة أربجي. فقد كانتا حلقة وصل بين المنطقة ومركز السلطة في سنّار. وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث مصطفى مسعد يقول إن مدينة أربجي كانت الحد الفاصل بين نفوذ عبد الله جماع الذي امتدت سلطته على جميع الوحدات القبلية حتى منطقة حنّك شمال دنقلا (مسعد، ١٩٦٠م، ٢٠٨)، في حين أن سلطة عمارة دنقس امتدت على ما يلي

هذه الأقاليم جنوباً (Muchugh, 1994, 38)، ما يعني تبعية الحلاوين لسلطة عبد الله جماع، ولا ننسى رابطة الدم بين الحلاوين والعبدلاب القواسمة الذين تجمعهم قبيلة رفاة الأم، لكن هذا لا ينفي إمكانية استفادتهم من كل الثروات التي كانت تذخر بها مدينتا أربجي والمسلمية.

٣/ يُلاحظ من خلال الروايات الشفهية التي قمنا بتوثيقها أن جُل الذين ذُكروا في هذه المنطقة كانوا عبارة عن فقهاء وصوفية. وهؤلاء الزعماء الروحيون كانوا يسوسون حياة الناس مع بعض أصحاب الجوانب الإدارية والسياسية كقاسم الهمجاوي، وبعض الزعماء الذين ينتمون لمجتمع الحلاوين.

٤/ تعد المنطقة أنموذجاً للأراضي الصالحة للزراعة، سواء كانت مروية بالسواقي من النيل أو مزروعة بالأمطار، فهي خصبة غنية وفيرة الإنتاج، ويمكن أن تكون رافداً اقتصادياً مهماً بالنسبة للحكام سواء كان في الضرائب التي تجبى من المزارعين، أو في الغلال التي تغذي الأسواق في المنطقة.

٥/ كما أن المنطقة صالحة للرعي، فهناك مساحات شاسعة من المراعي الطبيعية الصالحة لتربية كافة أنواع الأنعام، وهذا مصداقاً لما كتبه نيل موشو (Muchugh, 1994, 42)، فالسكان كانوا يربون الماشية في الأزمان السابقة، على الرغم من أن الوضع قد تغير كثيراً اليوم، إذ اشتغل الناس بالوظائف الحكومية، والهجرة، والتجارة، والزراعة أكثر من تربية الحيوانات كشروة اقتصادية.

٦/ لا شك أن التجارة أيضاً قد كانت ذات أثر كبير في إثراء حركة التنمية بالمنطقة، فطالما أن المقومات الأساسية للتجارة متوفرة، وحركة الملاحة النيلية كانت مناسبة عبر النيل الأزرق، والمراكز التجارية كأربجي والمسلمية موجودة. فليس هناك ما يمنع أن تكون هذه المنطقة مركزاً تجارياً يمثل أحد قنوات الدعم المالي لخزينة الدولة السنارية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- التجاني عامر، دراويش وفرسان، مطبعة التمدن المحدودة، ١٩٧٧ م.
- الشاطر بصيلي عبد الجليل، معالم تاريخ السودان وادي النيل، من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، مطبعة أبو فاضل، القاهرة، ط ١، ١٩٥٥ م.
- الفحل الفكي الطاهر، تاريخ وأصول العرب بالسودان، الخرطوم، ١٩٧٦ م.
- عثمان حمد الله، التعارف والعشيرة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥ م.
- عثمان عوض الكريم محمد، عبد القادر ود حبوبه، والعوامل المؤثرة على شخصيته، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، ٢٠٠٨ م.
- عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الخرطوم، الجزء الثاني، ١٩٦٦ م.
- كاتب الشونة، أحمد ابن الحاج أبو علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- محمد الطيب البصير، سلسلة أعلام الحلاوين (١) الأمير محمد الطيب البصير (ود البصير) نائب الإمام المهدي وأمير أمراء الجزيرة، مطابع السودان للعملة، ط ١، ٢٠١٠ م.
- ود ضيف الله، محمد النور، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٧١ م.

المراجع الأجنبية:

- Balfour-Poul, H. G. 1952. "Early Cultures on the Northern Blue Nile", *Sudan Notes and Records* 33. 202-216.
- McMichael, H. A. 1922. *A History of the Arabs in the Sudan*, Vol 1. Cambridge University Press.
- Muchugh, N. 1994. *Holy men of the Blue Nile: The making of an Arab-Islamic Community in the Nilotic Sudan 1500-1850*. Northwestern University Press.
- Tame, G. B. 1934. "Legends of the Halawin of Blue Nile Province", *Sudan Notes and Records* 17, Part 2: 201-216.

الروايات الشفهية:

١/ الماحي محمد عثمان منصور، العمر: ٨٠ سنة، السكن: السنية الحلاوين، المهنة: مزارع، ٢٠١٨م.

٢/ فاطمة بشرى عبد الله، العمر: ٨٠ سنة، السكن: السنية الحلاوين، المهنة: ربة منزل، ٢٠١٨م.

٣/ عبد الرحمن يوسف حسن، العمر: ٦٧ سنة، السكن: الجريف غرب، المهنة: معلم، ٢٠١٨م.

٤/ كمال عبد الله محمد، العمر: ٥٥ سنة، السكن: قرية شرفت، المهنة: مزارع، ٢٠١٨م.

٥/ متوكل أحمد أبو علامة، العمر: ٤٣ سنة، السكن: قرية شكيره حاج الصافي، المهنة: أعمال حرة، ٢٠٢٦.

الجذور السوسيو-اقتصادية للصراع في السودان: مراجعة تحليلية نقدية للأدبيات المعاصرة ٢٠٢٠م - ٢٠٢٥م

د. بابر عيسى أحمد محمد،

رئيس قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، جامعة

بحري، السودان

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك الجذور السوسيو-اقتصادية البنيوية الكامنة وراء استدامة الصراع في السودان وتفجّره في أبريل ٢٠٢٣م، وذلك من خلال مراجعة تحليلية نقدية عينة قصدية مكونة من (١١) دراسة أكاديمية معاصرة منشورة بين عامي (٢٠٢٠م و٢٠٢٥م)، اعتمدت الدراسة منهجية المراجعة السردية التحليلية التكاملية عبر المسح الشامل لقواعد البيانات الأكاديمية مثل Google Scholar، وDs pace، والمجلات المحكمة باستخدام معايير إدراج واستبعاد محددة ومصنفة ترميز موضوعي. أظهرت النتائج أن الصراع الراهن هو نتاج تفاعل ديناميكي بين ثلاثة محاور بنيوية: الفشل الهيكلي في بناء عقد اجتماعي قائم على المواطنة المتساوية مما أدى إلى تسييس الإثنية وعسكرة الولاءات القبلية: التنافس المحموم على الموارد الريعية ذات القيمة العالية (الذهب والنفط والأراضي) مما خلق اقتصاد حرب يعيد إنتاج هشاشة الدولة - التفاوت التنموي الحاد بين المركز والأطراف. تكمن القيمة المضافة للدراسة في تقديم نموذج تفسيري مركبي يدمج بين العاملين الاقتصادي والاجتماعي لسد الفجوة التحليلية الأدبيات السابقة، وتوصي الدراسة بالانتقال من التسويات السياسية الفوقية إلى الإصلاحات البنيوية، وإعادة بناء العقد الاجتماعي، وإخضاع قطاع الموارد للرقابة المدنية الشفافة.

الكلمات المفتاحية: الصراع في السودان، الاقتصاد السياسي للصراع، تسييس الإثنية، اقتصاد الحرب، هشاشة الدولة، التنمية غير المتوازنة

Abstract

The Socioeconomic Roots of Conflict in Sudan: A Critical Analytical Review of Contemporary Literature (2020–2025). This study aims to deconstruct the structural socioeconomic roots underlying the persistence of conflict in Sudan and its escalation in April 2023. It employs an integrative critical literature review analyzing a purposive sample of (12) contemporary academic studies published between 2020 and 2025. The methodology relies on a systematic search across academic databases, applying rigorous inclusion/exclusion criteria and a qualitative thematic synthesis framework. The findings reveal that the current conflict is the outcome of a dynamic interplay among three structural axes: (1) the failure to establish an inclusive social contract based on equal citizenship, resulting in the politicization of ethnicity; (2) intense competition over high-value natural resources (gold, oil, and land), which generated a self-sustaining war economy; and (3) chronic uneven development between the center and peripheries. The added value of this study lies in proposing a synthesized analytical model that integrates economic and sociological variables. The study recommends transitioning from top-down political deals to structural reform, re-establishing the social contract, and subjecting state resources to transparent civilian oversight.

Keywords: Sudan conflict, Political economy of conflict, Ethnic politicization, War economy, State fragility, uneven development

المحور الأول: الإجراءات المنهجية

١. المقدمة:

ظل السودان منذ استقلاله عام ١٩٥٦ م يعاني من صراعات مسلحة متطاولة أدت إلى تمزيق النسيج الاجتماعي واستنزاف الموارد الاقتصادية، حتى بلغت الأزمة ذروتها الشاملة في حرب ١٥ أبريل ٢٠٢٣ م، عقود طويلة شهدت هيمنة الرؤى التقليدية التي تحتل الصراع في مجرد تباينات ثنائية إثنية أو ثقافية أو دينية، غير أن تسارع الديناميات الراهنة أثبت قصور هذه المقاربات الأحادية عن تقديم تفسير كافٍ لآليات استدامة النزاع وإعادة إنتاجه. تأتي هذه الدراسة لتطرح مقارنة تركيبية تتجاوز الاختزال السياسي والأحادي، من خلال ربط التحولات الهيكلية للاقتصاد السياسي للبلاد بالبناء الاجتماعي ومؤسسات الضبط الهشة، وتنطلق الدراسة من تسلسل منطقي يبدأ بتشخيص واقع الصراع، مروراً برصد اتجاهات أدبيات النزاع المعاصرة، وصولاً إلى تحديد أوجه القصور والفجوة التحليلية التي تغطيها هذه الدراسة عبر تقديم نموذج سوسيو-اقتصادي تفسيري شامل.

٢. مشكلة الدراسة:

على الرغم من الغنى الثقافي والموارد الطبيعية الهائلة التي يمتلكها السودان، إلا أنه يعاني من تفكك اجتماعي وعدم استقرار بنيوي متواصل، تكمن مشكلة الدراسة في تسليط الضوء على الإشكالية البنيوية المتمثلة في: كيف أدى التفاعل التراكمي بين التفاوت التنموي، وتسييس التعددية الإثنية، وغياب العقد الاجتماعي الشامل إلى خلق اقتصاد حرب دائم فجر أزمة أبريل ٢٠٢٣ م؟

٣. أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة المركزية التالية:

أ. ما دور العوامل البنيوية الاقتصادية والتفاوت التنموي في تأجيج الصراعات المسلحة في السودان؟

ب. كيف تتفاعل الأبعاد البيئية والاقتصادية والإثنية لإنتاج حالة إعادة التدوير الذاتي للنزاع؟

ت. ما الآليات (والميكانيزمات) التي وظيفتها النخب السياسية والاجتماعية لتسييس الإثنية وتحويل الهويات الأولية إلى رأس مال عسكري وسياسي في أزمات الحكم وحروب الوكالة؟

ث. كيف يسهم المفهوم التركيبي (للرؤية السوسيو-اقتصادية) في معالجة الفجوة التحليلية للأدبيات السابقة وتفسير جذور النزاع الراهن؟

٤. أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق الآتي:

أ. كشف الأبعاد الاقتصادية الهيكلية الكامنة خلف استدامة النزاع السوداني وتفكيكها.

ب. تحليل شبكة التفاعل المركبة بين الضغوط البيئية، والتهميش التنموي، وتسييس الهويات الفرعية.

ت. تقييم الطرق والأدوات التي اتخذتها النخب لعسكرة القبيلة وتشكيل شبكات مصالح (اقتصاد الحرب).

ث. تقديم إطار تحليلي نقدي تكاملي يردم الفجوة في الأدبيات المعاصرة ويقدم مقترحات إصلاحية بنيوية للتعافي والسلام المستدام.

٥. المنهجية والإجراءات:

اعتمدت الدراسة على منهج المراجعة التحليلية النقدية بإدماج الأدوات المنهجية التالية:

- المنهج الوصفي التحليلي السوسولوجي: لتحليل العلاقات البنيوية بين النظم الاقتصادية والتكوينات الاجتماعية والسياسية.
- منهج تحليل المحتوى الكيفي: عبر تفكيك مضامين الأدبيات واستخلاص مقالاتها وتصنيفها موضوعياً.
- المنهج التاريخي المقارن: لفهم الامتدادات الزمنية للمظالم التاريخية وكيفية تجسدها في صراع الحاضر.

٥. ١. إجراءات اختيار العينة وتحديد مجتمع البحث:

- مجتمع البحث: الإنتاج الفكري والأكاديمي المعاصر المتعلق باقتصاديات النزاع في السودان وسياساته.
- عينة البحث: عينة قصدية مكونة من (١١) دراسة علمية محكمة وتقرير استراتيجي نُشرت خلال الفترة ٢٠٢٠ - ٢٠٢٥ م.

معايير الإدراج:

- أ. أن تكون الدراسة منشورة في دورية محكمة أو صادرة عن مراكز بحثية معتمدة.
- ب. أن تقع زمنياً ضمن الفترة ٢٠٢٠ - ٢٠٢٥ م.

ت. أن تعالج صراحة أحد الأبعاد الاجتماعية أو الاقتصادية أو البيئية أو السياسية للصراع في السودان.

معايير الاستبعاد:

المقالات الصحفية غير المحكمة والتقارير الإخبارية السريعة، الدراسات المنشورة قبل عام ٢٠٢٠ م باستثناء المراجع النظرية التأسيسية- الدراسات التي تقتصر على الوصف السياسي السطحي دون تقديم إطار تحليلي.

٦. مصفوفة تحليل الأدبيات المراجعة وتلخيصها ٢٠٢٠-٢٠٢٥ م:

جدول (١) مصفوفة تلخيص الأدبيات المعاصرة المحددة في عينة الدراسة وتحليلها (٢٠٢٠-٢٠٢٥ م)

(٢٠٢٥ م)

رقم	الباحث	السنة	عنوان الدراسة	المنهج	المحاور والأبعاد التركيبية	الفجوة المغفلة
1	وحدة حساسية النزاع	٢٠٢٥ م	البيئة والنزاع والسلام في السودان	التحليل البيئي والاجتماعي	تأثير المناخ والتغير البيئي والتنافس على الموارد	تركيز صارم على البعد البيئي دون ربطه بعسكرة الإثنية وبنية الدولة
2	دشر	٢٠٢٥ م	الصراع الإثني في السودان: جذوره وتطوره	التاريخي والتحليلي	جذور التنافس الإثني والتدخلات الإقليمية	إغفال التحولات في نمط التنمية والتوزيع غير العادل للثروة الريعية

3	عواد ومبروك	٢٠٢٥ م	أطر تقديم الصراع المسلح في الصحف العربية	تحليل المحتوى الإعلامي	التغطية الإعلامية والأطر التفسيرية للحرب	التقيد بالبعد الإعلامي دون تفكيك الصراع ميدانياً وبنوياً
4	مجدي	٢٠٢٤ م	تأثير الصراع على هشاشة الدولة	الوصفي التحليلي	مؤشرات الفشل المؤسسي وهشاشة الدولة (٢٠١٩-٢٠٢٤ م)	التركيز المؤسسي الفوقي وافتقار التفسير للآليات القاعدية للتجنيد القبلي
5	خلف ومحمد	٢٠٢٤ م	الحرب في السودان بعد عام ٢٠٢٣ م وآفاقها	تحليل السياسات	المسارات العسكرية وموازن القوة السياسية	الاقتصار على النتائج المباشر للحرب وإغفال التراكمات السوسيو اقتصادية
6	موسى	٢٠٢٤ م	أثر صراع الهويات على التعايش السلمي	الوصف التحليلي	التباين الثقافي وصراع الهويات وتراجع الاندماج	إغفال المحرك الاقتصادي والتنافس على الموارد في تغذية صراع الهويات
7	مصطفى	٢٠٢٤ م	تداعيات الصراع على السلطة على الأمن القومي	التحليل الاستراتيجي	أزمات النزوح والتهديدات الأمنية المتشابكة	معالجة الآثار الإنسانية واعراض وليس كجذور بنوية متجددة

8	سراج الدين	٢٠٢٤ م	المواطنة والأمن القومي	المنظور القانوني والفلسفي	التنظير الدستوري والقانوني لمفهوم المواطنة	معالجة المواطنة بوصفها مشروعاً قانونياً أو إغفالها على أنها ممارسة اجتماعية واقتصادية
9	حسين	٢٠٢٣ م	الصراع المسلح السوداني: العوامل والتداعيات	التحليل السياسي والأمني	هشاشة الدولة والأبعاد الأمنية والعسكرية	غياب المفهوم السوسيولوجي للتماسك الاجتماعي واقتصاديات الحرب المحلية
١٠	خير	٢٠٢٠ م	تأسيس الإثنيات وأثره على الأمن القومي	الوصف التحليلي	الاستغلال السياسي للقبيلة في الحقبة ١٩٨٩ - ٢٠٢٠ م	التوقف عند الحدود الزمانية للعام ٢٠٢٠ م دون الربط بتفجير حرب ٢٠٢٣ م
١١	بو عبدلي	٢٠٢٠ م	تأثير النزاعات على بناء الدولة في أفريقيا	مقارنة حالة السودان	مقارنة بناء الدولة في السودان بالنماذج الأفريقية	التعميم الإقليمي الفوقي وإهمال الخصوصية المحلية للاقتصاد الريعي

المصدر: إعداد الباحث بناءً على المسح والتصنيف الموضوعي لأدبيات عينة الدراسة

٧. الإطار النظري والمفاهيمي:

تستند الدراسة إلى إطار نظري تركيبي يزاوج بين النظرية الوظيفية المحدثثة ونظرية الصراع الماركسية الراديكالية ومقاربة الاقتصاد السياسي للنزاعات.

المنظور الوظيفي: يفترض أن للمجتمع نسقا يسعى للتوازن والديناميكية عبر التكامل بين نظمه الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية، وفي حالة السودان، يفسر هذا المنظور الصراع بكونه نتيجة اختلال وظيفي هيكلي وعجز مؤسسات الدولة والنظام السياسي عن إدارة التنوع، وتحقيق التوزيع العادل للموارد، وتطوير مؤسسات الضبط الاجتماعي، مما أدى إلى تصدع العقد الاجتماعي واختلال القيم المشتركة.

منظور الصراع والاقتصاد السياسي: يرى أن الصراع نتاج طبيعي التنافس غير المتكافئ على القوة والسلطة والموارد النادرة ويوظف هذا المنظور لتفسير كيف حولت النخب الحاكمة والتجارية الموارد الطبيعية (كالذهب والأراضي) إلى أداة للهيمنة، وكيف حل التنافس الصفري على الموارد الريعية محل العمل المؤسسي، مما أدى لبروز اقتصاد الحرب.

التعريف الإجرائي للجذور السوسيو-اقتصادية:

هي شبكة التفاعلات البنوية المتشابكة التي يتقاطع فيها التوزيع غير العادل للتنمية والموارد مع التمايز الثقافي والاثني، مما يحول الولاءات الأولية إلى آليات تجنيد واستقطاب سياسي وعسكري تعيد إنتاج النزاع واستدامته.

المحور الثاني: العوامل البنوية الاقتصادية للصراع في السودان

تكشف المراجعة التحليلية للأدبيات أن أزمات السودان المتلاحقة لا يمكن فصلها عن التفاوت الهيكلي في بنية الاقتصاد الوطني وإدارة الموارد، ويمكن تكثيف المعطيات البنوية في ثلاثة أبعاد رئيسية:

١. النخب والاقتصاد السياسي للموارد:

تؤكد الأدبيات المراجعة مثل: وحدة حساسية النزاع، ٢٠٢٥م؛ مجدي، ٢٠٢٤م أن الموارد الطبيعية الحيوية كالمياه، والأراضي الزراعية، والذهب، والنفط تحولت في السودان بسبب غياب الحوكمة والشفافية والمساءلة من محركات للتنمية إلى وقود للصراع فقد احتكرت النخب المركزية وحلفاؤها المحليون السيطرة على العوائد الريعية وأقصت المجتمعات المحلية في الأقاليم والمناطق الهامشية، هذا الاستغلال النخبوي أنتج حالة عميقة من المظالم الاجتماعية، مما جعل الاستقطاب المسلح والانضمام للحركات المسلحة استراتيجية دفاعية للبقاء والوصول للموارد في ظل غياب البدائل التنموية.

٢. الضغط البيئي وتدهور سبل كسب المعيشة:

أشارت دراسات النزاع البيئي ووحدة حساسية النزاع، ٢٠٢٥م إلى أن السودان يعاني من موجات جفاف وتصحر وتذبذب في معدلات الأمطار، هذا التغير المناخي أدى إلى تقلص المساحات الصالحة للزراعة والمراعي، مما تصاعد معه التنافس المباشر بين الرعاة والمزارعين على مسارات الرعي وملكية الأرض والخواكير، ومع تدهور سبل كسب المعيشة وتراجع القدرة الاستيعابية للأنشطة الاقتصادية التقليدية، تصدعت الآليات المعرفية والإدارية التقليدية لتسوية النزاعات، مما يسر عسكرة هذه التناقضات المحلية، وتحويلها إلى نزاعات إثنية مسلحة.

٣. الهشاشة الاقتصادية والتهميش المزدوج:

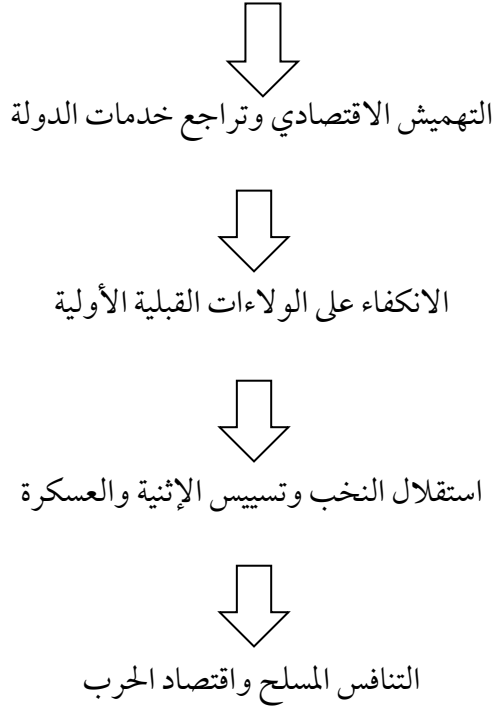
يُمثل التفاوت التنموي الحاد بين المركز (الخرطوم والولايات النيلية) والأطراف (دارفور، كردفان، الشرق، والنيل الأزرق) خيطاً رابطاً في الأدبيات المراجعة (دشر، ٢٠٢٥م؛ محمد، ٢٠٢٤م) إن عجز الدولة عن توفير الخدمات الأساسية التعليم، الصحة، البنية التحتية في المناطق الهامشية، حوّل المطالب التنمية العادلة إلى حركة احتجاجية وسياسية مسلحة، هذا التهميش المزدوج الاقتصادي والسياسي أضعف الشرعية المؤسسية للدولة وعزز حالة الهشاشة الهيكلية التي جعلت الدولة عاجزة عن امتلاك احتكار مشروع للقتال والتنمية.

المحور الثالث: تسييس الإثنية والديناميات المجتمعية

أظهرت المراجعة النقدية للأدبيات أن البعد الثقافي والاثني لا يعمل بمعزل عن البنية الاقتصادية والسياسية، والإثنية في السودان لم تكن سبباً ذاتياً للصراع، بل جرى تشكيلها وتسييسها بوصفها أداة للصراع على السلطة والموارد.

١. استغلال القبلية أداة للحشد والتأييد السياسي:

أوضحت دراسات (خير ٢٠٢٠م ودوزي (٢٠٢٣م) أن عجز مؤسسات الدولة الحاد ومحسوبة التوزيع دفعت الأفراد والجماعات للارتداد نحو (الهويات الأولية: القبيلة والعشيرة) ملجأً أخيراً لتوفير الحماية والحصول على المزايا، وقد عمدت النخب السياسية والعسكرية المتعاقبة إلى استغلال هذه التعددية عبر استراتيجيات فرق تسد، وعسكرة الولاءات القبلية لتجيش الميليشيات والمجموعات المسلحة بغرض تعزيز سلطتها، مما حول القبيلة من وحدة بناء اجتماعي إلى أداة تجنيد في حروب الوكالة.



شكل (١) نموذج تفسيري يوضح تحول التهميش الاقتصادي إلى عسكرة إثنية واقتصاد حرب

فشل التنمية والتوزيع غير العادل

المصدر: إعداد الباحث بالاستناد إلى أطروحة موسى، ٢٠٢٤م، دوزي، ٢٠٢٣م، بوعبدلي، ٢٠٢٠م، خير، ٢٠٢٠م، صياغة تركيبية.

٢. تعارض الهويات وتحديات بناء العقد الاجتماعي:

يرى موسى ٢٠٢٤م أن أزمة التماسك المجتمعي في السودان تعود في جوهرها إلى العجز التاريخي عن صياغة مشروع وطني للهوية يتجاوز الهويات الفرعية الضيقة، إن غياب عقد اجتماعي

جامد يقوم على مبدأ (المواطنة المتساوية) أدى إلى استقطاب إثني وثقافي حاد، حيث أضحت كل مجموعة تسترشد ومرجعياتها الخاصة وترى في المجموعات الأخرى تهديداً لوجودها، وهو ما استغلته النخب لتعميق الانقسام المجتمعي.

٣. التغيرات الديموغرافية والنزوح بوصفه محركاً متجدداً للنزاع:

بيّنت الأدبيات المعاصرة مصطفى، ٢٠٢٤م أن الحروب المتكررة أحدثت تحولات ديموغرافية وقسرية واسعة النطاق عبر النزوح الداخلي واللجوء، هذه التغيرات لم تكن مجرد عرض إنساني للحرب، بل إنها أعادت رسم الخارطة الاجتماعية والسكانية وأججت النزاعات السكنية والعقارية بين السكان الأصليين والنازحين الجدد على الخدمات الشحيحة والفرص الاقتصادية، مما يخلق بؤر نزاع جديدة متجددة مستقبلاً.

المحور الرابع: تراكمات الماضي وانفجار صراع ١٥ أبريل ٢٠٢٣م

يُشكل صراع ١٥ أبريل ٢٠٢٣م المحطة الأشد خطورة في تاريخ السودان الحديث، وتؤكد الأدبيات مثل: خلف ومحمد، ٢٠٢٤م؛ مجدي، ٢٠٢٤م أنه ليس حدثاً عسكرياً طارئاً أو مجرد نزاع بين طرفين حليفين، بل هو انفجار هيكلي نتيجة تراكمات عقود من الاحتلال السوسيو-اقتصادي والسياسي.

١. الصراع الصفري على السلطة واقتصاد الحرب:

أدى فشل مرحلة الانتقال السياسي عقب ثورة ٢٠١٩م والتنافس المحموم بين القوى العسكرية والمدنية إلى تحول الدولة إلى ساحة صراع صفري، ومع اندلاع القتال، تكرر ما يُعرف (ب- اقتصاد الحرب)، حيث أصبح لكل طرف شبكات اقتصادية مستقلة تُغذى من التعيين غير الرسمي

(الذهب، والتهريب عبر الحدود)، والتعبئة الإثنية، أدى هذا الوضع إلى فقدان العنف لشرعيته الوطنية وتحوله إلى نشاط استثماري يُحقق أرباحاً لصناع الحرب، مما يُعقد فرض حلول التسوية السلمية.

٢. التدويل والتدخل الخارجي:

استدعى النزاع المسلح اهتمام شبكات إقليمية ودولية تسعى لحماية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والأمنية في البحر الأحمر وحوض النيل ومناطق الذهب (متدى الدراسات المستقبلية، ٢٠٢٣م) هذا التدخل الأجنبي أدى إلى مد الأطراف المتصارعة بالسلاح والتمويل، مما قوض السيادة الوطنية، وأطال أمد النزاع، ودفع بالبلاد إلى مراتب متقدمة في مؤشرات الفشل وهشاشة الدولة عالمياً.

المحور الخامس: مناقشة نقدية للأدبيات المراجعة وتحديد الفجوات البحثية

تكشف القراءة النقدية الشاملة للأدبيات المعاصرة (٢٠٢٠ - ٢٠٢٥م) عن عدة ثغرات منهجية وتحليلية يسعى هذا البحث لهدمها:

١/ النزعة الاختزالية والتفكيك الجزئي: عانت معظم الأدبيات السابقة من التخصص الأحادي القاصر؛ إذ ركزت دراسات على البعد البيئي منفصلاً (وحدة حساسية النزاع، ٢٠٢٥م)، ودراسات أخرى على الهوية فقط (موسى، ٢٠٢٤م)، أو البعد الأمني المؤسسي (حسين، ٢٠٢٣م)، يكمن إسهام هذه الدراسة في تقديم نموذج تفسيري تركيبى موحد يثبت أن التهميش الاقتصادي والضغط البيئي هما المحرك الأساسي لتسييس الإثنية وهشاشة المؤسسات.

٢/ التركيز على الحلول السياسية الفوقية: تغلب على غالب التوصيات الواردة في الأدبيات

السابقة النظرة الإجرائية الفوقية مثل تقاسم السلطة، وتشكيل الحكومات، وإبرام الهدن، وتغفل هذه الرؤية أن التسويات الفوقية التي أهملت (العدالة التوزيعية) و (التمكين القاعدي) كانت هي السبب المباشر في إعادة إنتاج الحرب بشخصيات وأدوات جديدة.

٣/ قصور معالجة المواطنة: تناولت أدبيات مثل سراج الدين، ٢٠٢٤م المواطنة بوصفها إطاراً قانونياً وفلسفياً مجرداً؛ بينما تؤكد هذه الدراسة أن المواطنة في الواقع السوداني هي ممارسة اجتماعية واقتصادية لا يمكن تحقيقها بدون عدالة تنموية ملموسة تكسر ارتهان المواطن للمؤسسة القبلية.

المحور السادس: النتائج والتوصيات

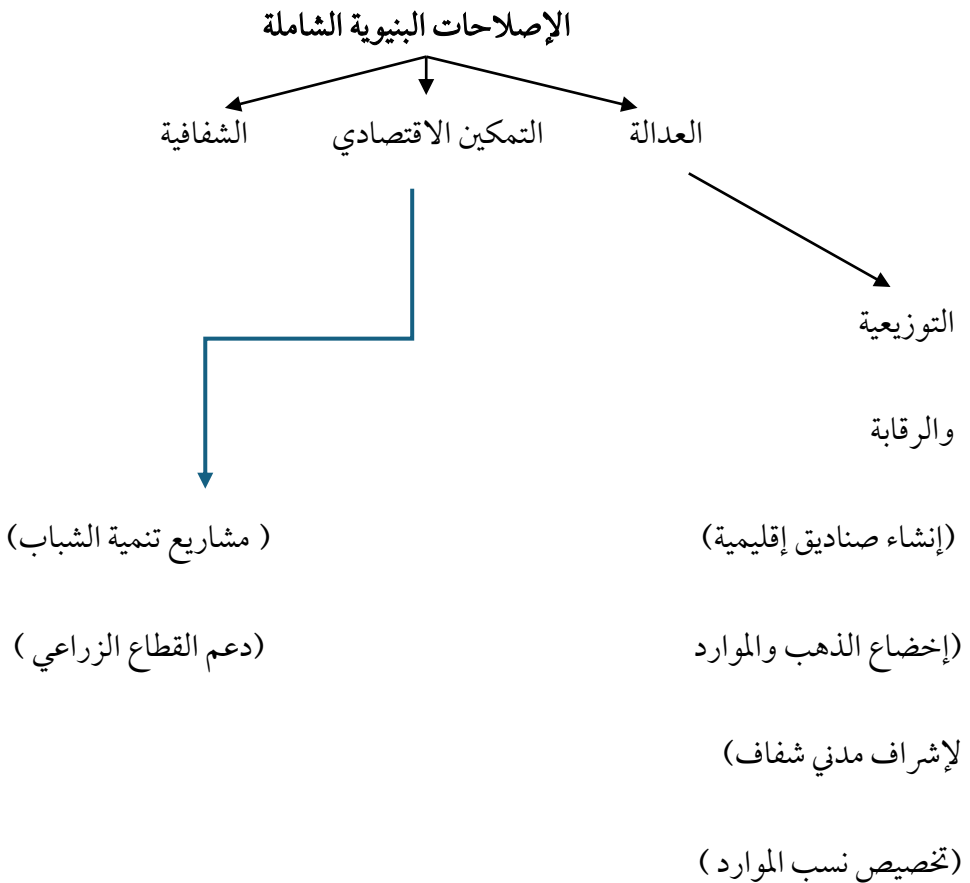
١. نتائج الدراسة:

- أ. أظهرت الدراسة أن الانكفاء على الولاءات القبلية والإثنية لم يكن سلوكاً ثقافياً معزولاً، بل وسيلة دفاعية اضطرارية تلجأ إليها المجتمعات المحلية نتيجة التهميش الاجتماعي والاقتصادي وغياب الحماية المؤسسية للدولة.
- ب. كشفت القراءة الاستقرائية أن النخب السياسية والعسكرية لم تُنشئ الإثنية من الفراغ، بل استغلت الفقر، والبطالة، وأمية الشباب لتحويل التنوع الاجتماعي إلى رأس مال عسكري وتجنيد قبلي لصالح حروب الوكالة والصراع على السلطة.
- ج. أثبتت الدراسة أن الصراع السوداني تحول بنوياً إلى (اقتصاد حرب مستدام)، تعاش فيه أطراف القتال على غياب الرقابة المدنية على القطاعات الربعية (كالذهب، والنفط، والتجارة الموازية)، مما جعل الاستمرار في النزاع خياراً أكثر ربحية لشبكات المصالح من تحقيق السلام.

د. أدت حرب ١٥ أبريل ٢٠٢٣م إلى تأكيد أن الأزمة الراهنة هي حصيلة انهيار تراكمي شامل للنسق الاجتماعي والسياسي، وليست مجرد انقسام بين قيادات عسكرية حليفة.

٢. التوصيات:

بناءً على التشخيص البنيوي المقترح، توصي الدراسة بالانتقال من (المعالجات الترفيعية المؤقتة) إلى (الإصلاحات الهيكلية الشاملة) عبر المحاور التالية:



شكل (٢) يوضح الإصلاحات بناء على التوصيات. إعداد الباحث: من نتائج الدراسة.

أ. العدالة التوزيعية والتمكين الإقليمي:

- الانتقال من اتفاقيات المحاصصة السياسية الفوقية إلى نص دستوري يحكم العدالة التوزيعية للثروة.

- إنشاء صناديق تنمية مستقلة للأقاليم الهامشية، مع تخصيص نسبة ثابتة ومباشرة من عوائد الموارد الريعية (كالذهب والنفط) للمجتمعات المحلية، لكسر عزلتها وقطع الطريق أمام الخطاب المطليبي المسلح.

ب. تجفيف شبكات (اقتصاد الحرب):

- إخضاع كافة الأنشطة الاقتصادية، وشركات القوات المسلحة والدعم السريع، وقطاعات التعدين والجمارك، لسلطة وزارة المالية والرقابة المدنية الشفافة.

- فرض أطر قانونية تجرم عسكرة الموارد، وتتبع خطوط تهريب الذهب والسلع الحيوية لتجفيف تمويل الصراعات المسلحة.

ت. التمكين الاقتصادي القاعدي والبدائل الشبابية:

- صياغة مشاريع تنمية استيعابية تستهدف قطاع الشباب في الريف والأطراف، وتطوير القطاعين الزراعي والرعوي.

- توفير فرص عمل ومشاريع إنتاجية بديلة تُحرر الشباب من الارتهاك لسفاسرة الحرب وآليات التجنيد الإثني.

ث. إعادة بناء العقد الاجتماعي وتفكيك خطاب الكراهية:

- إطلاق حوار مجتمعي قاعدي بناء عقد اجتماعي جديد يتجاوز المحاصصات السياسية، ويتخذ من المواطنة المتساوية أساساً لحقوق والواجبات.

- بناء استراتيجية وطنية للإعلام والتعليم تشترك فيها المؤسسات الأكاديمية ومنظمات المجتمع المدني لتفكيك الخطاب الإثني والتضليل الإعلامي، وترسيخ ثقافة السلام والاندماج الوطني.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- بوعبدلي، ليلى، تأثير النزاعات على بناء الدولة في أفريقيا: دراسة حالة السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، ٢٠٢٠ م.
- حسين، شيماء سمير محمد، الصراع المسلح السوداني: العوامل، التداعيات والتحديات، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ٢٠٢٣ م.
- الحوراني، محمد، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ١، ٢٠٠٨ م.
- خلف، هالة سالم، ومحمد، خلف عبد الله، الحرب في السودان بعد عام ٢٠٢٣ م وآفاقها المستقبلية، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٦٠، ٢٠٢٤ م.
- خير، عبير محمد. تسييس الإثنيات وأثره على الأمن القومي السوداني(١٩٨٩م-٢٠٢٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العليا للدراسات الاستراتيجية والأمنية، السودان.
- دشر، علي محسن، الصراع الإثني في السودان: جذوره وتطوره وجهود التسوية الإقليمية والدولية، المجلة الدولية للاتجاهات متعددة التخصصات، العدد ١٠، ٢٠٢٥ م.
- سراج الدين، عبد الفتاح، المواطنة والأمن القومي، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد ١٨، ٢٠٢٤ م.

- عواد، وليد محمد الهادي، وموسى، سميرة محمد مبروك، أطر تقديم الصراع المسلح في السودان بين الجيش وقوات الدعم السريع في تغطية مواقف الصحف العربية: دراسة تحليلية مقارنة، المجلة العلمية لبحوث الصحافة، ٢٠٢٥ م.
- لطفي، طلعت، والزيادات، أحمد، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- محمد، زينب مجدي، تأثير الصراع على هشاشة الدولة في السودان في الفترة (٢٠١٩-٢٠٢٤ م)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٢٤ م.
- مرصد النزاعات والبيئة ووحدة حساسية النزاع، البيئة والنزاع والسلام في السودان: من الاستجابة إلى التعافي، مرصد الصراع والبيئة (CEOBS)، ٢٠٢٥ م.
- مصطفى، إنجي أحمد عبد الغني، تداعيات الصراع على السلطة في السودان وانعكاساته على الأمن القومي، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، ٢٠٢٤ م.
- موسى، عبده مختار، أثر صراع الهويات على التعايش السلمي في السودان: ديناميات الهوية والمواطنة والاندماج الوطني، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد ١٨، ٢٠٢٤ م.

الخطوط الحديدية السعودية في منتصف القرن العشرين: دراسة تحليلية لأبعادها الإدارية والاقتصادية وأثرها التنموي (١٣٦٦هـ - ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م - ١٩٥٥م)

د. حمد بن محمد صالح الصيخان

أستاذ التاريخ الحديث المساعد بقسم التاريخ والتراث، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة القصيم

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية لتاريخ الخطوط الحديدية السعودية ونشأتها في منتصف القرن العشرين الميلادي، محققاً في الأبعاد الإدارية والتشغيلية المصاحبة لإنشاء خط السكة الحديدية الرابط بين الدمام والرياض، حيث اعتمد البحث على المنهج التاريخي والتحليلي المؤسسي لتتبع الوثائق والقرارات الرسمية والأوامر الملكية الصادرة في تلك الحقبة عبر المصادر الأولية والأرشيفات المعتمدة مثل جريدة أم القرى ودائرة الملك عبد العزيز، إلى جانب الأدبيات الأكاديمية المتخصصة، وحيث خلص البحث إلى أن مشروع السكك الحديدية لم يكن مجرد إنجاز هندسي لنقل الركاب والبضائع، بل مثل قراراً سيادياً استراتيجياً أسهم في التحديث الإداري، وخفض تكاليف النقل، وتنشيط الحركة التجارية والتنموية بين شرق المملكة وعاصمتها، فضلاً عن دعم الاستقرار الاقتصادي والعمراني للمناطق الواقعة على طول المسار، وفي ضوء هذه النتائج، يوصي البحث بأهمية العناية بتوثيق الأرشيفات الوطنية التاريخية لمشاريع البنية التحتية، وتعميق الدراسات التحليلية المقارنة لتطور قطاع النقل والمواصلات في تاريخ المملكة الحديث.

الكلمات المفتاحية: الخطوط الحديدية السعودية، التاريخ الإداري، التنمية الاقتصادية، منتصف القرن العشرين، البنية التحتية

Abstract

This research presents an analytical study of the history and establishment of the Saudi Railways during the mid-20th century, investigating the administrative, operational, and economic dimensions associated with the construction of the railway line connecting Dammam and Riyadh. The study adopts the historical and institutional-analytical methodology to trace official documents, administrative decisions, and royal decrees issued during that era through primary sources and accredited archives, such as Umm Al-Qura newspaper and the King Abdulaziz Foundation for Research and Archives, alongside specialized academic literature, concluding that the railway project was not merely an engineering achievement for transporting passengers and goods, but a strategic sovereign decision that contributed to administrative modernization, reduced transportation costs, and stimulated commercial and developmental activity between the eastern region and the capital, while supporting the economic and urban stability of areas along the route. In light of these findings, the research recommends the importance of documenting national historical archives for infrastructure projects and deepening comparative analytical studies on the evolution of the transport sector in modern Saudi history.

Keywords: Saudi Railways, Administrative History, Economic Development, Mid-20th Century, Infrastructure.

مقدمة:

يمثل استنطاق الوثائق التاريخية وقراءة مسيرة التحديث الإداري والاقتصادي في المملكة العربية السعودية مدخلاً أساسياً لفهم تطور بنيتها؛ ومن هذا المنطلق، تكمن أهمية تطور البنية الأساسية ووسائل النقل الحديثة بوصفها ركيزة بارزة في حقل التاريخ الإداري والاقتصادي، نظراً لكونها المرآة الحقيقية التي تعكس مدى قدرة الدول على توحيد أجزائها، وتحقيق التكامل الجغرافي والاقتصادي بين أقاليمها. وفي غمرة التحولات الكبرى التي شهدتها المملكة العربية السعودية في القرن العشرين الميلادي، برزت مشاريع التحديث الكبرى بوصفها ركيزة أساسية من ركائز بناء الدولة الحديثة التي أرسى دعائمها الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - (العثيمين، ١٤١٠هـ، ١٤٢). فقد كان لزاماً على الإدارة السريعة إيجاد حلول جذرية لربط الموانئ الشرقية ومناطق استخراج النفط بالعاصمة الرياض، متجاوزة تحديات البيئة الجغرافية الصعبة لوسائل النقل التقليدية التي كانت تعوق إنسيابية الحركة الإدارية والتجارية.

وفي هذا السياق، جاء قرار إنشاء خطوط السكك الحديدية الرابطة بين الدمام والرياض في عام (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م) ليحمل نقطة تحول كبرى ونقله نوعية في تاريخ المواصلات بالمملكة (حالي، ١٩٩٥م، ٨٠). فلم يكن هذا المشروع الاستراتيجي مجرد مسار حديدي لنقل الركاب والبضائع، بل تجسيداً لرؤية سياسية بعيدة المدى تهدف إلى تسريع وتيرة التنمية الاقتصادية، وتنشيط الحركة التجارية، وتسهيل الاتصال المؤسسي بين أطراف الدولة الواسعة (الشويحي، ١٩٩٩م، ٢١٠). وقد واکب هذا المشروع منظومة إدارية وتنظيمية متكاملة شملت توقيع العقود الدولية، وصياغة اللوائح التشغيلية، وتأسيس الأطر الإدارية النازمة لعمل المرفق الجديد بالتعاون مع الشركات المتخصصة، وعلى رأسها شركة بكتل الأمريكية (جريدة أم القرى، ١٩٤٨م).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وعلى الرغم من وجود بعض الكتابات الصحفية والتقارير العامة التي تناولت المشروع في المناسبات الوطنية، إلا أن الحاجة تظل ملحّة لدراسة أكاديمية تحليلية متعمقة تسلط الضوء على الأبعاد الإدارية والاقتصادية الدقيقة لهذه المرحلة المفصلية. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة لتفكيك طبيعة الأداء المؤسسي، وقراءة الوثائق الرسمية والأوامر الملكية الصادرة في تلك الحقبة، وتقييم الأثر التنموي الفعلي لخط السكة الحديدية، مستندة إلى منهجية علمية رصينة ومصادر أولية موثقة تضمن تقديم إضافة معرفية نوعية للمكتبة التاريخية الإدارية السعودية (آل زلفة، ١٩٩٥م، ١١٠).

كما واجهت المملكة العربية السعودية في منتصف القرن العشرين تحدياً تنموياً غير مسبوق لتمثل في مساحة المساحة الجغرافية ووعورة التضاريس التي كانت تفصل بين مناطق الإنتاج الاقتصادي الاستراتيجي في الشرق وخاصة القرار السياسي في الوسط، مما جعل إيجاد وسيلة نقل حديثة وفعالة أمراً مصيرياً لا غنى عنه لاستكمال سيادة الدولة وتوحيد أوصافها (العثيمين، ١٤١٠هـ، ١٣٨-١٤٠).

ولم يكن قرار إنشاء خطوط السكك الحديدية الرابطة بين الدمام والرياض مجرد خطوة هندسية عادية، بل مثل تعقيداً إدارياً وتعاقدياً هائلاً تطلب إدارة شبكة معقدة من العلاقات الدولية، واستقطاب شركات أجنبية كبرى، وصياغة لوائح وتنظيمات إدارية غير مسبوقة في تلك المرحلة المبكرة من عمر المؤسسات الحكومية؛ الأمر الذي وضعت أمامه تحديات تنظيمية ومالية ضخمة حددت أحياناً استمرارية الوتيرة الإدارية المطلوبة (حقي، ١٩٩٥م، ٧٩-٨٢). وعلى الرغم من الأهمية البالغة لهذا المشروع، تشير الأدبيات التاريخية والإدارية إلى وجود قصور منهجي واضح في معالجة التفاصيل الدقيقة للدورة المستندية، وطبيعة التشكيلات المؤسسية، والآثار الاقتصادية المباشرة التي واكبت التنفيذ، حيث اقتصر جل الكتابات على العموميات الوصفية والمناسبة دون

تفكيك جذري لأبعادها الإدارية والمؤسسية (آل زلفة، ١٩٩٥ م، ١٠٥-١٠٨).

وفي ظل هذا القصور وتلك المعضلة البحثية المتمثلة في ندرة الدراسات التحليلية المصفاة التي تقرأ الوثائق الرسمية وتفكك طبيعة الأداء المؤسسي للمشروع في تلك الحقبة الحرجة، تتأكد الحاجة الملحة لهذه الدراسة لسد هذه الثغرة المعرفية وإبراز العمق الإداري والاقتصادي للقرار السيادي (الشويحي، ١٩٩٩ م، ٢٠٤-٢٠٨).

ومن هذا المنطلق، ومن خلال مشكلة هذه الدراسة، تتمحور الإشكالية حول التساؤل الرئيسي الآتي:

ما الآليات الإدارية والتنفيذية المؤسسية المصاحبة لإنشاء مشروع الخطوط الحديدية السعودية خلال المدة (١٣٦٦هـ - ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م - ١٩٥٥م)، وما الآثار الفعلية المترتبة عليها في مجالي الإدارة والاقتصاد بحسب الشواهد الوثائقية؟

وتتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما هي الدوافع السياسية والتاريخية التي أدت إلى اتخاذ قرار إنشاء خط السكة الحديدية بين الدمام والرياض؟
- كيف تمت إدارة الدورة المستندية والتعاقدية والتشغيلية للمشروع بين الجهات الحكومية والشركات الأجنبية المنفذة؟
- ما هو الأثر الاقتصادي والتنموي المباشر لتشغيل الخط على حركة التجارة والأسواق المحلية والمجتمعات المستفيدة؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والموضوعية التي تتكامل فيما بينها لتسليط الضوء على الأبعاد التاريخية، والإدارية، والاقتصادية لمشروع الخطوط الحديدية السعودية في منتصف القرن العشرين، وتتمثل هذه الأهداف في الآتي:

- ١/ الرصد والتوثيق للدوافع السياسية والتاريخية التي أدت إلى اتخاذ قرار إنشاء خط السكة الحديدية الرابط بين الدمام والرياض، وإبراز الظروف الجيوسياسية والتنمية المحيطة بتلك المرحلة التأسيسية.
- ٢/ تحليل الدورة المستندية وطبيعة العقود الإدارية والتشغيلية المبرمة بين الجهات الحكومية والشركات الأجنبية المنفذة، ولا سيما آليات التعاون مع الشركات العالمية.
- ٣/ تقييم الأثر الاقتصادي والتنموي المباشر لتشغيل الخط الحديدي على حركة النقل التجاري، وتنشيط الأسواق المحلية، وتسهيل الاتصال المؤسسي بين أقاليم الدولة.
- ٤/ تقويم سياسات التخطيط والإدارة، وبيان حدود فاعليتها استناداً إلى الوثائق.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من حيوية الموضوع الذي تعالجه، إذ تسلط الضوء على أحد أهم مشاريع البنية التحتية والاستراتيجية الكبرى التي شكّلت منعطفًا تاريخيًا في مسيرة التنمية الإدارية والاقتصادية للمملكة العربية السعودية في منتصف القرن العشرين. وتنقسم أهمية الدراسة إلى جانبين رئيسيين:

أولاً: الأهمية النظرية (العلمية)

- ١/ سد الفجوة المكتبية والتاريخية: تسهم الدراسة في سد نقص واضح في الأدبيات التاريخية والإدارية المتعلقة بتوثيق الأبعاد التنظيمية والمؤسسية لمشاريع النقل الكبرى في مرحلة التأسيس الوطني.
- ٢/ تجاوز السرد الوصفي: الانتقال من السرد التاريخي التقليدي للأحداث إلى تحليل أكثر عمقا للدورة المستندية، وطبيعة العقود الإدارية، والآليات التشغيلية المبرمة مع الشركات الأجنبية المنفذة.
- ٣/ إثراء حقل التاريخ الإداري: تقديم إطار مرصود وموثق للوثائق والأوامر الرسمية التي تبين قدرة الإدارة السعودية في مواجهة تحديات البنية التحتية الكبرى، مما يثري المكتبة العلمية بمرجع رصين.

ثانياً: الأهمية العملية (التطبيقية)

- ١/ رفد صانع القرار بالرؤى التحليلية: توفير قراءة تحليلية مستندة إلى المصادر الأولية، مما قد يتيح للباحثين والمختصين في حقل الإدارة العامة الاستفادة من الدروس المستفادة في إدارة المشاريع الكبرى.
- ٢/ إبراز كفاءة التخطيط الاستراتيجي: تسليط الضوء على الأساليب التنظيمية والإدارية التي اتبعتها الدولة لتوظيف المشاريع السيادية في خدمة التكامل الجغرافي والاقتصادي بين أقاليم البلاد.
- ٣/ فتح آفاق لبحوث مستقبلية: تمهيد الطريق أمام الباحثين لإجراء دراسات مقارنة بين مشاريع البنية الأساسية في مراحل التأسيس الأولى ومثيلاتها في خطط التنمية الحديثة.

حدود الدراسة:

تتحدد معالم هذه الدراسة ونطاقها البحثي بعدة أبعاد رئيسية تتكامل فيما بينها لتأطير العمل العلمي بصورة محكمة ودقيقة:

١/ **الحدود الموضوعية:** تقتصر الحدود الموضوعية لهذه الدراسة على بحث الأبعاد الإدارية، والمؤسسية، والاقتصادية لإنشاء مشروع الخطوط الحديدية السعودية، مع التركيز على تحليل الدورة المستندية، وطبيعة العقود الإدارية والتشغيلية المبرمة، وتتبع الآثار التنموية المباشرة للمشروع خلال مرحلة التأسيس؛ ويرجع اختيار هذا الإطار الموضوعي إلى أن غالبية الأدبيات التاريخية السابقة ركزت على السرد العام والمناسبات الكبرى للمشروع، بينما تظل الجوانب التنظيمية والإدارية والدورة المستندية هي المنطقة الأكثر حاجة للبحث أكثر عمقا لتوضيح طبيعة الأداء المؤسسي للدولة في تلك المرحلة.

٢/ **الحدود المكانية:** تغطي الحدود المكانية النطاق الجغرافي الواقع داخل أراضي المملكة العربية السعودية، وتحديدًا المسار الحيوي الرابط بين المنطقة الشرقية (ميناء الدمام ومناطق الإنتاج البترولي) وعاصمة القرار السياسي والإداري (مدينة الرياض)، وما يتبع ذلك من محطات رئيسية ونقاط ارتباط إدارية وتشغيلية؛ ويقترن اختيار هذا المسار تحديدًا بكونه الشريان الاستراتيجي الأبرز والأضخم في تاريخ النقل الوطني الحديث، والذي مثل التحدي الإداري واللوجستي الأهم الذي واجهته الإدارة السعودية لربط الموانئ ومناطق الاقتصاد بعاصمة الدولة.

٣/ **الحدود الزمانية:** تُمثّل الحدود الزمانية فترة الدراسة الممتدة من اتخاذ القرار الرسمي والبدء الفعلي في تنفيذ المشروع عام (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) وحتى استكمال مراحله التأسيسية الكبرى وانتظام عملياته الإدارية والتشغيلية نحو عام (١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م)؛ وقد تم

اختيار بداية المدة لكونها تمثل نقطة التحول التاريخية والبدء الفعلي في الصياغة التعاقدية والتنفيذية للمشروع، بينما تمتد النهاية إلى عام ١٣٧٥ هـ باعتبارها المحطة التي استكملت فيها الهياكل التنظيمية واستقرت العمليات التشغيلية للمرفق، مما يغطي الدورة الكاملة لمرحلة التأسيس بدقة منهجية.

منهج الدراسة وأدواتها:

تعد هذه الدراسة على المنهج التاريخي والتحليلي المؤسسي، باعتباره المنهج الأكثر ملائمة لطبيعة الدراسات التاريخية والإدارية التي تسعى لتتبع تطور الأحداث واستنتاج الوثائق الرسمية (رأفت غنيمي الشيوخ، ٢٠٠٥ م، ٥٥)؛ حيث يُستخدم المنهج التاريخي لتتبع التسلسل الزمني لإنشاء خط السكة الحديدية ورصد سياقاته السياسية والقرارية منذ انطلاقة الأولى عام (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م)، بينما يوظف التحليل المؤسسي والإداري لتفكيك طبيعة العقود، والدورة المستندية، والهياكل التنظيمية التي واكبت تنفيذ المشروع بالتعاون مع الشركات الأجنبية، مما يتيح فهماً عميقاً وناقداً لكفاءة الأداء الإداري والتنظيمي للدولة في تلك المرحلة التأسيسية (عميد عفيفي، ٢٠١٦ م، ٤٢).

وفيما يتعلق بأدوات الدراسة ومصادرها، فقد اعتمدت الدراسة على مجموعة متكاملة من المصادر الأولية والثانوية لبناء قاعدة بيانات موثقة؛ وتتمثل المصادر الأولية في التشريعات، والأوامر الملكية، والقرارات الحكومية، ومحاضر الاجتماعات، ونصوص العقود والاتفاقيات الرسمية، إلى جانب التقارير والبيانات الرسمية الصادرة عن الجهات الحكومية ذات العلاقة. كما تشكل أعداد جريدة أم القرى الرسمية مصدراً أساسياً لتتبع الأحداث وتوثيقها، حيث تخضع كافة الإحالات للتوثيق الدقيق ببياناتها البليوجرافية المعتمدة (كرقم العدد، وتاريخ الإصدار، ورقم الصفحة أو القرار) لضمان قابلية التعقب والتحقق العلمي لكل دعوى وردت في البحث. إضافة إلى ذلك،

تستعين الدراسة بالأدبيات التاريخية، والمقالات العلمية، والكتب المرجعية المتخصصة التي توفر الخلفية التحليلية اللازمة.

وفي ضوء ما تم تأطيره وتحديده مسبقاً من أهمية الدراسة، وحدودها الموضوعية والمكانية والزمانية، واعتماداً على المنهج التاريخي والتحليلي المؤسسي مدعوماً بالأدوات الوثائقية الرسمية وأرشيف وزارة النقل؛ فإن هذه الدراسة تنتقل لتناول موضوعها عبر هيكل علمي محكم ومفصل، يتوزع في أربعة محاور رئيسية تغطي كافة الأبعاد الإدارية، والتنظيمية، والتنموية لمشروع الخطوط الحديدية السعودية في مرحلة التأسيس، بحيث يتفرع كل محور إلى ثلاثة عناوين فرعية وفيما يلي توضيح ذلك:

محاور الدراسة:

تتوزع هيكلية هذه الدراسة على أربعة محاور أساسية تتكامل فيما بينها لتغطية كافة الأبعاد التاريخية، والإدارية، والتنظيمية لمشروع الخطوط الحديدية السعودية، بحيث ينضوي تحت كل محور مجموعة من العناصر الفرعية التي تعالج تفاصيل الموضوع بدقة علمية متكاملة.

المحور الأول

السياق التاريخي والسياسي لتأسيس مشروع الخطوط الحديدية السعودية

أولاً: الدوافع الجيوسياسية والاستراتيجية لربط المنطقة الشرقية بالعاصمة

مثل مشروع ربط المنطقة الشرقية، حيث حقول النفط وموانئ التصدير الاستراتيجية، بعاصمة الدولة السياسية والإدارية في مدينة الرياض، ضرورة ملحة تفرضها الاعتبارات

الجيوسياسية والاقتصادية لتوحيد أقاليم الدولة الحديثة وتكاملها في منتصف القرن العشرين (العثيمين، ٢٠٠١م، ١٤٣-١٤٥). فقد أدركت القيادة السياسية السعودية مبكراً أن الاعتماد على وسائل النقل التقليدية لم يعد يفي بمتطلبات التنمية الشاملة ولا يتناسب مع حجم التدفقات الاقتصادية الناتجة عن اكتشاف النفط واستثماراته المتسارعة، الأمر الذي جعل التفكير في وسيلة نقل حديثة وفعالة أمراً حتمياً لا غنى عنه لتوطيد دعائم الاقتصاد الوطني (دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٥م، ٣٢).

وتشير الدراسات الأكاديمية المتخصصة في تاريخ الاقتصاد السعودي إلى أن التحديات الأمنية والإدارية واللوجستية كانت تتطلب وجود شريان نقل بري آمن ومستدام، يستطيع نقل المعدات الثقيلة، والمؤن الاستراتيجية، والكوادر البشرية بسرعة وكفاءة عالية بين الساحل الشرقي وقلب البلاد الصحراوي (جريدة أم القرى، ١٣٦٧هـ - ١٣٧٠هـ). وعليه، جاء توجه الدولة نحو إنشاء خط السكة الحديدية استجابة استراتيجية حتمية لمتطلبات السيادة الوطنية، وتعزيز الترابط الإداري والسياسي بين أطراف الدولة الواسعة، وتقليص المسافات الزمنية التي كانت تعرقل التواصل الإداري المباشر وتدفق الإمدادات بين مؤسسات الحكم المركزية والمواقع الإنتاجية الحيوية في الشرق.

ولم يكن المشروع في جوهره مجرد مرفق خدمي مادي للنقل، بل حمل في طياته دلالات إستراتيجية عميقة ترتبط بتأكيد الحضور السيادي للدولة الفتية، وبسط إدارتها وتنظيمها على كامل ترابها الوطني، وتأمين خطوط الإمداد الاستراتيجية في ظل الظروف الإقليمية والدولية المعقدة التي سادت تلك الحقبة (شركة الزيت العربية الأمريكية، ١٩٥٢م، ١٩-٢٤).

وفي هذا السياق، يتضح جلياً أن الأبعاد الجيوسياسية لتأسيس الخطوط الحديدية لم تكن مجرد رد فعل اقتصادي عابر لاستخراج النفط وتصديره، بل تمثل تعبيراً عميقاً عن رؤية أمنية

وسياسية متكاملة هدفت إلى إذابة الفوارق الجغرافية بين أقاليم الدولة، وتوحيد النسيج الإداري والاقتصادي تحت مظلة سلطة مركزية قوية قادرة على حماية مصالحها الحيوية.

ثانياً: القرارات السيادية والأوامر الملكية التأسيسية للمشروع

تعد مرحلة اتخاذ القرار السياسي وإصدار الأوامر الملكية التأسيسية للخطوط الحديدية السعودية النواة التنفيذية الأولى التي انبثقت عنها كافة الخطوات اللاحقة لتنفيذ هذا المشروع العملاق (العبد القادر، ٢٠٠٨م، ١١٥). فقد صدرت التوجيهات الملكية السامية من المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - بضرورة الشروع الفعلي في دراسة وتخطيط هذا المشروع الاستراتيجي وتنفيذه، مستندة إلى رؤية سياسية ثاقبة تدرك أهمية البنية التحتية في النهوض بالبلاد وتوطيد أركان وحدتها الإدارية والاقتصادية (الزيات، ٢٠٠٠م، ١٨٤-١٨٨).

وقد تمددت هذه الإرادة السيادية في التوجيهات الملكية والخطوات التنفيذية الرسمية التي وضعت الأطر التشريعية لتأسيس المشروع، وحددت الجهات الحكومية المناط بها الإشراف والمتابعة، وفي مقدمتها الإدارات المالية والجهات الرقابية المرتبطة بتسيير مرافق الدولة في تلك المرحلة الأساسية. وحرصت القيادة السياسية من خلال هذه التوجيهات على إحكام الرقابة الإدارية والمالية، وتذليل كافة العقبات النظامية التي قد تواجه عملية التعاقد والتنفيذ الميداني، مما يعكس دقة التنظيم الإداري وشموليته في التعامل مع المشاريع الكبرى (السماري، ٢٠١٢م، ٩٥-٩٩).

ومما سبق يتضح جلياً أن الأوامر الملكية والقرارات السيادية لم تكن مجرد توجيهات إدارية تقليدية، بل شكلت مظلة تشريعية ومؤسسية متكاملة وفرت الغطاء القانوني والسياسي اللازم لتنفيذ مشروع ضغطت تحدياته الزمنية والجغرافية على إمكانيات تلك المرحلة، مما يؤكد رصانة العمل الإداري في عهد تأسيس الدولة الحديثة.

ثالثاً: التحديات الجغرافية واللوجستية في مرحلة التخطيط الأولى

واجهت مرحلة التخطيط الأولى لمشروع الخطوط الحديدية حزمة معقدة من التحديات الجغرافية والبيئية واللوجستية القاسية التي كادت تعرقل انطلاقة المشروع لولا الإرادة الصلبة والخطط الهندسية المدروسة التي اعتمدتها الجهات المعنية بالتعاون مع الخبراء المختصين (الناصر، ٢٠٠٥م، ٢٠٣-٢٠٧). فقد مثل التحدي الجغرافي الأكبر في طبيعة التضاريس الوعرة، لاسيما اجتياز الكثبان الرملية المتحركة في صحراء الدهناء والمعارات الصخرية القاسية التي تفصل المنطقة الشرقية عن هضبة نجد، فضلاً عن المناخ الصحراوي القاسي الذي يتسم بارتفاع درجات الحرارة والعواصف الترابية المتكررة التي تعوق استمرار العمل الميداني بكفاءة (البسام، ٢٠١٠م، ١٤٤).

وعلى الصعيد اللوجستي، تمثلت الصعوبات البارزة في ندرة الموارد المائية على طول مسار الخط المقترح، وانعدام شبكات الطرق الممهدة لنقل المعدات الثقيلة ومواد البناء الهندسية من موانئ الوصول إلى مواقع العمل الداخلية؛ إضافة إلى شح الأيدي العاملة الخبيرة المتخصصة في تقنيات إنشاء السكك الحديدية الحديثة وتشغيلها في تلك الفترة التاريخية المبكرة (وزارة البترول والثروة المعدنية، ١٣٧٥هـ، ٦٥-٧٠). وقد فرضت هذه المعطيات القاسية ضرورة استحداث آليات عمل غير تقليدية لتأمين سلاسل الإمداد، ومواجهة قسوة البيئة الصحراوية دون توقف أو تعطل في مسار الإنجاز (الغريبي، ٢٠١٤م، ٩٢).

يتبين مما سبق أن حجم التحديات الجغرافية واللوجستية التي أحاطت بانطلاقة المشروع لم تكن مجرد عوائق طبيعية عابرة، بل شكلت اختباراً حقيقياً لكفاءة التخطيط الإداري والهندسي، حيث أثبتت القدرة على تجاوز هذه الصعوبات بمرونة واقتدار أن العمل الإداري والتنظيمي كان يمتلك رؤية استراتيجية قادرة على تذليل المستحيلات لتحقيق أهداف التنمية الشاملة.

المحور الثاني

الجوانب التعاقدية والإدارية والدورة المستندية لتنفيذ المشروع

أولاً: طبيعة العقود والاتفاقيات المبرمة بين الحكومة السعودية والشركات الأجنبية المنفذة

تميزت طبيعة العقود والاتفاقيات المبرمة بين الحكومة السعودية والشركات الأجنبية المنفذة لمشروع الخطوط الحديدية بصيغة إدارية وقانونية دقيقة استهدفت حماية السيادة الوطنية، وضمان توظيف الاستثمارات الفنية بالشكل الأمثل. فقد صيغت هذه العقود بعناية فائقة لتعكس حفظ الحقوق المالية والإدارية للدولة، مع الاستعانة بالخبرات الهندسية العالمية المتخصصة لتنفيذ مشروع بهذا الحجم الضخم في بيئة جغرافية وقارية بالغة التعقيد والصعوبة (جريدة أم القرى، ١٣٦٧هـ - ١٣٧١هـ).

وقد تضمنت هذه الاتفاقيات أطراً تنظيمية عامة تحدد التزامات الأطراف وفق مبادئ التنسيق المشترك، لاسيما فيما يتعلق بالجداول الزمنية للإنجاز، ومواصفات المواد الهندسية، وتأمين المعدات الثقيلة، والتزام الشركات بتوفير عناصر الدعم الفني اللازم. وقد صكت البنود التعاقدية فهماً إدارياً مبكراً لأهمية تأطير العلاقات مع الشركات الدولية ضمن أطر نظامية واضحة تضمن الالتزام بالمعايير العالمية المتفق عليها دون الإخلال بالسيادة الوطنية والإشراف المباشر. (شركة الزيت العربية الأمريكية، ١٩٥١م - ١٩٥٢م).

كما خضعت هذه العقود لمراجعة ورقابة مستمرة من قبل الجهات الحكومية المختصة في الدولة لضمان خلوها من أي ثغرات تنظيمية أو مالية؛ مع وضع آليات تَقَبُّية عامة، وتسوية أي تباينات في وجهات النظر وضمان سير العمل الميداني دون تعطيل. ويدل هذا المستوى المتقدم من التنظيم التعاقدية على كفاءة عالية للأجهزة الإدارية السعودية في إدارة المفاوضات الدولية، وصياغة

الشركات الكبرى رغم حداثة التجربة المؤسسية في تلك الحقبة (دائرة الملك عبد العزيز، ٢٠١٥م، (٣٢).

يتبين مما سبق أن الجوانب التعاقدية لم تكن مجرد صفقات تجارية تقليدية لإنجاز أعمال هندسية، بل مثلت عقوداً إدارية استراتيجية أظهرت قدرة الإدارة السعودية على صياغة التزامات دولية محكمة توازن بدقة بين استقطاب التكنولوجيا المتقدمة وحماية سيادة القرار الوطني والمصالح العليا للدولة.

ثانياً: آليات الدورة المستندية ومتابعة التنفيذ الميداني والإدارية

تطلبت ضخامة مشروع الخطوط الحديدية بين الدمام والرياض إرساء نظام إداري دقيق ومحكم يحكم الدورة المستندية، ومتابعة تدفق المعاملات بين الجهات الحكومية المشرفة والفرق الهندسية المنفذة. فقد اعتمدت الأجهزة الإدارية للدولة على مسارات ورقية ومراسلات رسمية منتظمة توثق كافة المراحل الإنشائية والمالية والفنية، بدءاً من الاعتمادات المالية والموافقات السامية مروراً بجداول توريد المواد والمعدات وصولاً إلى التقارير الدورية لسير العمل الميداني. (الأرشيف الوطني للوثائق والمحفوظات، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م)

وعلى الصعيد الميداني، قامت الجهات الإشرافية والهندسية للشركة بوضع آليات للمتابعة اليومية والأسبوعية لخط سير الإنشاءات، حيث كانت ترفع تقارير دورية للوقوف على نسب الإنجاز ورصد أي عوائق طارئة قد تعرقل الجدول الزمني المحدد. وقد أسهمت هذه التقارير الميدانية في تمكين متخذ القرار من التدخل الفوري لتذليل الصعوبات اللوجستية وتأمين المستلزمات الإضافية بالتنسيق مع الجهات المعنية والشركات المنفذة (تقرير هندسي ميداني، ١٩٥١م).

كما ارتبطت الدورة المستندية الإدارية بنظام مالي ومحاسبي دقيق تشرف عليه الجهات

الحكومية المختصة بمراجعة المستخلصات المالية والعقود؛ حيث لم تكن أي دفعة مالية تُصرف إلا بعد تدقيق المستندات الثبوتية وتقارير الفحص الفني المعتمدة من المهندسين المشرفين. وقد عكس هذا التنسيق الإداري والميداني رصانة عالية في إدارة المشاريع الكبرى وفق أصول العمل الإداري النظامي الموثق (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٣٧٢هـ).

يتبين مما سبق أن كفاءة الدورة المستندية والرقابة الميدانية لم تكن مجرد إجراءات روتينية، بل شكلت الضمانة الأساسية لشفافية التنفيذ، والانضباط المالي، والالتزام بالمواصفات الهندسية، مما أكسب المشروع طابعاً مؤسسياً متقدماً يعكس دقة التنظيم الإداري في تلك المرحلة التاريخية.

ثالثاً: الأدوار المؤسسية واللجان الحكومية المشرفة على سير العمل

تطلبت ضخامة أبعاد مشروع الخطوط الحديدية وتعددتها تكوين هياكل مؤسسية ولجان حكومية رفيعة المستوى تتولى مهمة الإشراف المباشر والمتابعة المستمرة لسير الأعمال الهندسية والإدارية. فقد حرصت الدولة على تشكيل لجان تنسيقية مشتركة تضم ممثلين من الجهات الحكومية ذات العلاقة، مثل وزارة المالية، والجهات الإدارية المعنية بتسيير المرافق، لضمان تكامل الأدوار وتوزيع المسؤوليات بدقة بين مختلف القطاعات المشاركة في تنفيذ المشروع (جريدة أم القرى، ١٣٦٨هـ - ١٣٧١هـ).

وقد اضطلعت هذه اللجان النوعية بمهام جسام تمثلت في تقييم التقارير الدورية الواردة من مواقع العمل، ومعالجة التحديات الإدارية والفنية الطارئة بالتعاون مع الشركات المنفذة، فضلاً عن مراقبة مدى الالتزام بالمواصفات الفنية والجداول الزمنية المحددة.

ولم تقتصر أدوار تلك اللجان على الجانب الرقابي فحسب، بل امتدت لتشمل التنسيق المستمر مع الإدارات المحلية في الأقاليم والمدن الواقعة على مسار الخط الحديدي لتوفير الدعم

اللوجستي والأمني لفرق العمل الميدانية (جريدة أم القرى، ١٣٦٨هـ - ١٣٧١هـ).

وعلاوة على ذلك، أسهمت هذه الأطر المؤسسية في ترسيخ أسس الإدارة الحديثة للمشاريع الكبرى في المملكة، حيث مثلت حلقة الوصل الفاعلة بين القيادة السياسية العليا وبين فرق التنفيذ الفنية على الأرض، مما ضمن انسيابية تدفق القرارات وسرعة إنجاز المهام الملحة (الأرشيف الوطني للوثائق والمحفوظات، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م). وقد عكس هذا التنظيم المؤسسي المبكر فهماً عميقاً لأهمية الرقابة الجماعية وتوزيع الاختصاصات الإدارية لضمان نجاح المشاريع الاستراتيجية الكبرى دون تعثر أو ازدواجية في الصلاحيات. (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)

يتبين مما سبق أن الأدوار المؤسسية واللجان الحكومية المشرفة لم تكن مجرد أطر شكلية لإدارة العمل، بل شكلت العصب الإداري والتنظيمي الذي ضمن استمرارية المشروع ونجاحه، وأثبتت قدرة الجهاز الحكومي في تلك الحقبة التأسيسية على ابتكار آليات إشرافية متقدمة تواكب ضخامة التحديات الهندسية واللوجستية.

المحور الثالث

التشغيل الإداري وتنظيم البنية التحتية والمحطات

أولاً: الهياكل التنظيمية لإدارة المرفق وتشغيله وصيانته

شهدت مسيرة المشروع نقلة نوعية عندما تحولت الجهود من مجرد التخطيط الهندسي والإنشاء الميداني إلى مرحلة التشغيل الفعلية لشبكة السكك الحديدية الرابطة بين الساحل الشرقي وعاصمة البلاد. واستوجب هذا التحول الاستراتيجي صياغة بناء تنظيمي مرن وقوي يتولى إدارة حركة القطارات وتأمين إنسيابيتها وفق معايير دقيقة تضمن السلامة العامة. وقد بادر القائمون على

المشروع إلى تأسيس إدارات مركزية متخصصة ترتبط بأعلى هرم الإشراف الإداري في الدولة، لتكون مسؤولة عن التخطيط التشغيلي وتوزيع الموارد والمهام بين مختلف الإدارات الفرعية (مصلحة السكك الحديدية السعودية، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م، ١٢-١٨).

تميز الهيكل الإداري المستحدث بتوزيع وظيفي دقيق يعمل في طياته بدور الإدارة المؤسسية الحديثة؛ إذ تفرعت عنه إدارات معنية بتنظيم جداول الحركة ومواعيد الرحلات، وأخرى مختصة بصيانة المسارات الحديدية والجسور، فضلاً عن قطاعات مستقلة لإدارة المحطات وخدمات الركاب والشحن التجاري والمحاسبة المالية. وحرص صانعو القرار على إرساء قنوات اتصال إدارية مباشرة وسريعة تضمن تلافي أي تعطل محتمل في حركة النقل، وتتيح للمبادرات الميدانية اتخاذ القرارات السريعة لمواجهة الظروف الطارئة على طول الخط الطويل (العبد الجبار، ٢٠٠٤م، ١٤٢).

وفيما يخص الجانب الفني للتشغيل والصيانة؛ فقد وضعت اللوائح التشغيلية خططاً محكمة للصيانة الوقائية والدورية لمواجهة الطبيعة الجغرافية الشاقة والتقلبات المناخية التي تتعرض لها القضبان في صحراء الدهناء والمناطق المفتوحة. وتم تخصيص فرق صيانة متنقلة ومزودة بآليات ومعدات هندسية متطورة للتعامل الفوري مع زحف الرمال والعواصف الترابية، بالتوازي مع تجهيز ورش مركزية كبرى في المحطات الرئيسة لإجراء الإصلاحات الكبرى للقاطرات والعربات؛ مما حافظ على كفاءة المرفق التشغيلية طوال العام (المؤسسة العامة للخطوط الحديدية، ١٩٨٠م، ٣٥-٤٠).

وبإضافة إلى البعد التشغيلي، وجهت الإدارة عناية خاصة نحو تأهيل الكوادر الوطنية من خلال إتاحة الفرص للاستفادة من الخبرات الفنية المتاحة؛ بهدف توطيد المعرفة التقنية والإدارية بصورة تدريجية وتنمية الكفاءات المحلية للإسهام في إدارة مرافق المنظومة، الأمر الذي عزز استدامة المشروع وأبعاده الاقتصادية والتنموية على المدى الطويل. (العُمري، ٢٠١١م، ٨٨-٩٣)

يتضح جلياً أن البناء التنظيمي لإدارة وتشغيل الخطوط الحديدية لم يكن مجرد تنظيم إداري عابر، بل تجسيداً لوعي مؤسسي متقدم أدرك مبكراً أن نجاح المشاريع الكبرى مقترن بقدرتها على المزج بين الانضباط الفني الصارم والمرونة الميدانية الحية.

ثانياً: إنشاء المحطات الرئيسية ونقاط الارتباط الإداري والخدمي

شكل اختيار مواقع المحطات الرئيسية ونقاط الارتباط الخدمي ركيزة جغرافية وإدارية بالغة الأهمية في هندسة مشروع الخطوط الحديدية، إذ لم يكن توزيع هذه المحطات عشوائياً، بل خضع لدراسات ميدانية واقتصادية دقيقة تهدف إلى ربط مراكز الإنتاج والاستهلاك بأفضل كفاءة ممكنة. فقد مثلت محطات الانطلاق والوصول في كل من الدمام والرياض، إلى جانب المحطات الوسيطة المنتشرة على طول المسار الطويل، نقاط ارتقاء حضاري وإداري أعادت رسم خارطة التواصل بين أقاليم الدولة، وساهمت في تقليص المسافات الزمنية بشكل غير مسبوق مقارنة بوسائل النقل التقليدية السائدة في ذلك الحين (الحبي، ٢٠٠٨م، ١١٥).

تجاوز الدور الوظيفي لتلك المحطات مفهوم الأماكن المخصصة لصعود الركاب أو تفريغ الشحنات التجارية، لتغدو مراكز إدارية وخدمية مصغرة توافر فيها كافة المقومات اللازمة لتسيير أعمال النقل والمواصلات بكفاءة تامة.

ضمت هذه المحطات مكاتب للإشراف الإداري والمحاسبي، ووحدات للاتصالات البرقية واللاسلكية لربط المحطات بعضها ببعض وبغرفة العمليات المركزية في العاصمة، فضلاً عن المستودعات الجمركية ومحطات التزود بالوقود والمياه التي مثلت شرايين الحياة الأساسية لاستمرار حركة القطارات دون انقطاع أو تعطل (مصلحة السكك الحديدية، ١٣٧٤هـ، ٢٢-٢٩).

تجسد البعد الإداري لنقاط الارتباط الخدمي في قدرتها على خلق شبكة تواصل فعالة

ومتنظمة مع السلطات المحلية والقطاعات الحكومية الموجودة في المدن والبلدان المجاورة لمسار السكة. فقد عملت هذه المحطات بوصفها حلقات وصل تنظيمية سهلت حركة انتقال الموظفين الحكوميين، والبعثات الفنية، والمواد التموينية، الأمر الذي عزز من حضور الدولة وهيبته الإدارية في المناطق التي عبرها الخط الحديدي، وأسهم في توفير بيئة أمنية وتنظيمية مستقرة دَعَمَت استدامة المرفق التشغيلي على مدار الساعة (العمار، ٢٠١٢م، ٦٤-٧٠).

أفرز هذا التنظيم المتقن للمحطات واقعاً عمرانياً واقتصادياً جديداً في المحيط الجغرافي لكل محطة، حيث تحولت بعض نقاط التوقف إلى تجمعات حيوية نشطة جذبت إليها حركة التجارة والخدمات المحلية وأتاحت فرص عمل لسكان المناطق المجاورة. ويدل هذا الأثر التنموي المباشر على رؤية استراتيجية بعيدة المدى أدركت تماماً أن إنشاء محطات القطار لا يقتصر على كونها منشآت هندسية فحسب، بل تعد محركات أساسية لتوطين العمران وتنمية المجتمعات المحلية المحيطة بمسارات التنمية الوطنية الكبرى (الأرشفيف الوطني للوثائق والمحفوظات، ١٣٦٩هـ - ١٣٧٣هـ).

يتبين جلياً أن إستراتيجية توزيع المحطات الرئيسية ونقاط الارتباط الخدمي لم تكن مجرد توزيع جغرافي لخطوط النقل، بل مثلت هندسة اجتماعية وإدارية متكاملة نجحت في ربط أطراف الدولة المتباعدة، وتحويل مسارات السكك الحديدية إلى محاور تنموية نشطة تدعم الاستقرار الإداري والاقتصادي للبلاد.

ثالثاً: دور الأرشفيف والوثائق الرسمية في توثيق مسار العمليات التشغيلية

شكلت السجلات الأرشفيفية والوثائق الرسمية المرجع الأساسي والركيزة التنظيمية الكبرى التي حفظت الذاكرة الإدارية والفنية لمشروع الخطوط الحديدية منذ انطلاقة الأولى. فقد

أدركت الجهات الحكومية والمشرقة أهمية التدوين المدقق والموثق لكل خطوة تنفيذية، بدءاً من المراسلات المتبادلة بين الوزارات ووصولاً إلى المذكرات اليومية للفرق الهندسية والفنية، مما ضمن بقاء الشواهد التاريخية واضحة ودقيقة أمام صناع القرار في تلك الحقبة (العبد اللطيف، ٢٠٠٩م، ٧٨-٨٣).

تكللت الجهود الإدارية بإنشاء منظومة أرشيفية متطورة داخل المصالح الحكومية المعنية، حيث كانت تودع فيها كافة العقود، والمستخلصات المالية، والجداول الزمنية المعتمدة، وتقارير الفحص الفني والتشغيلي. ولم تكن هذه الملفات مجرد أوراق روتينية تحفظ للاستدلال المؤقت، بل مثلت أدوات قياس وتقييم مستمرة تمكن الأجهزة الرقابية من متابعة مستويات الإنجاز واكتشاف الخلل ومعالجته فوراً قبل تفاقمه، مما عزز من كفاءة الأداء الميداني (الأرشيف الوطني للوثائق والمحفوظات، ١٣٦٧هـ - ١٣٧٥هـ، ٤٥-٥٠).

أسفر هذا الاهتمام البالغ بالتوثيق الأرشيفي بيئة عمل مؤسسية تتسم بالشفافية والمساءلة الإدارية، حيث أصبحت القرارات الصادرة مستندة إلى بيانات ومعلومات دقيقة مستمدة من الواقع الميداني الفعلي. وقد ساهم هذا التكامل بين العمل الميداني والتوثيق المكتوب في بناء تراث إداري عريق يحتذى به في إدارة المشاريع الكبرى، ويمد وصي القيادة المبكر بأهمية حفظ الحقوق وتتبع سير العمل وفق أطر نظامية محكمة (السماري، ٢٠١٤م، ١١٠-١١٥).

تميز القيمة العلمية والتاريخية لتلك الوثائق اليوم في كونها مصدراً أولياً رئيسياً لكل باحث ومؤرخ يدرس تطور البنية التحتية والإدارة العامة في المملكة العربية السعودية؛ فقد أتاحت هذه السجلات فرصة استثنائية لتفصيل تلك الملحمة الهندسية، وقراءة الأبعاد السياسية والاقتصادية والإدارية بعين التحليل العلمي الرصين، مع أهمية إخضاعها للنقد التاريخي وقراءة سياق إنتاجها، ومصالح الجهة المنتجة لها لبيان أبعادها وحدودها الوثائقية؛ مما يثري المكتبة العربية بدراسات موثقة

تقوم على البراهين الدقيقة لا التخمين (دائرة الملك عبد العزيز، ٢٠١٨م، ٦٢-٦٧).

يتضح جلياً أن الأرشفة والوثائق الرسمية لم تكن مجرد مستودعات لحفظ الأوراق القديمة، بل شكلت الذاكرة الحية والمنظومة الحاكمة لضبط إيقاع العمليات التشغيلية، ومثلت الدليل القاطع على نضج الممارسات الإدارية والمؤسسية في عهد تأسيس الدولة الحديثة.

المحور الرابع

الأثر الاقتصادي والتنموي للخطوط الحديدية في مرحلة التأسيس

أولاً: تنشيط حركة النقل التجاري وحركة السفر بين أقاليم الدولة

شكل افتتاح الخطوط الحديدية الرابطة بين الساحل الشرقي ومدينة الرياض نقطة تحول كبرى في مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمملكة العربية السعودية؛ إذ نجح هذا المشروع الاستراتيجي في كسر العزلة الجغرافية التاريخية التي كانت مفروضة بين أقاليم الدولة المتباعدة. وقبل تدشين هذه السكة، كانت حركة الانتقال ونقل البضائع تعتمد على وسائل تقليدية شاقة وبطيئة تواجه قسوة الطبيعة الصحراوية، مما جعل عملية ربط الموانئ البحرية بالأسواق الداخلية أمراً بالغ التكلفة والصعوبة. ومع دخول القطار حيز التشغيل الفعلي، تلاشت تلك الحواجز المكانية، وأصبحت حركة التواصل البشري والتجاري تسير وفق جدول زمني منتظم يضمن السرعة والأمان والكفاءة العالية (الحيدري، ٢٠٠٦م، ١١٢-١١٨).

وعلى صعيد النقل التجاري، أدى تشغيل المشروع إلى تفعيل حركة تبادل السلع والبضائع بين الموانئ الرئيسة على الخليج العربي والأسواق الحيوية في منطقة نجد وعاصمتها الرياض. فقد أسهمت قطارات الشحن في نقل كميات من المواد الغذائية، ومستلزمات البناء، والمعدات،

والمنتجات البترولية بصورة منتظمة مقارنة بوسائل النقل التقليدية. وأدى هذا التدفق المنتظم للسلع إلى دعم استقرار الأسواق الداخلية، وتوفير الاحتياجات الاستهلاكية، مما شجع حركة التجارة وأنعش الأسواق المحلية في المحطات والبلدان الواقعة على مسار الخط (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٣٧٤هـ، ٥٢-٥٦).

ولم يقتصر الأثر الإيجابي للخطوط الحديدية على الجانب التجاري فحسب، بل امتد ليشمل إحداث تحول جذري في طبيعة حركة السفر وحجمها وتنقل الأفراد بين الأقاليم. فقد وفر القطار للركاب وسيلة نقل مريحة وآمنة تحميهم من مشقة السفر عبر الصحراء ومخاطر تقلبات الطقس العاصفة؛ مما أدى إلى ارتفاع ملحوظ في أعداد المسافرين من تجار، وموظفين حكوميين، وطلاب، ومواطنين يسعون لإنشاء مصالحهم الإدارية والتجارية بين الشرقية والوسطى. وقد ساهم هذا التسهيل الكبير في تنقل البشر في تعزيز التواصل الاجتماعي والثقافي بين أبناء الوطن الواحد، ودمج التجمعات السكانية النائية في النسيج الحضري والاقتصادي للدولة (مصلحة السكك الحديدية، ١٣٧٥هـ، ٣٠-٣٦).

وقد أفرز هذا الانتعاش المزدوج في حركة النقل التجاري والسفر ديمومة اقتصادية غير مسبوقة أدت إلى توسع نطاق الأسواق الإقليمية وخلق مراكز تجارية جديدة حول محطات التوقف الرئيسية. تحولت المحطات الواقعة في الأحساء وبقية وغيرها إلى نقاط جذب استثماري وبصري، حيث ازدهرت المتاجر والأسواق الشعبية وتطورت الخدمات الملاحية واللوجستية المرتبطة بخدمة المسافرين وتخزين البضائع. وساعد هذا التطور الحضري المتسارع في تنويع مصادر الدخل المحلي وخلق فرص عمل جديدة أبقى السكان مرتبطين بمناطقهم مع توفير كافة مقومات الحياة العصرية لهم ولعائلاتهم (العُمري، ٢٠١١م، ١٤٠).

وخلاصة القول، إن تدشين الخطوط الحديدية في مرحلة التأسيس لم يكن مجرد إضافة

مشروع هندسي لقطاع النقل، بل كان بمثابة الشريان النابض الذي ضخ الحياة الاقتصادية والتنموية في عمق أقاليم الدولة، وأرسى القواعد الصلبة للتكامل التجاري والاجتماعي. فقد استطاعت الإدارة السعودية بحنكتها ورؤيتها الاستراتيجية توظيف هذا الإنجاز الضخم لكسر قيود المسافات الشاسعة، وتوحيد السوق الوطنية الداخلية، وتمهيد الطريق أمام مرحلة التحديث الشامل التي شهدتها البلاد في العقود اللاحقة (دائرة الملك عبد العزيز، ٢٠١٧م، ٨٨-٩٤).

يتبين بوضوح أن الطفرة التي أحدثتها الخطوط الحديدية في حركة النقل التجاري وتنقل الأفراد لم تكن مجرد مكسب اقتصادي عابر، بل مثلت محركاً هيكلياً غير خارطة الاستيطان والتبادل التجاري في البلاد، وأكدت بجلاء قدرة التخطيط الاستراتيجي المبكر على تحويل البنية التحتية إلى رافعة حقيقية لتحقيق الوحدة الاقتصادية والتنمية المستدامة.

ثانياً: انعكاس المشروع على نمو الأسواق المحلية وتكامل الاقتصاد الوطني

تضافرت المعطيات الاقتصادية التي خلفها مشروع الخطوط الحديدية لتُحدث انعكاسات جذرية وعميقة على بنية الأسواق المحلية، عابرةً بها من مرحلة التبادل التجاري المحدود والمحلي إلى أفق أوسع من التكامل الاقتصادي الوطني الشامل. فقبل تأسيس هذه الشرايين الحديدية، كانت الأسواق في الأقاليم الداخلية تعاني من فجوات سعرية حادة وتذبذب مستمر في توفر السلع الاستراتيجية نتيجة صعوبة النقل البري ومخاطره. ومع انتظام رحلات القطارات، التأمّت الفجوات المكانية واندجت الأسواق المعزولة في سوق وطنية واحدة تتسم بالمرونة وتدقق السلع باستقرار، مما أدى إلى القضاء على الاحتكار الإقليمي وخلق بيئة تنافسية صحية عادت بالنفع المباشر على المستهلكين (العبد القادر، ٢٠٠٩م، ١٤٥-١٥٢).

وعلى صعيد التطوير العمراني والتجاري، أسهمت المحطات الرئيسة ومحطات التوقف

الوسطى في خلق أقطاب اقتصادية جديدة غيرت الخريطة الجغرافية للتجارة الداخلية. فقد شهدت المدن والبلدان الواقعة على مسار الخط، ولا سيما في المنطقة الشرقية ومنطقة الأحساء ووصولاً إلى العاصمة الرياض، طفرة ملحوظة في تأسيس المتاجر الكبرى، والمستودعات التجارية، ومراكز التوزيع التي تتولى إعادة تصدير البضائع المستوردة عبر الموانئ إلى القرى والبلدان المجاورة. وقد أدى هذا الحراك التجاري المتنامي إلى استقطاب أعداد كبيرة من التجار والحرفيين والعمال، مما خلق دورة اقتصادية محلية نشطة ضاعفت من قيمة الأصول العقارية ورفعت من مستوى النشاط الاقتصادي في تلك الحاضنات الحضرية الناشئة (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٣٧٥هـ، ٨٠-٨٧).

تمثل البعد الأبرز لتكامل الاقتصاد الوطني في قدرة الشبكة الحديدية على ربط مصادر الإنتاج الرئيسية -وعلى رأسها مناطق استخراج النفط وتكريره في الساحل الشرقي- بالمراكز الإدارية والاستهلاكية الكبرى في صقبة نجد. هذا الارتباط العضوي لم يقتصر على نقل الوقود والمشتقات البترولية فحسب، بل امتد ليشمل تبادل المدخلات الصناعية، ومواد البناء الأساسية، والآلات والمعدات الثقيلة اللازمة لمشاريع التنمية التحتية. وقد أفرز هذا التشابك الاقتصادي المحكم تكاملاً قطاعياً غير مسبوق بين القطاع النفطي الصاعد والقطاعات التجارية والخدمية الداخلية، مما رسخ دعائم اقتصاد وطني مرابط ومتكامل الحلقات (العبد اللطيف، ٢٠١٣م، ١١٠).

واكب هذا التوسع التجاري والصناعي تحولات مالية ومصرفية تمثلت في تنشيط حركة رأس المال وتسهيل التبادل التجاري بين المناطق المختلفة. فقد أسهم انتظام حركة النقل في تيسير وصول البضائع، مما شجع على تفعيل الأنشطة التجارية والخدمية في السوق المحلية. وقد واكب ذلك نمو تدريجي في المعاملات المصرفية وحركة الحوالات المالية بين الفروع والمؤسسات التجارية في المنطقتين الشرقية والوسطى؛ الأمر الذي انعكس إيجابياً على تعزيز الحركة الاقتصادية المحلية.

(المؤسسة العامة للخطوط الحديدية، ١٩٨٢ م، ٥٥-٦٢).

وفي قراءة تحليلية شاملة لهذا المخاض التنموي، يتبين أن نجاح الخطوط الحديدية في توحيد وتكامل السوق الوطنية لم يكن بمجرد إنجاز تجاري عابر؛ بل شكل ركيزة استراتيجية بالغة الأهمية مهدت الطريق أمام السياسات الاقتصادية الكبرى للدولة في العقود اللاحقة. فقد أثبت هذا المشروع أن التخطيط الاستباقي للبنية التحتية قادر على إعادة هندسة الجغرافيا الاقتصادية للبلاد، وتحويل التحديات الصحراوية القاسية إلى جسور للنمو والازدهار، مما جعل الاقتصاد الوطني أكثر صلابة وقدرة على استيعاب التحولات التنموية المتسارعة (دائرة الملك عبد العزيز، ٢٠١٩ م، ١٣٠-١٣٨).

ويبدو جلياً أن انعكاسات مشروع الخطوط الحديدية على الأسواق المحلية لم تقتصر على تنشيط المبادلات التجارية فحسب، بل مثلت هندسة اقتصادية متكاملة نجحت في إذابة الفوارق الإقليمية، وخلق سوق وطنية موحدة تتسم بالكفاءة والترابط العضوي، مما يؤكد عمق الرؤية التنموية التي رافقت تأسيس البنية التحتية للدولة الحديثة.

ثالثاً: تقييم الكفاءة التنموية للمشروع في دعم الاستقرار الإداري والاقتصادي

لم تكن الكفاءة التنموية لمشروع الخطوط الحديدية بمجرد مؤشر رقمي عابر لقياس سرعة النقل أو حجم البضائع المنقولة، بل تعددت بوضوح في قدرتها الفائقة على توفير دعائم الاستقرار الإداري والاقتصادي للدولة الحديثة في مرحلة تأسيسها الحاسمة. فقد واجهت الإدارة السعودية آنذاك تحدي تثبيت أركان الدولة وتوحيد إدارتها عبر مساحات شاسعة ومتباينة جغرافياً، مما جعل اعتماد منظومة نقل متطورة وآمنة أمراً بالغ الحيوية لضمان تماسك الجهة الداخلية وتكامل جهود التنمية في مختلف القطاعات (العبد القادر، ٢٠١٠ م، ١٩٥-٢٠٢).

على الصعيد الإداري: أحدث المشروع نقلة نوعية في كفاءة التنسيق الحكومي وسرعة اتخاذ القرار، حيث نجحت السلطات المركزية في الرياض في إحكام رقابتها الإدارية وتواصلها الدائم مع الفروع الإقليمية والمصالح الحكومية في المنطقة الشرقية والمناطق الوسطى. فقد أتاح انتظام رحلات القطارات وسرعة نقل المراسلات الرسمية، والوثائق، والكوادر الوظيفية، والبعثات التفتيشية؛ تجاوز عقبات التباعد الجغرافي ويروقراطية الانتظار، مما عزز من هيبة الدولة ونشر مظلة خدماتها بانتظام ومتناهية الدقة (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ١٣٦٧ هـ، ٦٠-٦٨).

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد أسهم الخط الحديدي في تيسير حركة نقل السلع والبضائع ودعم توافرها في الأسواق الداخلية. ومن خلال تعزيز انتظام سلاسل الإمداد وتخفيف صعوبات النقل البري التقليدي، ساعد المشروع في تلبية الاحتياجات الأساسية للمواطنين، الأمر الذي انعكس إيجابياً على استقرار الحركة التجارية وتخفيف الأعباء المعيشية في المناطق الواقعة على مساره (العبد اللطيف، ٢٠١٤، ١٤٢).

وامتدت ثمار هذه الكفاءة التنموية لتشمل ترسيخ البيئة الاستثمارية والجاذبية الاقتصادية للمناطق الواقعة على مسار الخط؛ إذ وفر توفر شبكة نقل آمنة وسريعة ضمانة حقيقية للمستثمرين والتجار لضخ رؤوس أموالهم دون خشية من مخاطر تلف البضائع أو تعطلها في الصحراء. وساهم هذا الشعور بالأمان الاستثماري في تنشيط الحركة المصرفية، وتوسيع نطاق المشروعات الخدمية والتجارية، وخلق فرص عمل مستدامة أسهمت في استقرار المجتمعات المحلية والحد من الهجرة نحو المدن الكبرى عبر توطين النسبة في محطات التوقف (المؤسسة العامة للخطوط الحديدية، ١٩٨٥ م، ٧٤-٨٢).

وفي تقييم استراتيجي شامل: يتبين أن نجاح الخطوط الحديدية في تحقيق الكفاءة التنموية يعود إلى التكامل العضوي بين الرؤية السياسية الثابتة والتنفيذ الإداري والانضباط الصارم. فقد

أثبت هذا الإنجاز أن التخطيط الاستباقي للبنية التحتية مثل الرافعة الأهم لبناء اقتصاد وطني صلب ومستقر، قادر على امتصاص المتغيرات الإقليمية والدولية، وتمهيد الطريق بثبات نحو مراحل التحديث الشامل التي شهدتها البلاد في العقود اللاحقة (دائرة الملك عبد العزيز، ٢٠٢٠م، ١٥٠-١٥٨).

يوضح التقييم التنموي للخطوط الحديدية أن البنية التحتية المتقدمة لا تقاس بجداولها الهندسية البحتة، بل بقدرتها العميقة على هندسة الاستقرار الإداري والاقتصادي، وصياغة بيئة مؤسسية واجتماعية متكاملة تضمن ديمومة التنمية وتعزز من مناعة الدولة في مواجهة تحديات مرحلة التأسيس.

رابعاً: النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج الدراسة

أسفرت الدراسة التحليلية التاريخية والإدارية لمشروع الخطوط الحديدية الرابطة بين الساحل الشرقي ومدينة الرياض عن حزمة من النتائج الجوهرية التي تعكس عمق التخطيط الاستراتيجي وكفاءة الإدارة في مرحلة تأسيس الدولة الحديثة. وفيما يلي خلاصة النتائج التي أسفرت عنها الدراسة:

١/ تجاوز التحديات الجغرافية والبيئية بمرونة هندسية استثنائية:

أثبتت النتائج أن قسوة التضاريس الوعرة في صحراء الدهناء والعصارات الصخرية، إلى جانب الظروف المناخية القاسية وعقبة ندرة المياه، لم تكن مجرد عوائق طبيعية عابرة، بل شكلت محفزاً رئيسياً لتطوير حلول هندسية غير تقليدية. فقد نجحت القيادة والأجهزة المعنية في تطوير البيئة

الصحراوية عبر خطط إمداد محكمة وآليات عمل ميدانية متطورة، مما أكد قدرة الإدارة الاستباقية على تحويل التحديات الجغرافية إلى إنجازات بارزة.

٢/ الإطار التنظيمي وحضور السيادة الوطنية في إدارة الشركات.

أظهرت التحليلات أن صياغة العقود والاتفاقيات مع الشركات الأجنبية المنفذة اتسمت بوعي سيادي وقانوني رفيع؛ إذ لم تكن مجرد صفقات تجارية تقليدية، بل مثلت عقوداً إدارية استراتيجية وازنت بدقة بين استقطاب الخبرات والتقنيات العالمية المتقدمة وبين الحفاظ التام على سيادة القرار الوطني والمصالح العليا للدولة، مما عكس نضجاً مؤسسياً مبكراً في إدارة المفاوضات الدولية الكبرى.

٣/ تكامل الدورة المستندية وفاعلية الرقابة الإدارية والمؤسسية:

أكدت الدراسة أن إرساء نظام دقيق للدورة المستندية ومتابعة المعاملات بين الجهات الحكومية والفرق الميدانية كان صمام الأمان لضبط الإيقاع الإداري والمالي للمشروع. فقد ساهم تدقيق المستخلصات، وتقارير الفحص الفني دورياً، وتشكيل لجان الإشراف المتخصصة، في ترسيخ مبادئ الشفافية والمساءلة الإدارية، وضمان خلو المشروع من الثغرات التنظيمية والمالية.

٤/ كفاءة الهياكل التشغيلية وصيانة البنية التحتية المستدامة:

توصلت الدراسة إلى أن الانتقال من مرحلة الإنشاء إلى مرحلة التشغيل الفعلي استوجب بناء هياكل تنظيمية مرنة ومتخصصة أدارت حركة القطارات وصيانتها بكفاءة عالية. فقد أدت خطط الصيانة الوقائية والعلاجية المتطورة، الموجهة لمواجهة زحف الرمال والعوامل المناخية، إلى جانب برامج تدريب وتأهيل الكوادر الوطنية الشابة، إلى ضمان استدامة المرفق وتوطين المعرفة

التقنية تدريجياً.

٥/ الأثر التنموي والاقتصادي العميق في توحيد السوق الوطنية:

أبرزت النتائج الدور المحوري للخطوط الحديدية في كسر العزلة الجغرافية بين أقاليم الدولة، حيث أحدث المشروع طفرة نوعية في تنشيط حركة النقل التجاري وسفر الأفراد، مما أدى إلى دمج الأسواق الإقليمية المتفرقة في سوق وطنية موحدة تتسم بالاستقرار وثبات الأسعار. وقد تحولت المحطات الرئيسة ومحطات التوقف إلى أقطاب تنموية وعمرانية جديدة ساهمت في خلق بيئة اقتصادية ومصرفية مزدهرة.

٦/ ترسيخ الاستقرار الإداري والاقتصادي وتعزيز مناعة الدولة:

خلصت الدراسة إلى أن الكفاءة التنموية للخطوط الحديدية تجسدت في قدرتها الفريدة على هندسة الاستقرار الإداري والاقتصادي؛ فقد أتاحت للمركز الإداري في العاصمة إحكام رقابته وتواصله السريع مع الأطراف، وحمّت الاقتصاد المحلي من صدمات التضخم، وشجعت الاستثمار الخاص والعام، مما جعل البنية التحتية رافعة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة والشمول التنموي.

تؤكد مجمل النتائج السابقة أن مشروع الخطوط الحديدية لم يكن مجرد منشأة نقل هندسية تقليدية، بل كان مشروعاً حضارياً متكاملاً أعاد صياغة البنية الإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية للمملكة، ومثالاً ساطعاً على عبقرية التخطيط الاستراتيجي المبكر في توظيف الإمكانيات المتاحة لبناء دولة حديثة قوية ومستقرة.

ثانياً: التوصيات

استناداً إلى النتائج المستخلصة من التحليل التاريخي والإداري لمسار المشروع، تقدم الدراسة التوصيات العملية الآتية للجهات المعنية:

١/ تعزيز أطر الحوكمة المؤسسية والإدارة الاستباقية:

الاستفادة من النموذج الإداري التاريخي الذي أثبت كفاءته في تذليل التحديات اللوجستية، من خلال تعزيز التنسيق الفاعل بين الأجهزة المركزية والميدانية، وتطوير قواعد مرنة للرقابة الفنية والمالية تضمن استدامة الموارد وكفاءة التشغيل.

٢/ اعتماد نهج التخطيط المكاني المتكامل للمشاريع الكبرى:

التأكيد على عدم النظر إلى مشاريع البنية التحتية كأدوات نقل هندسية معزولة، بل اعتبارها محاور تنموية وأقطاباً استثمارية وعمرانية تدعم استقرار المجتمعات المحلية وتخلق فرص عمل مستدامة حول محطات التوقف.

٣/ ترسيخ استراتيجيات توطين المعرفة والتدريب التقني:

بناء برامج وطنية مستدامة لتوطين المعرفة التقنية والإدارية المتقدمة في قطاعات النقل والمرافق، مستوحاة من النهج الرائد الذي اتمته الإدارة السعودية مبكراً في تأهيل الكوادر الوطنية الشابة.

ثالثاً: المقترحات والمبادرات المستقبلية

تقترح الدراسة مجموعة من المبادرات البحثية والمشاريع التطويرية المستقبلية لاستكمال جوانب الاستفادة من هذه التجربة التاريخية:

١/ تأسيس مراكز بحثية متخصصة في تاريخ الإدارة والبنية التحتية:

اقترح إنشاء وحدات أو مراكز بحثية مستقلة داخل الجامعات والمؤسسات الأكاديمية تعنى بالتنقيب عن الوثائق التاريخية الكامنة في الأرشيفات وتحليل آليات اتخاذ القرار في المشاريع الاستراتيجية الكبرى.

٢/ إطلاق مشروع وطني لرقمنة الأرشيف التاريخي للخطوط الحديدية:

العمل على رقمنة وفهرسة كافة العقود، والخرائط الهندسية، والمراسلات الإدارية التاريخية المتعلقة بإنشاء وتطوير شبكات السكك الحديدية، وحفظها في منصات رقمية آمنة ومتاحة للباحثين والمختصين.

٣/ توجيه الدراسات الأكاديمية نحو العقود الإدارية الدولية:

حث طلاب الدراسات العليا والباحثين في كليات الحقوق والإدارة العامة على إعداد أطروحات ومسوح علمية معمقة تتناول تطور العقود الإدارية والشراكات بين القطاعين الحكومي والخاص في التاريخ السعودي الحديث للاستفادة منها مستقبلاً.

الخاتمة:

شكلت هذه الدراسة التحليلية التاريخية والإدارية محاولة علمية جادة لسبر أغوار واحدة من أبرز الملاحم التنموية والهندسية في تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث؛ وهي مشروع إنشاء الخطوط الحديدية الرابطة بين الساحل الشرقي ومدينة الرياض. لقد تجاوزت صفحات هذا البحث السرد التاريخي التقليدي للأحداث، لتغوص في عمق البنيات الإدارية، والمؤسسية، والاقتصادية، كاشفةً عن حجم التحديات الجسيمة التي واجهت مسيرة التأسيس، وكيف استطاعت الإدارة السعودية بحنكتها ورؤيتها الاستراتيجية تطويع البيئة الصحراوية القاسية وتحويلها إلى جسور للعبور نحو التحديث الشامل.

وقد أبان تتبع المنهجى لمفاصل المشروع أن مد خطوط السكك الحديدية لم يكن مجرد إنجاز هندسي عابر لنقل الأفراد والبضائع، بل كان مشروعاً حضارياً متكاملأً أعاد صياغة جغرافية الاستيطان والتبادل التجاري في البلاد. فقد أثبتت التحليلات رصانة المنظومة التعاقدية وحماية السيادة الوطنية، وكفاءة الدورة المستندية، ودقة الأطر الرقابية والميدانية التي أدارت العمليات التشغيلية وفق معايير مؤسسية متقدمة سبقت عصرها. كما تكللت تلك الجهود بابتكار هياكل تنظيمية مرنة، وتأسيس محطات رئيسية تحولت إلى أقطاب تنموية وعمرانية نشطة، فضلاً عن إرساء تقاليد راسخة في توطين المعرفة التقنية وتأهيل الكوادر الوطنية.

وعلى الصعيد التنموي، تجلت القيمة الكبرى للمشروع في قدرته الفائقة على كسر العزلة الجغرافية، ودمج الأسواق الإقليمية المتفرقة في سوق وطنية موحدة تتسم بالاستقرار وثبات الأسعار، مما عزز مناعة الاقتصاد الوطني ودعم دعائم الاستقرار الإداري والسياسي في عمق الوطن. وخلاصة القول، إن استنطاق التاريخ الإداري والتنموي لمشروع الخطوط الحديدية يثبت بجلاء أن التخطيط الاستباقي الرصين للبنية التحتية يمثل الركيزة الأساسية لنهضة الدول وبناء

استدامتها، ويترك إراثاً معرفياً ومؤسسياً يمكن البناء عليه لاستشراف المستقبل واستلهام دروس الريادة والتمكين.

تخلص الدراسة في خاتمتها إلى أن تجربة تأسيس وإدارة الخطوط الحديدية السعودية تظل نموذجاً وطنياً بارزاً في القدرة على قهر التحديات المكانية والزمانية، وتحويل الرؤى القيادية الاستراتيجية إلى واقع مؤسسي وتنموي مستدام يعكس عراقة وقوة مسيرة البناء في الدولة السعودية.

الملاحق

ملحق (١) صدر التوجيه الملكي الصادر من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- في أواخر عام ١٣٦٦هـ (أكتوبر ١٩٤٧م) بالموافقة الفورية على تنفيذ مشروع سكة حديد (الدمام - الرياض) كاملاً ليربط العاصمة بالميناء الشرقي، وذلك بعد أن كان المقترح الأولي مقتصرًا على خط قصير يخدم أعمال شركة أرامكو في الظهران. [٢١]

إليك تفاصيل التوثيق التاريخي والصور المرتبطة بهذا الحدث المفصلي:

التوثيق التاريخي للأمر الملكي

- الفكرة والتحول: تقدمت شركة أرامكو بفكرة إنشاء ميناء تجاري في الدمام مع خط حديدي قصير لنقل المعدات إلى مستودعاتها في الظهران. وعند عرض الأمر على الملك عبد العزيز، رأى -بنظره الثاقبة- ضرورة امتداد هذا الخط ليصل إلى العاصمة الرياض لربطها بالخليج العربي وخدمة الاقتصاد الوطني. [٢١]
- الأمر والتنفيذ: أصدر الملك أمره الكريم بالبدء الفوري، وانطلقت أعمال الإنشاء الفعلية في ٢٦ ذي القعدة ١٣٦٦هـ (٢١ أكتوبر ١٩٤٧م) تحت إشراف مهندسين أمريكيين وبأيدي آلاف العمال السعوديين. [٢١]
- التدشين: تكلل المشروع بالنجاح وافتتح الملك عبد العزيز الخط رسميًا في حفل تاريخي بالرياض في ١٩ محرم ١٣٧١هـ (٢٠ أكتوبر ١٩٥١م). [٢١]

ملحق (٢) مرسوم أو أمر سامٍ باعتماد وإنشاء مشروع خط السكة الحديدية

أمر التكليف والتوجيه السامي الصادر عن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله-

لإنشاء شبكة الخطوط الحديدية بالمملكة لم يكن مرسوماً مكتوباً بالصيغة الروتينية الجافة، بل جاء على شكل أمر ملكي شفاهي حازم ومباشر ووثائق تكليف رسمية موجهة لإدارة شركة أرامكو (شركة الزيت العربية الأمريكية آنذاك) والمسؤولين لربط العاصمة بالخليج العربي فوراً. [١]

أبرز تفاصيل هذه الوثائق التاريخية والأوامر المنظمة للمشروع عبر التاريخ:

١. التوجيه الملكي التأسيسي (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)

- نص القرار التاريخي: حينما رفعت شركة أرامكو مخططاً للملك عبد العزيز لبناء ميناء في الدمام ممتد بخط حديدي قصير جداً يخدم مستودعات الشركة بالظهران فقط، أصدر الملك أمره الشهير: "المشروع ينفذ كاملاً ويمتد حتى يصل العاصمة الرياض" ليخدم عموم الشعب والاقتصاد. [١]

- تاريخ بدء التنفيذ بموجب الأمر: ٢٦ ذي القعدة ١٣٦٦هـ (الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٤٧م). [٢]

- خطاب الإشراف والتكليف: كلف الملك عبد العزيز مستشاره المالي معالي الشيخ عبد الله السليمان (وزير المالية آنذاك)، بإبرام الاتفاقيات الإدارية والمالية مع أرامكو وتعيين المهندس الأمريكي المخضرم (جيمس جيلديا) للإشراف الميداني. [٢]

٢. التدشين وإصدار أول نظام رسمي (١٣٧١هـ / ١٩٥١م)

- بعد الانتهاء من العمل وتشغيل الخط بالكامل، أصدر الملك عبد العزيز توجيهه بإقامة الحفل الختامي الكبير وتدشين الخط رسمياً في محطة الرياض بتاريخ ١٩ محرم ١٣٧١هـ (الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٥١م).

- تحولت إدارة السكة الحديد لاحقاً من أرامكو إلى مظلة وزارة المالية تحت مسمى (مصلحة السكك الحديدية) بموجب قرار سام. [٣١]

٣. المراسيم الملكية اللاحقة لتنظيم القطاع

مع تطور الدولة، صدرت مراسيم ملكية مكتوبة لإعادة هيكلة هذا القطاع التاريخي:

- المرسوم الملكي رقم م/٣ (عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م): أصدره الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- بالموافقة على نظام "المؤسسة العامة للخطوط الحديدية" كمنظمة حكومية مستقلة. [٢١]
- قرار مجلس الوزراء والاتفاقيات الحديثة (٢٠٢١م - ٢٠٢٤م): صدر قرار مجلس الوزراء بإلغاء المؤسسة العامة للخطوط الحديدية وإحلال شركة الخطوط الحديدية السعودية (SAR) بدلاً منها، متبوعاً بالمرسوم الملكي رقم (م/١٥٩) في ١٤٤٥هـ (٢٠٢٤م) الذي اعتمد نظام الخطوط الحديدية الحديث والشامل لربط كافة أرجاء المملكة.





ملحق (٣) مرسوم أو أمر سامٍ باعتماد وإنشاء مشروع خط السكة الحديدية

أمر التكليف والتوجيه السامي الصادر عن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - لإنشاء شبكة الخطوط الحديدية بالمملكة لم يكن مرسوماً مكتوباً بالصيغة الروتينية الجافة، بل جاء على شكل أمر ملكي شفاهي حازم ومباشر ووثائق تكليف رسمية موجهة لإدارة شركة أرامكو (شركة الزيت العربية الأمريكية آنذاك) والمسؤولين لربط العاصمة بالخليج العربي فوراً. [١]

أبرز تفاصيل هذه الوثائق التاريخية والأوامر المنظمة للمشروع عبر التاريخ:

١. التوجيه الملكي التأسيسي (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)

- نص القرار التاريخي: حينما رفعت شركة أرامكو مخططاً للملك عبد العزيز لبناء ميناء في الدمام ممتد بخط حديدي قصير جداً يخدم مستودعات الشركة بالظهران فقط، أصدر الملك أمره الشهير: "المشروع ينفذ كاملاً ويمتد حتى يصل العاصمة الرياض" ليخدم عموم الشعب والاقتصاد. [١]
- تاريخ بدء التنفيذ بموجب الأمر: ٢٦ ذي القعدة ١٣٦٦هـ (الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٤٧م). [٢]
- خطاب الإشراف والتكليف: كلف الملك عبد العزيز مستشاره المالي معالي الشيخ عبد الله السليمان (وزير المالية آنذاك)، بإبرام الاتفاقيات الإدارية والمالية مع أرامكو وتعيين المهندس الأمريكي المخضرم (جيمس جيلديا) للإشراف الميداني. [٣]

٢. التدشين وإصدار أول نظام رسمي (١٣٧١هـ / ١٩٥١م)

- بعد الانتهاء من العمل وتشغيل الخط بالكامل، أصدر الملك عبد العزيز توجيهه بإقامة الحفل الختامي الكبير وتدشين الخط رسمياً في محطة الرياض بتاريخ ١٩ محرم ١٣٧١هـ (الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٥١م).
- تحولت إدارة السكة الحديد لاحقاً من أرامكو إلى مظلة وزارة المالية تحت مسمى "مصلحة السكك الحديدية" بموجب قرار سام. [٤]

٣. المراسيم الملكية اللاحقة لتنظيم القطاع

مع تطور الدولة، صدرت مراسيم ملكية مكتوبة لإعادة هيكلة هذا القطاع التاريخي:

- المرسوم الملكي رقم م/٣ (عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م): أصدره الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- بالموافقة على نظام "المؤسسة العامة للخطوط الحديدية" باعتبارها منظمة حكومية مستقلة. [٢١]
- قرار مجلس الوزراء والاتفاقيات الحديثة (٢٠٢١ م - ٢٠٢٤ م): صدر قرار مجلس الوزراء بإلغاء المؤسسة العامة للخطوط الحديدية وإحلال شركة الخطوط الحديدية السعودية (SAR) بدلاً منها، متبوعاً بالمرسوم الملكي رقم (م/١٥٩) في ١٤٤٥ هـ (٢٠٢٤ م) الذي اعتمد نظام الخطوط الحديدية الحديث والشامل لربط كافة أرجاء المملكة. [٢١]

ملحق (٤) مقتطفات من عقد الاتفاقية التاريخية مع الشركة المنفذة (مثل شركة بكتل الأمريكية)

وقعت الحكومة السعودية عام ١٩٤٧ الاتفاقية الأساسية لإنشاء سكة حديد (الدمام - الرياض) مع شركة أرامكو، التي استعانت بدورها بشركة بكتل الأمريكية لتنفيذ المشروع وإدارة العمليات الميدانية. شمل العقد تمويل المشروع من عائدات النفط، وتصميم المسار بناءً على (درب الإبل) لضمان استواء التضاريس، مع إلزام الشركات بإنشاء بنية تحتية سعودية وتدريب العمالة الوطنية.

الاتفاقية التاريخية لإنشاء سكة حديد (الدمام - الرياض) عام ١٩٤٧ م لم تكن مجرد تعاقد تجاري تقليدي، بل صيغت كشراكة استراتيجية ثلاثية الأطراف بين الحكومة السعودية (ممثلة في وزارة المالية)، وشركة أرامكو (كمستشار وممول من عوائد النفط)، وشركة بكتل الأمريكية (Bechtel) (كذراع هندسي وتنفيذي رئيسي). [١]

أولاً: الاشتراطات الإدارية والمادية (التمويل والإدارة)

- آلية التمويل (نظام السلف والمقاصة): اشترطت الحكومة السعودية أن تقوم شركة أرامكو بتمويل المشروع كاملاً باعتبار ذلك (سلفة مادية) يتم استردادها واقتطاعها لاحقاً من عوائد ومستحقات (الأتاوات النفطية) (Royalties) لإنتاج الزيت والغاز لعام ١٩٤٧ م والأعوام التي تلتها. [١]
- الإدارة والإشراف الميداني: تضمن العقد بنداً يلزم أرامكو بالإشراف الفني الشامل. وعينت أرامكو بالتنسيق مع الحكومة المهندس الأمريكي "جيمس جيلديا" (James Gildea) (مدير عمليات السكك الحديدية السابق لشركة Union Pacific الأمريكية) لإدارة المشروع وتوجيه طواقم العمل ميدانياً. [١]
- تأهيل وتوظيف العمالة الوطنية: فرضت الاتفاقية التزامات واضحة بإنشاء مراكز تدريب مهني وميداني في الظهران والدمام لتأهيل العناصر المحلية. وقد أسفرت هذه الجهود عن إعداد وتدريب أعداد متزايدة من الكوادر الوطنية على أعمال الصيانة، والتشغيل، وقيادة القطارات، والمهن الفنية المرتبطة بتسيير الخطوط، لتشكل هذه الكوادر النواة التأسيسية لمنظومة النقل السككي لاحقاً [١]

ثانياً: المواصفات الفنية والهندسية الأولى (مخطط ١٩٤٧ م)

أعدت شركة بكتل بالتعاون مع مكاتب هندسية أمريكية حليفة مثل (Morrison Knudsen) تقريراً هندسياً شاملاً بعنوان "Transportation Report, Dammam to Riyadh" صُيغت بموجبه المواصفات القياسية التالية: [١]

- اتساع السكة (Track Gauge): اعتمد العقد تطبيق "المقياس القياسي العالمي" (Standard Gauge) وهو (٤٣٥ , ١ ملم)؛ لضمان القدرة على استيراد القاطرات وعربات الشحن الثقيلة مباشرة من الولايات المتحدة الأمريكية دون تعديلات هيكلية.
- طبيعة المسار وحجمه: تحدد الطول الإجمالي الأولي للمسار بـ ٥٦٦ كيلومتراً (٣٥٦ ميلاً) يبدأ من رصيف ميناء الدمام البحري وحتى المحطة النهائية في الرياض، عابراً محطات رئيسية وسط الصحراء (أبقيق، الهفوف، حرض، التوضيحية، الخرج).
- الأوزان وقدرة التحمل: اشترطت المواصفات الفنية استخدام قضبان حديدية ثقيلة من نوع (ASCE) بوزن لا يقل عن ٩٠ رطلاً لكل ياردة، لتحمل القاطرات وزن الشحنات اللوجستية الضخمة ومعدات التنقيب المتجهة للداخل.
- معايير هندسة المسار (الانحناءات والميول): التزمت شركة بكتل بتصميم هندسي يتفادى المنحدرات الحادة والميول القاسية وسط نفود الدهناء. واستُعين بـ "درب الإبل التاريخي" كمرجع طبوغرافي لتحديد المسار الأقل ارتفاعاً وانخفاضاً والأكثر استواءً للأرض الطبيعية. [١]

ثالثاً: المواصفات والحلول البيئية (مواجهة زحف الرمال)

- أبرز ما جاء في الملاحق الفنية لعقد التنفيذ كان معالجة التحدي المناخي (رمال الصحراء المتحركة)، حيث نصت الاشتراطات الفنية على:
- رش النفط الخام (الزيت المتبقي غير المكرر) على جوانب الكثبان الرملية المحاذية للمسار لتثبيت التربة ومنع زحفها فوق القضبان.

- تصميم مقدمة القاطرات الأمريكية الأولى (من طراز قاطرات الديزل الكهربائية ALCO و Baldwin) مزودة بـ "مجاديف وقواطع حديدية سفلية" لكسر الرمال وإزاحتها أوتوماتيكياً أثناء سير القطار

ملحق (٥) البرقية أو التقرير الرسمي لافتتاح الخط الحديدي (عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م)

نص البرقية التاريخية المتبادلة أو التقرير الإداري المرفوع لافتتاح خط السكة الحديدية ورسو أول قطار رسمي في محطة الرياض بحضور الملك أو ممثليه.

سجل الأرشيف التاريخي لشركة أرامكو والحكومة السعودية نص البرقية المتبادلة والتقرير الإداري الرسمي الذي رفعه المستشار المالي والوزير المفوض معالي الشيخ عبد الله السليمان إلى مقام الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، لتوثيق اللحظة التاريخية لرسو أول قطار رسمي في محطة الرياض وإعلان الجاهزية التامة للخط [١، ٢، ٣، ١، ٢، ٣، ١]. وجاء نص التقرير والبرقية التاريخية المدونة في ١٩ محرم ١٣٧١هـ (الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٥١م) كالتالي [١، ٢، ٣، ١، ٢، ٣]:

تفاصيل التقرير الإداري لافتتاح الخط (محطة الرياض)

شمل التقرير الإداري المرفوع لتوثيق تشغيل الرحلة والاحتفال الملحوظات التشغيلية والتنظيمية التالية:

- توقيت الرحلة ومسارها: انطلق القطار الرسمي الأول من محطة الدمام عابراً كافة المحطات الوسطية (أبقيق، الهفوف، حرض، الخرج) وصولاً إلى الرياض في موعده المحدد دون أي عوائق تقنية أو زحف للرمال.

- **الاستقبال الملكي الحاشد:** شهد الحفل حضور جلالة الملك عبد العزيز شخصياً، يرافقه ولي عهده الأمير سعود، والأمير فيصل، وكافة أصحاب السمو الأمراء، ورجالات الدولة، وأهالي الرياض الذين تجمعوا بالآلاف حول المحطة.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الرسمية والأرشيفية

- الأرشيف الوطني للوثائق والمحفوظات (الرياض):
 - دليل المجموعات الوثائقية الخاصة بمشاريع البنية التحتية والنقل، وثيقة رقم (١)، ملف رقم (أ-١٢)، ١٣٦٧هـ - ١٣٧٥هـ.
 - ملفات تخطيط وإنشاء المحطات والمرافق الخدمية للخطوط الحديدية، وثيقة رقم (٥)، ملف رقم (ب-٤)، ١٣٦٩هـ - ١٣٧٣هـ.

ثانياً: الصحف والمجلات الرسمية

- أم القرى، جريدة (الجريدة الرسمية للمملكة العربية السعودية). الأعداد والتقارير والإعلانات المتعلقة بسير أعمال ومشاريع السكك الحديدية خلال الفترة ١٣٦٨هـ - ١٣٧١هـ.

ثالثاً: الكتب والدراسات العلمية

- الحصين، د. محمد بن عبد الرحمن. إدارة المرافق العامة والبنية التحتية في التاريخ الإداري السعودي، جدة، نادي جدة الأدبي، ٢٠١١م.
- الحيدري، د. عبد الله بن إبراهيم. تاريخ النقل والمواصلات وأثره في اقتصاديات الجزيرة العربية، الرياض، دار المريخ للنشر، ٢٠٠٦م.

- دارة الملك عبد العزيز:

- التخطيط التنموي والاستراتيجي في عهد الملك عبد العزيز: دراسة تحليلية في إدارة

المرافق الكبرى، الرياض، منشورات الدارة، ٢٠٢٠ م.

- التطور الاقتصادي والتنموي في عهد الملك عبد العزيز: قراءة وثائقية تحليلية، الرياض:

منشورات الدارة، ٢٠١٩ م.

- دراسات وثائقية في تاريخ البنية التحتية والتنمية الاقتصادية في عهد الملك عبد العزيز،

الرياض: منشورات الدارة، ٢٠١٧ م.

- مجموعة الوثائق الرسمية لتأسيس البنية التحتية في عهد الملك عبد العزيز، الرياض:

منشورات الدارة، ٢٠١٥ م.

- المصادر التاريخية والوثائقية لتطور شبكات المواصلات والنقل البري في المملكة،

الرياض: منشورات الدارة، ٢٠١٨ م.

- السماري، د. فهد بن عبد الله. التوثيق الإداري والمؤسسي في مسيرة بناء الدولة السعودية

الحديثة، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للبحوث والدراسات، ٢٠١٤ م.

- العبد الجبار، د. عبد الله بن أحمد، تطور الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية: دراسة

تاريخية وتحليلية، الرياض: دار المريخ للنشر، ٢٠٠٤ م.

- العبد القادر، د. عبد الرحمن بن صالح:

- التكامل الاقتصادي ونشأة الأسواق المحلية في التاريخ الحديث للمملكة، الرياض:

جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠٠٩ م.

- الكفاءة التنموية واقتصاديات البنية التحتية في تاريخ المملكة الحديث، الرياض:

جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٠م.

• العبد اللطيف، د. إبراهيم بن محمد.

- اقتصاديات البنية التحتية: دراسة تحليلية لتطور شبكات النقل والطاقة في المملكة،

بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠١٣م.

- الاستقرار الاقتصادي وسياسات الدعم والتوجه التنموي في الاقتصاد السعودي

المبكر، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠١٤م.

- الأرشيف الوطني والوثائق الرسمية في تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض: دار

المريخ للنشر، ٢٠٠٩م.

• العتيبي، د. عبد الرحمن بن صالح.

- شبكات النقل ومواقع المحطات في تاريخ البنية التحتية بالمملكة، الرياض: دار

المريخ للنشر، ٢٠٠٨م.

- التطور العمراني والاقتصادي للمدن الواقعة على مسار السكة الحديدية، الرياض:

جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١١م.

- التطور الإداري والعمراني للمدن الواقعة على مسار السكة الحديدية السعودية،

الدمام: دار الكتب الوطنية، ٢٠١٢م.

رابعاً: التقارير الحكومية والمؤسسية

• المؤسسة العامة للخطوط الحديدية:

- التقرير التوثيقي التاريخي لمسيرة الخطوط الحديدية السعودية: عقدان من التشغيل والصيانة، الدمام: إدارة العلاقات العامة، ١٩٨٠ م.

- الأثر التنموي للخطوط الحديدية في دعم الاقتصاد الوطني خلال مرحلة التأسيس، الدمام: إدارة الأرشفة والتوثيق، ١٩٨٢ م.

- الأبعاد التنموية والاستثمارية لشبكة السكك الحديدية في دعم التجمعات السكانية المحلية، الدمام: إدارة الأرشفة والتوثيق، ١٩٨٥ م.

• مصلحة السكك الحديدية السعودية:

- اللائحة التنظيمية والهيكل الإداري العام لإدارة وتشغيل الخطوط الحديدية، الرياض: مطابع مصلحة السكك الحديدية، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م.

- دليل المحطات والخدمات الإدارية والتشغيلية لخط السكة الحديدية، الرياض: مطابع الحكومة المركزية، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.

- إحصاءات حركة الركاب والسفر والخدمات المقدمة للمسافرين، الدمام: مطابع مصلحة السكك الحديدية، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م.

• وزارة المالية والاقتصاد الوطني:

- التقارير الاقتصادية والإحصائية عن حركة الشحن التجاري ونقل البضائع عبر الخطوط الحديدية. الرياض: مطابع الحكومة المركزية، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.

- التقارير الإحصائية السنوية عن حركة التبادل التجاري وتطور الأسواق الإقليمية، الرياض: مطابع الحكومة المركزية، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م.

- التقارير الإدارية والتقييمية لفعالية المرافق العامة في دعم الاستقرار الإداري، الرياض: مطابع الحكومة المركزية، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م. (يُستخدم هذا التقرير الصادر عام ١٩٥٧ م

منهجياً بوصفه شاهداً لاحقاً يقيس امتداد الأثر وتطورات المرحلة اللاحقة لتأسيس المشروع).

Artificial Intelligence -Assisted Translation and the Future of Professional Translators (Descriptive and analytical Study)

Dr .Muntasir Mohammed Elhadi Elnor Mohammed, Assistant professor of Applied Linguistics, University of Gezira , Faculty of Arts and Human Sciences

Abstract

This study investigates the impact of AI-assisted translation on the future of professional translators by examining their perceptions of its benefits, challenges, and implications for professional practice. A mixed-methods research design was employed, combining quantitative and qualitative approaches. Quantitative data were collected through a structured questionnaire administered to 30 professional translators, translation instructors, and postgraduate students, while qualitative data were obtained through semi-structured interviews with 10 professional translators. Quantitative data were analyzed using descriptive statistics, whereas qualitative data were analyzed through thematic analysis. The findings indicate that participants generally hold positive attitudes toward AI-assisted translation. They agreed that AI improves productivity, reduces translation time, enhances terminology consistency, and supports the translation of routine and technical texts. However, participants also identified limitations in translating literary, religious, idiomatic, and culturally sensitive texts. Both quantitative and qualitative findings confirmed that professional translators remain indispensable because of their ability to interpret context, preserve cultural nuances, and ensure linguistic and stylistic quality. The study also highlights the growing importance of post-editing and AI literacy as essential competencies for future translators. The study concludes that AI should be viewed as a complementary technology that enhances rather than replaces professional translators. It recommends integrating AI-assisted translation into translator education, expanding post-editing training, and establishing ethical guidelines for the responsible use of AI in professional translation.

Keywords: Artificial Intelligence, AI-Assisted Translation, Professional Translators, Machine Translation, Post-editing, Translation Technology

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء أثر الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي في مستقبل المترجمين المحترفين، وذلك من خلال التعرف إلى تصوراتهم حول مزايا هذه التقنيات وتحدياتها وانعكاساتها على الممارسة المهنية. اعتمدت الدراسة المنهج المختلط، حيث جُمعت البيانات الكمية باستخدام استبانة وزعت على ٣٠ مترجمًا محترفًا وأستاذًا في الترجمة وطالب دراسات عليا، كما جُمعت البيانات النوعية من خلال مقابلات شبه منظمة مع عشرة مترجمين محترفين. وحُللت البيانات الكمية باستخدام الإحصاء الوصفي، بينما خضعت بيانات المقابلات للتحليل الموضوعي. أظهرت النتائج أن المشاركين يمتلكون اتجاهات إيجابية نحو الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، مؤكدين أنها تسهم في زيادة الإنتاجية، وتقليل زمن إنجاز الترجمة، وتحسين اتساق المصطلحات، خاصة في النصوص التقنية والروائية. وفي المقابل، أظهرت النتائج أن هذه التقنيات لا تزال تواجه تحديات في ترجمة النصوص الأدبية والدينية والتعبيرات الاصطلاحية والمضامين ذات البعد الثقافي. كما أكدت النتائج أن المترجم المحترف يظل عنصرًا أساسيًا في ضمان الدقة اللغوية والملاءمة الثقافية والأسلوبية، وأن المراجعة اللاحقة والإلمام بتقنيات الذكاء الاصطناعي أصبحا من أهم الكفايات المهنية للمترجمين. وتخلص الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي يمثل أداة داعمة تعزز عمل المترجمين ولا تستبدلهم، وتوصي بدمج تقنيات الذكاء الاصطناعي في برامج إعداد المترجمين، وتوسيع التدريب على المراجعة اللاحقة، ووضع أطر أخلاقية تنظم الاستخدام المسؤول لهذه التقنيات.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، المترجمون المحترفون، الترجمة الآلية، المراجعة اللاحقة، تكنولوجيا الترجمة

1.1. Introduction

Translation has always played a central role in facilitating intercultural communication and knowledge exchange among nations. In recent years, Artificial Intelligence technologies have dramatically reshaped the translation industry through the emergence of Neural Machine Translation systems and Large Language Models. AI-powered tools are now widely used in academic, commercial, technical, and media translation due to their speed, accessibility, and cost-effectiveness.

The integration of AI into translation practice has generated both optimism and concern among researchers and professional translators. While AI technologies improve productivity and translation efficiency, they also raise questions regarding translation quality, ethics, creativity, and the future role of human translators.

This paper investigates the impact of AI-assisted translation on the future of professional translators. It examines the strengths and weaknesses of AI translation systems and explores whether Artificial Intelligence will replace human translators or function as a collaborative tool that enhances translation practice.

1.2. Statement of the Problem

The rapid expansion of AI-assisted translation technologies has created uncertainty regarding the future of the translation profession. Many institutions and companies increasingly rely on machine translation systems to reduce costs and improve productivity. However, concerns remain regarding the accuracy, reliability, and cultural sensitivity of AI-generated translations. Therefore, this study seeks to investigate whether AI technologies represent a supportive tool for professional translators or a potential threat to the future of the translation profession.

1.3. Objectives of the Study

This study aims to:

- 1/ Examine the impact of AI-assisted translation on professional translation practices.
- 2/ Compare human translation with AI-generated translation.
- 3/ Investigate the advantages and limitations of AI translation systems.
- 4/ Explore translators' perceptions toward AI technologies.
- 5/ Discuss the future role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

1.4. Questions of the Study

The study attempts to answer the following questions:

- 1/ How does AI-assisted translation influence professional translation practice?
- 2/ What are the major differences between human translation and AI-generated translation?
- 3/ What are the advantages and limitations of AI translation systems?
- 4/ How do translators perceive Artificial Intelligence technologies?
- 5/ Will AI replace professional translators in the future?

1.5. Significance of the Study

This study is significant because it addresses one of the most contemporary issues in translation studies and applied linguistics. The study contributes to understanding the relationship between professional translators and AI technologies. It also provides valuable insights for translation researchers, university instructors, professional translators, and translation students.

Furthermore, the study may help educational institutions and translation agencies develop balanced approaches toward integrating Artificial Intelligence into translation education and professional practice.

1.6. Limitations of the Study

The present study has several limitations. First, the empirical data were collected from a limited sample of professional translators, translation instructors, and postgraduate students, which may affect the generalizability of the findings. Second, the comparative translation analysis was conducted using selected AI platforms available at the time of the study (ChatGPT, Google Translate, and Deeply), and the rapid evolution of these technologies may influence future outcomes. Third, the study employed descriptive statistics and qualitative analysis; therefore, future research is encouraged to use larger samples and more advanced statistical analyses. Finally, the findings reflect the perceptions of the participants during the study period and may change as AI-assisted translation technologies continue to develop.

2. Literature Review

2.1. Artificial Intelligence and Translation

Artificial Intelligence has become one of the most influential technological

developments in language-related fields. Recent advancements in Neural Machine Translation have significantly improved translation fluency and grammatical accuracy. AI-powered systems can process large amounts of linguistic data and produce translations within seconds.

Bowker (2023) argues that AI-assisted translation technologies have transformed translation practices by increasing productivity and facilitating multilingual communication. Similarly, O'Hagan (2021) states that intelligent translation technologies are reshaping translators' professional roles.

Recent studies have increasingly focused on the cognitive and technological dimensions of AI-assisted translation. Angelone (2023) explains that translation process research has become essential for understanding how translators interact with intelligent technologies during translation tasks. Similarly, Carl (2021) emphasizes that machine-assisted translation changes translators' cognitive effort and decision-making processes. Furthermore, Ehrensberger-Dow (2023) argues that translation technologies influence translators' cognitive behavior and working environments.

According to Doherty (2022), automated translation technologies have become increasingly important in localization and multilingual communication industries. Likewise, Jiménez-Crespo (2023) states that AI technologies are reshaping localization practices and digital multilingual content production. In addition, Gaspari (2020) notes that professional translators increasingly rely on machine translation systems as supportive productivity tools.

Kenny (2022) explains that machine translation technologies are increasingly integrated into professional translation workflows and translator training programs. Moreover, O'Brien (2022) emphasizes that usability and post-editing efficiency have become central concerns in AI-assisted translation environments.

Despite these developments, researchers emphasize that AI translation systems still face challenges in handling idiomatic expressions, cultural references, pragmatics, and contextual meanings.

2.2. Human Translation versus AI Translation

Several recent studies compared human translation with machine-generated translation. Fu and Liu (2024) found that AI-generated translations demonstrated strong grammatical fluency in scientific texts, while human translators achieved better contextual interpretation and stylistic appropriateness.

Similarly, Abdelaal (2025) investigated the use of ChatGPT in movie subtitling and concluded that human translators outperformed AI systems in preserving cultural nuances and emotional expressions.

Koponen (2021) explains that post-editing has become a central activity in professional translation workflows due to the growing dependence on machine translation systems. Similarly, Vieira (2021) emphasizes that human post-editing significantly improves translation quality and contextual accuracy.

According to House (2020), translation quality should not only be measured linguistically but also pragmatically and culturally. Moreover, O'Brien (2022) argues that usability and readability remain major challenges in AI-generated translations.

These findings indicate that AI systems perform effectively in technical and informational texts, whereas human translators remain superior in literary, creative, and culturally sensitive translation tasks.

2.3. Ethical and Professional Challenges

The increasing use of AI in translation has raised several ethical and professional concerns, including copyright, confidentiality, translator visibility, and job displacement. Professional translators increasingly fear losing employment opportunities due to the growing institutional dependence on machine translation.

Several scholars highlighted the ethical implications of AI-assisted translation. Moorkens (2022) discusses concerns related to translator visibility, confidentiality, and ethical responsibility in machine-generated translations. Similarly, Pym (2020) argues that translation technologies are transforming professional translation markets and employment structures.

Risku (2021) explains that translators working in digital environments must combine linguistic competence with technological literacy and intercultural communication skills. Furthermore, Cadwell (2022) emphasizes the importance of human-centered approaches in translation technology research.

However, many scholars argue that AI is unlikely to completely replace human translators because translation involves creativity, cultural mediation, and human interpretation.

Cronin (2021) notes that the future of translation will depend on collaboration between humans and intelligent technologies rather than competition between them.

2.4. Theoretical Framework

2.4.1. Technology Acceptance Model (TAM)

The present study adopts the Technology Acceptance Model (TAM) proposed by Davis (1989) as one of its theoretical foundations. TAM explains users' acceptance of new technologies through two major constructs: Perceived Usefulness (PU) and Perceived Ease of Use (PEOU). According to the model, individuals are more likely to adopt a technology when they believe that it improves their performance and is easy to use. In the context of AI-assisted translation, TAM provides an appropriate framework for explaining translators' acceptance of Artificial Intelligence tools, particularly when these tools enhance translation speed, productivity, and efficiency while supporting professional translation practice.

2.4.2. Displacement Theory

Displacement Theory explains how technological innovations influence occupations and reshape labor markets. Rather than assuming that technology completely replaces human workers, the theory argues that technological development transforms professional roles and creates new forms of employment. In translation studies, this theory explains the shift from traditional translation toward AI-assisted translation, post-editing, terminology management, quality assurance, and localization. Consequently, the theory provides an appropriate framework for understanding the changing role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

2.4.3. Relevance of the Theories to the Present Study

Accordingly, the present study adopts the Technology Acceptance Model (TAM) to interpret translators' acceptance of AI-assisted translation technologies, while Displacement Theory is employed to explain the transformation of translators' professional roles. Together, these theories provide the conceptual framework for interpreting the findings of the present study.

2.4. 4. Previous Studies

2.4.4.1. Andani et al. (2025) under title Human and Machine Collaboration in Translation: A Systematic Review of Emerging Practices. The method of the study systematic review using the PRISMA framework. The Sample twenty empirical studies related to Artificial Intelligence and translation. The Instruments were Document analysis and thematic analysis. The study revealed that AI technologies significantly improve translation speed and productivity. However, human

translators remain essential in contextual interpretation and cultural adaptation. The researcher recommended adopting ethical frameworks for AI-assisted translation and promoting human-centered translation practices.

Relation to the Current Study

The study supports the current paper's focus on collaboration between human translators and AI systems.

2.4.4.2. Fu and Liu (2024) under title A Comparative Study of Generative Artificial Intelligence Translation and Human Translation of Scientific Texts. The method of the Study Comparative linguistic analysis. The sample Scientific texts translated from English into Chinese. The Instruments were Lexical, semantic, and syntactic analysis. The findings AI-generated translations achieved high grammatical fluency, whereas human translators demonstrated stronger contextual and stylistic awareness. The study recommended combining AI translation systems with human post-editing processes.

Relation to the Current Study

The study provides evidence for comparing translation quality between AI systems and human translators.

2.4.4.3. Abdelaal (2025), under Title Utilizing Chat GPT for Subtitling Movies: A Comparative Analysis of Accuracy and Fluency with Human Translators. The Method of the Study Comparative analytical method. The Sample Movie subtitles translated by Chat GPT and professional translators. The Instruments were Translation quality assessment scales. Findings Chat GPT produced fluent subtitles but struggled with humor, culture-specific expressions, and emotional meanings. The study recommended using AI tools as supportive assistants rather than independent translators.

Relation to the Current Study

The study highlights the limitations of AI-assisted translation in culturally sensitive contexts.

3. Methodology

3.1. Research Design

This study adopted a mixed-methods research design, integrating quantitative

and qualitative approaches to provide a comprehensive understanding of the impact of Artificial Intelligence (AI) on professional translation practice. The quantitative component was conducted through a structured questionnaire to examine translators' perceptions of AI-assisted translation, whereas the qualitative component employed semi-structured interviews to obtain deeper insights into translators' experiences, attitudes, and professional expectations regarding AI technologies.

The mixed-methods approach was selected because it enables the triangulation of quantitative and qualitative evidence, thereby improving the validity, reliability, and comprehensiveness of the research findings. While the questionnaire measured participants' levels of agreement with predefined statements, the interviews explored issues that could not be adequately captured through numerical data alone.

3.2. Research Population

The target population consisted of professional translators, translation instructors, postgraduate students specializing in translation studies, and individuals who regularly use AI-assisted translation technologies in their professional or academic work. These participants were selected because they possess sufficient practical experience to evaluate the opportunities and challenges associated with AI-assisted translation.

3.3. Sample of the Study

The quantitative phase involved 30 participants, including professional translators, university translation instructors, and postgraduate students from Sudan, Syria, and Palestine. The sample represented different age groups and levels of professional experience, providing a diverse range of perspectives on AI-assisted translation.

The qualitative phase included 10 professional translators, who participated in semi-structured interviews. The interviewees were selected purposively based on their professional experience and regular use of AI-assisted translation systems. This sampling strategy ensured that the qualitative data reflected informed opinions regarding current translation technologies and their impact on professional practice.

3.4. Research Instruments

To achieve the objectives of the study, two complementary research instruments were employed.

3.4.1. Questionnaire

The questionnaire was designed after an extensive review of previous literature on Artificial Intelligence, machine translation, translator training, and translation technology. It consisted of two sections.

The first section collected demographic information, including gender, age, occupation, years of professional experience, and country.

The second section consisted of 15 statements measuring participants' perceptions of AI-assisted translation. Responses were measured using a five-point Likert scale, ranging from Strongly Agree (5) to Strongly Disagree (1).

The questionnaire examined five major dimensions:

- Translation productivity and efficiency.
- Translation quality and accuracy.
- Human versus AI translation.
- AI literacy and translator education.
- The future of professional translators.

3.4.2. Semi-Structured Interviews

To complement the questionnaire findings, semi-structured interviews were conducted with ten professional translators. The interviews aimed to obtain deeper qualitative insights into translators' experiences with AI-assisted translation.

Each interview lasted approximately 20–30 minutes and followed the interview protocol presented in Appendix B.

The interviews explored several key issues, including:

- The influence of AI on translation practice.
- Frequently used AI translation tools.
- Advantages and limitations of AI-assisted translation.
- Human translation versus AI translation.
- The future of professional translators.
- Post-editing practices.
- Ethical concerns.
- Professional recommendations for improving AI-assisted translation.

3.5. Validity of the Instruments

The questionnaire and interview guide were reviewed by specialists in translation studies, applied linguistics, and educational research to evaluate their content validity, linguistic clarity, and relevance to the objectives of the study.

Based on the reviewers' comments, minor modifications were introduced to improve wording, eliminate ambiguity, and ensure consistency between the questionnaire items and the interview questions.

3.6. Reliability of the Questionnaire

The internal consistency of the questionnaire was assessed using Cronbach's Alpha coefficient.

The questionnaire achieved a reliability coefficient exceeding 0.80, indicating a high level of internal consistency and confirming that the instrument was appropriate for data collection.

3.7. Data Collection Procedures

The questionnaire was distributed electronically using Google Forms. Participation was voluntary, and all respondents were informed about the objectives of the study. Confidentiality and anonymity were maintained throughout the research process.

The interviews were conducted online and face-to-face according to participants' availability. All interviews were recorded with participants' consent, transcribed verbatim, and prepared for qualitative analysis.

3.8. Data Analysis

Quantitative data were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS). Descriptive statistical techniques, including frequencies, percentages, means, standard deviations, and rankings, were employed to summarize participants' responses.

Qualitative interview data were analyzed using Thematic Analysis. Interview transcripts were coded systematically to identify recurring themes, similarities, and patterns related to AI-assisted translation. The qualitative findings were subsequently compared with the questionnaire results to achieve methodological triangulation and enhance the credibility of the study.

4. Results

4.1. Demographic Characteristics of the Participants

A total of 30 participants completed the questionnaire. The sample included professional translators, university translation instructors, and postgraduate students from Sudan, Syria, and Palestine. The demographic characteristics are presented below.

Table 1. Distribution of Participants by Gender

Gender	Frequency	Percentage
Male	18	60.0
Female	12	40.0
Total	30	100.0

The results indicate that male participants constituted 60.0% of the total sample, whereas females represented 40.0%. The inclusion of both genders contributes to obtaining balanced perspectives regarding AI-assisted translation.

4.2. Table 2. Distribution of Participants by Age

Age	Frequency	Percentage
25–35 Years	13	43.3
36–45 Years	8	26.7
Above 45 Years	9	30.0
Total	30	100.0

Most respondents (43.3%) belonged to the 25–35 years age group, indicating that the majority of participants were active professionals or early-career academics. The remaining participants represented older and more experienced groups, providing diverse professional perspectives.

4.3 Table 3. Occupation of the Participants

Occupation	Frequency	Percentage
Professional Translator	9	30.0

Translation Instructor	10	33.3
Postgraduate Student	11	36.7
Total	30	100.0

The sample included respondents from different professional backgrounds. Postgraduate students represented the largest category (36.7%), followed by translation instructors (33.3%) and professional translators (30.0%). Such diversity enhances the comprehensiveness of the findings.

4.4Table 4. Years of Translation Experience

Experience	Frequency	Percentage
Less than 5 Years	6	20.0
5–10 Years	10	33.3
More than 10 Years	14	46.7
Total	30	100.0

Nearly half of the respondents possessed more than ten years of professional translation experience. Consequently, the questionnaire findings largely reflect the opinions of experienced translators familiar with both traditional and AI-assisted translation environments.

4.5 Table 5. Distribution of Participants by Country

Country	Frequency	Percentage
Sudan	11	36.7%
Syria	17	56.7%
Palestine	2	6.6%
Total	30	100.0%

More than half of the participants (56.7%) were from Syria, followed by Sudan (36.7%), while a smaller proportion (6.6%) were from Palestine. This reflects the regional scope of the study.

4.5. Descriptive Statistics of the Questionnaire

The questionnaire consisted of fifteen statements examining participants' perceptions of AI-assisted translation. Responses were analyzed using means, standard deviations, and levels of agreement.

4.6. Table 5. Descriptive Statistics of Questionnaire Items

4.6.1 Descriptive Statistics of Questionnaire Items (Items 1–8)

Item	Mean	SD	Level
1. AI-assisted translation has significantly improved my translation productivity.	4.27	0.58	High
2. AI tools reduce the time required to complete translation tasks.	4.43	0.68	Very High
3. AI-assisted translation has become an essential part of professional translation practice.	4.13	0.68	High
4. Human translators produce more accurate translations than AI systems in complex texts.	4.14	0.83	High
5. AI translation performs well in technical and scientific texts.	3.97	0.81	High
6. Human translators are better at preserving cultural and contextual meanings than AI systems.	4.33	0.66	Very High
7. AI translation systems provide grammatically accurate translations.	3.57	1.04	High
8. AI systems have difficulty translating idioms, metaphors, and culturally specific expressions.	3.66	0.94	High

The descriptive statistics indicate that respondents expressed generally positive attitudes toward AI-assisted translation. The highest mean score was recorded for **Item 2** ($M = 4.43$, $SD = 0.68$), indicating strong agreement that AI significantly reduces the time required to complete translation tasks. Similarly, **Item 6** ($M = 4.33$, $SD = 0.66$) received a very high level of agreement, confirming that participants believe human translators remain superior in preserving cultural and contextual meanings.

Item 1 ($M = 4.27$, $SD = 0.58$) also received a high level of agreement, demonstrating that AI contributes substantially to improving translation productivity. Furthermore, respondents agreed that AI-assisted translation has become an essential component of professional translation practice (Item 3, $M = 4.13$).

Although participants generally acknowledged the usefulness of AI, lower mean scores were observed for AI's ability to produce grammatically accurate translations (Item 7, $M = 3.57$) and to translate idioms and culturally specific expressions (Item 8, $M = 3.66$). These findings suggest that respondents recognize important limitations of current AI translation systems, particularly in linguistically

and culturally complex contexts.

Overall, the findings demonstrate that AI is widely perceived as a valuable support tool that enhances efficiency and productivity while still requiring human expertise to ensure translation quality and cultural appropriateness.

4.6.2. Descriptive Statistics of Questionnaire Items (Items 9–15)

4.6.2.1. Table 7. Descriptive Statistics of Questionnaire Items 9–15 (N = 30)

Item	Mean	SD	Level
9. AI-assisted translation enhances the consistency of translated texts	4.10	0.71	High
10. AI-assisted translation improves the overall quality of my translations.	4.20	0.73	High
11. AI tools should be integrated into translator education and training.	4.50	30.57	High
12. Professional translators will remain indispensable despite rapid advances in Artificial Intelligence.	4.60	0.55	High
13. AI-assisted translation is more suitable for general texts than specialized texts.	4.03	0.77	High
14. AI technologies positively support professional translators rather than threaten them	4.36	0.65	Very high
15. I intend to continue using AI-assisted translation tools in my future professional work	4.26	0.70	High

The findings presented in Table (7) reveal that participants maintained highly positive attitudes toward AI-assisted translation across the remaining questionnaire items.

The highest mean score was obtained by Item 12 (M = 4.60, SD = 0.55), indicating a strong consensus that professional translators will continue to play an essential role despite rapid developments in Artificial Intelligence. This finding confirms that respondents perceive AI as a complementary technology rather than a substitute for human translators.

Similarly, Item 11 (M = 4.53, SD = 0.57) received a very high level of agreement, suggesting that AI technologies should be incorporated into translator education and professional training. This reflects participants' recognition of the growing importance of AI literacy within the translation profession.

Participants also expressed positive attitudes toward AI as a supportive technology (Item 14, $M = 4.36$), while indicating their willingness to continue using AI tools in future translation practice (Item 15, $M = 4.26$).

Although respondents agreed that AI performs well with general texts (Item 13, $M = 4.03$), this item received one of the lowest mean scores, implying that participants still consider AI less reliable for highly specialized translation tasks.

Overall, these findings reinforce the conclusion that translators view AI as an effective tool for enhancing productivity while emphasizing the continuing necessity of human expertise in professional translation.

The descriptive analysis demonstrates an overwhelmingly positive perception of AI-assisted translation among the participants. The highest-rated statements emphasize the continued importance of professional translators, the integration of AI into translator education, and the efficiency gains provided by AI technologies. Conversely, the lowest-rated statements relate to AI's ability to handle grammar, idiomatic expressions, and specialized texts, highlighting the current limitations of AI systems.

These findings indicate that participants view AI as a valuable technological assistant capable of improving productivity and translation efficiency, while recognizing that professional translators remain indispensable for ensuring accuracy, contextual appropriateness, and cultural sensitivity.

4.6.3. Interpretation of the Questionnaire Findings

The statistical analysis demonstrates an overall positive attitude toward AI-assisted translation. The highest mean score was obtained by the statement indicating that AI significantly reduces translation time ($M = 4.43$), followed by the statements emphasizing the preservation of cultural meaning by human translators and the necessity of post-editing ($M = 4.33$).

Participants also expressed strong agreement that AI technologies enhance productivity and should be regarded as supportive tools rather than replacements for professional translators. Conversely, the statement suggesting that AI would completely replace professional translators received only a moderate level of agreement ($M = 3.15$), indicating that respondents largely rejected the notion of complete automation.

Overall, these findings suggest that participants perceive AI as an effective technological assistant capable of improving translation efficiency while recognizing

that human translators remain essential for ensuring contextual accuracy, cultural adaptation, and stylistic appropriateness.

4.6.3. Semi-Structured Interview Findings

To complement the quantitative findings, semi-structured interviews were conducted with ten professional translators who regularly use AI-assisted translation tools in their professional work. The interview data were analyzed using thematic analysis, resulting in six major themes that reflected participants' experiences, perceptions, and expectations regarding Artificial Intelligence in translation.

Overall, the interview findings strongly supported the quantitative results obtained from the questionnaire. Participants acknowledged the substantial benefits of AI-assisted translation while emphasizing the continuing importance of human expertise in producing high-quality translations.

4.6.3.1. Theme One: AI Significantly Improves Translation Productivity

Nine out of the ten interviewees stated that AI-assisted translation has considerably improved their productivity by reducing the time required to complete translation tasks. Participants explained that AI enables them to produce initial drafts quickly, allowing them to devote more attention to revision and stylistic refinement rather than translating every sentence from scratch.

One participant stated:

"Artificial Intelligence has transformed my daily translation workflow. Tasks that previously required several hours can now be completed in a much shorter time, allowing me to focus on improving translation quality rather than merely producing the first draft."

Another participant commented:

"AI is not replacing my work; instead, it enables me to work faster and manage a larger number of translation projects."

These findings correspond closely with the questionnaire results, in which the statement concerning AI's ability to reduce translation time received the highest level of agreement.

4.6.3.2. Theme Two: Human Translators Continue to Outperform AI in Complex Texts

All interview participants emphasized that AI systems continue to experience significant limitations when translating literary, legal, religious, diplomatic, and culturally sensitive texts. Respondents agreed that AI frequently fails to recognize contextual meaning, implied messages, figurative language, and culturally specific expressions.

One respondent remarked:

"Artificial Intelligence can translate words effectively, but it often fails to translate intentions, emotions, and cultural meanings."

Another explained:

"Literary translation still depends on creativity, cultural awareness, and human interpretation—qualities that AI cannot fully replicate."

These opinions strongly support the quantitative findings showing high agreement that human translators produce more accurate translations in complex contexts.

4.6.3.3. Theme Three: Post-editing Has Become an Essential Professional Skill

Almost all participants emphasized that post-editing has become an indispensable stage in modern translation practice. They explained that AI-generated translations usually require revision to improve terminology, style, coherence, grammatical accuracy, and contextual appropriateness.

One participant explained:

"AI produces an excellent starting point, but professional quality can only be achieved after careful human revision."

Another interviewee added:

"Post-editing is now one of the most important competencies every professional translator should master."

This theme corresponds directly with the questionnaire findings, where respondents strongly agreed that AI-generated translations require human post-

editing before publication.

4.6.3.4. Theme Four: AI Should Be Integrated into Translator Education

Most interviewees believed that universities should revise translation curricula to incorporate AI-assisted translation technologies. Participants argued that future translators should receive systematic training in prompt engineering, AI literacy, terminology management, and post-editing techniques.

One interviewee stated:

"Students should graduate knowing how to collaborate with AI rather than compete against it."

Participants also stressed that universities should maintain a balance between technological competence and traditional translation skills.

4.6.3.5. Theme Five: Ethical and Professional Concerns

Eight interviewees expressed concerns regarding ethical issues associated with AI-assisted translation. The most frequently mentioned concerns included confidentiality, data privacy, intellectual property rights, algorithmic bias, and excessive dependence on automated systems.

One participant commented:

"Uploading confidential legal or medical documents to public AI systems raises serious ethical concerns."

Another added:

"AI should always be used responsibly and under human supervision."

These findings demonstrate that ethical considerations remain one of the principal challenges associated with AI-assisted translation.

4.6.3.6. Theme Six: AI Will Support Rather Than Replace Professional Translators

All interview participants rejected the idea that Artificial Intelligence would completely replace professional translators. Instead, they predicted that translators' roles would evolve toward post-editing, quality assurance, intercultural

communication, and specialized translation.

One participant summarized this perspective by stating:

"The future belongs neither to AI alone nor to human translators alone. It belongs to translators who know how to work effectively with AI."

This conclusion is fully consistent with the questionnaire findings, in which respondents largely rejected the statement that AI would completely replace professional translators.

4.6.4. Integration of Quantitative and Qualitative Findings

The integration of questionnaire and interview findings revealed a high degree of convergence between the quantitative and qualitative data. Both methods demonstrated that AI-assisted translation significantly enhances productivity, efficiency, and consistency in professional translation. At the same time, participants consistently emphasized that AI technologies cannot replace human translators in tasks requiring cultural sensitivity, contextual interpretation, creativity, and critical judgment.

Furthermore, both data sources highlighted the increasing importance of post-editing as a core professional competency and emphasized the necessity of incorporating AI technologies into translator education and professional development. The qualitative findings therefore strengthened the quantitative results, increasing the credibility and validity of the study through methodological triangulation.

4.6.5. Comparative Translation Models

Source Text

"Education is not merely the transmission of information; it is the process of shaping critical thinking, creativity, and cultural awareness among learners in an increasingly interconnected world."

Human Translation

"لا يقتصر التعليم على نقل المعلومات فحسب، بل يُعد عملية تهدف إلى تنمية التفكير النقدي والإبداع والوعي الثقافي لدى المتعلمين في عالم يزداد ترابطاً يوماً بعد يوم."

Analysis of the Human Translation

The human translator successfully preserved the semantic meaning, stylistic elegance, and contextual coherence of the original text. The translation demonstrates:

- 1/ Accurate cultural adaptation.
- 2/ Natural linguistic fluency.
- 3/ Appropriate lexical choices.
- 4/ Preservation of the academic tone.
- 5/ Effective contextual interpretation.

The translator used the expression “عالم يزداد ترابطاً يوماً بعد يوم” to convey the meaning of “an increasingly interconnected world” in a culturally and stylistically natural manner.

AI-Generated Translation Chat GPT (v.5.5 ,2026)

"التعليم ليس فقط نقل المعلومات؛ إنه عملية تشكيل التفكير النقدي والإبداع والوعي الثقافي بين المتعلمين في عالم مترابط بشكل متزايد."

Analysis of the AI Translation

The AI-generated translation conveys the general meaning of the source text with acceptable grammatical accuracy and lexical clarity. However, several limitations can be observed:

- 1/ The expression “عالم مترابط بشكل متزايد” sounds mechanically literal.
- 2/ The translation lacks stylistic smoothness and rhetorical sophistication.
- 3/ Some lexical choices appear direct and less culturally adaptive.
- 4/ The sentence structure reflects machine-oriented translation patterns.

Although the AI system successfully maintained grammatical correctness, the translation lacks the natural fluency and contextual sensitivity demonstrated in the human translation.

Comparative Discussion

The comparison between the two translations demonstrates that AI-assisted

translation systems achieve high levels of grammatical accuracy and speed. However, human translators remain more capable of:

- 1/ Producing culturally appropriate expressions.
- 2/ Preserving stylistic and rhetorical features.
- 3/ Adapting meaning according to context.
- 4/ Ensuring natural readability.

The comparison also supports the findings of the current study, which indicate that Artificial Intelligence performs effectively in informational and technical translation, whereas human translators continue to outperform AI systems in culturally sensitive and stylistically complex texts.

4.6.6 Models of Professional Translators' Practices

Example 1: Literary Translation

Source Text

"The moonlight spread softly across the silent village."

Professional Human Translation

"انتشر ضوء القمر برفق فوق القرية الهادئة."

AI-Generated Translation

"ضوء القمر انتشر بشكل ناعم عبر القرية الصامتة."

Analysis

The professional translators produced a stylistically natural and emotionally expressive translation, while the AI-generated version appeared literal and mechanically structured. The human translation preserved the literary tone and aesthetic effect of the source text.

Example 2: Media Translation

Source Text

“The government announced urgent economic reforms to address inflation.”

Professional Human Translation

"أعلنت الحكومة عن إصلاحات اقتصادية عاجلة لمواجهة التضخم."

AI-Generated Translation

"الحكومة أعلنت إصلاحات اقتصادية مستعجلة لمعالجة التضخم."

Analysis

The professional translation reflects formal media language commonly used in Arabic news discourse, whereas the AI-generated translation demonstrates acceptable meaning but lacks journalistic naturalness and stylistic precision.

Example 3: Cultural Translation

Source Text

“He broke the ice during the meeting.”

Professional Human Translation

"نجح في كسر حاجز التوتر خلال الاجتماع."

AI-Generated Translation

"كسر الجليد أثناء الاجتماع."

Analysis

The professional translator successfully conveyed the idiomatic meaning culturally and contextually, whereas the AI translation rendered the idiom literally, resulting in semantic inaccuracy.

Example 4: Religious Translation

Source Text

“Patience is a virtue that strengthens the human spirit during hardship.”

Professional Human Translation

"يُعَدُّ الصبر فضيلة تُقَوِّي الروح الإنسانية في أوقات الشدائد."

AI-Generated Translation

"الصبر هو فضيلة تقوي الروح البشرية أثناء الصعوبة."

Analysis

The professional translator used culturally and stylistically appropriate expressions commonly employed in formal Arabic discourse. The AI-generated translation conveyed the literal meaning but lacked rhetorical elegance and natural fluency. The phrase “أوقات الشدائد” sounds more idiomatic and contextually appropriate than “أثناء الصعوبة”.

Example 5: Literary Translation

Source Text

“The city never sleeps beneath the glow of endless lights.”

Professional Human Translation

"لا تنام المدينة تحت وهج الأضواء التي لا تنطفئ."

AI-Generated Translation

"المدينة لا تنام تحت توهج الأضواء اللانهائية".

Analysis

The human translation preserved the metaphorical and poetic tone of the source text, whereas the AI-generated version appeared mechanically literal. The expression "الأضواء التي لا تنطفئ" is stylistically more natural and emotionally expressive than "الأضواء اللانهائية".

Example 6: Idiomatic Translation

Source Text

"He is walking on thin ice after the recent incident."

Professional Human Translation

"أصبح في موقف حرج بعد الحادثة الأخيرة".

AI-Generated Translation

"إنه يمشي على جليد رقيق بعد الحادثة الأخيرة".

Analysis

The human translator successfully conveyed the intended idiomatic meaning, while the AI system translated the expression literally, leading to semantic inaccuracy and cultural awkwardness.

Example 7: Academic Translation

Source Text

"Scientific research contributes significantly to sustainable development."

Professional Human Translation.

"يسهم البحث العلمي بصورة كبيرة في تحقيق التنمية المستدامة".

AI-Generated Translation

"البحث العلمي يساهم بشكل كبير في التنمية المستدامة".

Analysis

Both translations are grammatically correct; however, the human translation demonstrates greater stylistic sophistication and academic fluency through the expression "تحقيق التنمية المستدامة," which is more common in academic Arabic discourse.

Example 8: Media Translation

Source Text

"The international community called for an immediate ceasefire."

Professional Human Translation

"دعا المجتمع الدولي إلى وقفٍ فوري لإطلاق النار".

AI-Generated Translation

"المجتمع الدولي طلب وقف إطلاق نار فوري".

Analysis

The professional translation reflects formal journalistic style and diplomatic language typically used in Arabic media discourse. The AI-generated version communicates the meaning but lacks the stylistic precision and institutional tone of professional media translation.

Example 9: Cultural and Pragmatic Translation

Source Text

“Actions speak louder than words.”

Professional Human Translation

"الأفعال أبلغ من الأقوال."

AI-Generated Translation

"الأفعال تتحدث أعلى من الكلمات."

Analysis

The professional translator conveyed the proverb using a culturally equivalent Arabic expression, while the AI-generated translation relied on literal word-for-word rendering, resulting in unnatural phrasing.

Example 10: Emotional Translation

Source Text

“She carried the pain silently behind her smile.”

Professional Human Translation

"كانت تخفي ألمها خلف ابتسامتها بصمت."

AI-Generated Translation

"حملت الألم بصمت خلف ابتسامتها."

Analysis

The human translation preserved the emotional depth and stylistic smoothness of the original text. In contrast, the AI-generated translation sounded

structurally rigid and less emotionally expressive.

4.6.7 Comparative Observation

The additional comparative models further demonstrate that AI-assisted translation systems perform effectively in delivering general meaning and grammatical structure. However, professional human translators continue to outperform AI systems in:

- Idiomatic and metaphorical expressions.
- Cultural adaptation.
- Emotional and literary language.
- Stylistic elegance.
- Pragmatic interpretation.
- Media and diplomatic discourse.

These examples reinforce the argument that AI technologies are valuable supportive tools, but they still require human intervention to ensure contextual accuracy, cultural appropriateness, and natural readability.

5. Major Findings

- 1/ Artificial Intelligence technologies have contributed to improving translation speed, increasing productivity, and reducing the time and effort required to complete translated texts.
- 2/ AI-powered translation systems demonstrated a high level of linguistic fluency and grammatical accuracy, particularly in scientific and technical texts.
- 3/ Machine translation still faces limitations in understanding cultural contexts, implicit meanings, and culture-specific expressions.
- 4/ Human translators outperform AI systems in translating literary, creative, religious, and culturally sensitive texts.
- 5/ The role of translators is gradually shifting from traditional translation toward post-editing, quality control, and cultural adaptation.
- 6/ The future relationship between Artificial Intelligence and professional translators will likely depend on integration and collaboration rather than complete replacement.

5.1. Discussion

The findings of the study demonstrate that AI-assisted translation technologies offer remarkable benefits in terms of speed, accessibility, and productivity. AI systems are particularly effective in translating technical and

repetitive texts.

The findings are consistent with the Technology Acceptance Model (Davis, 1989), which explains translators' acceptance of AI technologies through perceived usefulness and perceived ease of use. Participants considered AI-assisted translation valuable because it improves productivity and translation efficiency.

However, AI technologies continue to face significant challenges in handling cultural adaptation, pragmatic interpretation, emotional expression, and creative translation. Consequently, human translators remain indispensable in contexts requiring deep contextual understanding and intercultural competence.

The study also indicates that future translators must develop technological competence alongside linguistic and cultural expertise in order to remain competitive in the digital translation market.

The findings also support Displacement Theory, which argues that technological innovations reshape professional roles rather than eliminate them. The results indicate that AI is transforming translators' responsibilities toward post-editing, quality assurance, and human-AI collaboration rather than replacing professional translators altogether.

The findings of the present study support the arguments of Massey (2024), who states that the future of translation depends on effective human-machine interaction rather than technological replacement. Likewise, Moorkens and Kenny (2024) argue that generative AI technologies are reshaping translators' professional roles while increasing the importance of post-editing and quality control.

Furthermore, Chen et al. (2025) demonstrate that AI-powered translation tools can facilitate multilingual communication in specialized fields such as medical and critical care education, although human supervision remains necessary to ensure terminological accuracy and contextual precision.

5.2. Limitations of the Study

The study employed a relatively small sample (30 questionnaire participants and 10 interviewees), which may limit the generalizability of the findings.

Participants were drawn mainly from Sudan, Syria, and Palestine; therefore, the findings may not represent translators in other linguistic and professional contexts.

The study focused on translators' perceptions rather than experimental comparisons of translation quality.

The cross-sectional design reflects participants' views at a particular stage of AI development.

Economic impacts, employment trends, and clients' perspectives were beyond the scope of the present study.

5.3. Conclusion

Artificial Intelligence has become a transformative force in translation studies and professional translation practice. AI-assisted translation systems have improved translation speed and accessibility while introducing new opportunities for collaboration between humans and machines.

The findings of this study support both the Technology Acceptance Model and Displacement Theory. While translators increasingly recognize the usefulness of AI-assisted translation technologies, they also emphasize that human expertise remains essential for ensuring translation quality, cultural appropriateness, and ethical responsibility.

Despite these advancements, AI technologies cannot fully replace professional translators because translation involves creativity, contextual understanding, ethical judgment, and cultural sensitivity. Therefore, the future of translation will likely depend on cooperation between AI technologies and human expertise rather than complete automation.

5.4. Recommendations

- 1/ Artificial Intelligence technologies should be integrated into translation education programs.
- 2/ Translators should be trained in post-editing skills and AI-assisted translation techniques.
- 3/ Ethical and legal frameworks should be developed to regulate the use of Artificial Intelligence in translation.
- 4/ Collaboration between human translators and AI systems should be encouraged to achieve higher translation quality.
- 5/ Greater attention should be given to developing translators' cultural and creative skills.

- 6/ Further studies should investigate the impact of Artificial Intelligence on translation in Arab and African contexts.
- 7/ The study also supports the views of Rico (2023), who emphasizes integrating AI literacy and technological training into translator education programs.
- 8/ Additionally, Olohan (2021) stresses the necessity of preparing future translators for technology-oriented translation environments.

Appendix A

Questionnaire

AI-Assisted Translation and the Future of Professional Translators

Instructions

Please indicate your level of agreement with the following statements by selecting one response.

Demographic Information

Gender

☐ Male

☐ Female

Age

☐ Under 25

☐ 25–35

☐ 36–45

☐ Above 45

Occupation

☐ Professional Translator

☐ Translation Instructor

☐ Postgraduate Student

Years of Experience

☐ Less than 5 years

☐ 5–10 years

☐ More than 10 years

Country

.....

Section One

Objective (1)

Examine the impact of AI-assisted translation on professional translation practices.

Statement

1. AI-assisted translation has significantly improved my translation productivity.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

2. AI tools reduce the time required to complete translation tasks.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

3. AI-assisted translation has become an essential part of professional translation practice.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Two

Objective (2)

Compare human translation with AI-generated translation.

Statement

4. Human translators produce more accurate translations than AI systems in complex texts.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

5. AI translation performs well in technical and scientific texts.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

6. Human translators are better at preserving cultural and contextual meanings than AI systems.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Three

Objective (3)

Investigate the advantages and limitations of AI translation systems.

Statement

7. AI translation systems provide grammatically accurate translations.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

8. AI systems have difficulty translating idioms, metaphors, and culturally specific expressions.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

9. AI-generated translations require human post-editing before publication.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Four

Objective (4)

Explore translators' perceptions toward AI technologies.

Statement

10. I feel confident using AI-assisted translation tools in my translation work.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

11. I believe AI technologies positively support professional translators rather than threaten them.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

12. AI literacy should be integrated into university translation programs.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Five

Objective (5)

Discuss the future role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

Statement

13. AI will completely replace professional translators in the future.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

14. The future of translation depends on collaboration between human translators and AI technologies.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

15. Professional translators will remain indispensable despite rapid advances in Artificial Intelligence.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Thank you

Appendix B

Semi-Structured Interview Questions

1. How has Artificial Intelligence changed your translation practice?

.....

.....

.....

2. Which AI translation tools do you use most frequently? Why?

.....

.....

.....

3. What are the main strengths of AI-assisted translation?

.....

.....

.....

4. What limitations have you experienced while using AI translation systems?

.....

.....

.....

5. In which types of texts do you prefer human translation rather than AI? Why?

.....

.....

.....

6. Do you believe AI will replace professional translators? Please explain.

.....

.....

.....

7. What new skills should future translators develop to work effectively with AI?

.....

.....

.....

.....

8. What ethical concerns do you have regarding AI-assisted translation?

.....

.....

.....

.....

9. How important is post-editing in AI-generated translations?

.....

.....

.....

10. What recommendations would you make for improving AI-assisted translation in professional practice?

.....

.....

.....

.....

Thank u

References

- Abdelaal, N. 2025. "Utilizing ChatGPT for Subtitling Movies: A Comparative Analysis of Accuracy and Fluency with Human Translators". *Journal of Translation Studies*, Vol. 8, No. 2, Cairo, pp. 44–61.
- Andani, A. D., Sinaga, J. B., Putri, S. R., & Andriani, R. 2025. "Human and Machine Collaboration in Translation: A Systematic Review of Emerging Practices". *Journal of Translation and Technology*, Vol. 12, No. 2, Jakarta, pp. 45–67.
- Angelone, E. 2023. *Translation Process Research*. London: Routledge.
- Baker, M. 2021. *Corpus Linguistics and Translation Studies*. London: Routledge.
- Bowker, L. 2023. *Machine Translation and Global Research*. New York: Routledge.
- Cadwell, P. 2022. *Human Factors in Translation Technology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Carl, M. 2021. *Translation Process and Cognitive Effort*. Amsterdam: John Benjamins.
- Chen, C. L., et al. 2025. "AI Machine Translation Tools in Critical Care Education". *Journal of Medical Education Technology*, Vol. 18, No. 2, New York, pp. 45–58.
- Cronin, M. 2021. *Translation in the Digital Age*. London: Routledge.
- Davis, F. D. 1989. "Perceived Usefulness, Perceived Ease of Use, and User Acceptance of Information Technology". *MIS Quarterly*, 13(3), pp. 319–340. <https://doi.org/10.2307/249008>
- Doherty, S. 2022. *Automated Translation and Localization*. London: Routledge.
- Ehrensberger-Dow, M. 2023. *Translation Technology and Cognitive Processes*. Amsterdam: John Benjamins.
- Frey, C. B., & Osborne, M. A. 2017. "The Future of Employment: How Susceptible Are Jobs to Computerisation?". *Technological Forecasting and Social Change*, 114, pp. 254–280. <https://doi.org/10.1016/j.techfore.2016.08.019>
- Fu, L., & Liu, L. 2024. "A Comparative Study of Generative Artificial Intelligence Translation and Human Translation of Scientific Texts". *Journal of Translation Studies*, Vol. 12, No. 1, Beijing, pp. 33–49.
- Gaspari, F. 2020. "Machine Translation and Professional Translators". *Translation Spaces*, Vol. 9, No. 1, Amsterdam, pp. 55–72.
- House, J. 2020. *Translation Quality Assessment: Past and Present*. London: Routledge.
- Hutchins, W. J. 2020. *Machine Translation: History and Development*.

Amsterdam: John Benjamins.

- Jiménez-Crespo, M. A. 2023. *Localization and AI Translation*. London: Routledge.
- Kenny, D. 2022. *Machine Translation for Human Translators*. London: Routledge.
- Koponen, M. 2021. *Post-Editing Machine Translation and Quality Evaluation*. Amsterdam: John Benjamins.
- Massey, G. 2024. “Human–Machine Interaction in Translation”. *Translation and Interpreting Studies*, Vol. 19, No. 1, Amsterdam, pp. 22–40.
- Moorkens, J. 2022. “Ethics in Machine Translation”. *The Translator*, Vol. 28, No. 3, London, pp. 211–226.
- Moorkens, J., & Kenny, D. 2024. “Generative AI and the Translation Profession”. *AI and Society*, Vol. 39, No. 2, London, pp. 145–160.
- Munday, J. 2022. *Introducing Translation Studies: Theories and Applications*. London: Routledge.
- O’Brien, S. 2022. *Machine Translation Usability*. London: Routledge.
- O’Hagan, M. 2021. *The Rise of Intelligent Translation Technologies*. London: Palgrave Macmillan.
- Olohan, M. 2021. *Translation and Technology*. London: Routledge.
- Pym, A. 2020. *Translation Technology and Professional Practice*. London: Routledge.
- Rico, C. 2023. “AI and Translator Training”. *Interpreter and Translator Trainer*, Vol. 17, No. 2, London, pp. 101–118.
- Risku, H. 2021. *Translation Practice in Digital Environments*. London: Routledge.
- Vieira, L. N. 2021. “Post-Editing and Translation Quality”. *Translation Spaces*, Vol. 10, No. 2, Amsterdam, pp. 134–149.

References

- Césaire, Aimé. 1969. *Une Tempête*. Paris: Éditions du Seuil.
- Ashcroft, B., Griffiths, G., & Tiffin, H. 1989. *The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures*. London and New York: Routledge.
- Colebrook, Claire. 2005. *Irony*. London and New York: Routledge.
- Jones, Donna V. 2010. *The Racial Discourses of Life Philosophy: Négritude, Vitalism, and Modernity*. New York: Columbia University Press.
- Chapman, Edmund. 2016. "Nature, Religion and Freedom in Aimé Césaire's *Une Tempête*." *Journal of Postcolonial Writing*, Vol. 52, No. 6, pp. 726-738.
- Said, Edward W. 1978. "The Problem of Textuality: Two Exemplary Positions." *Critical Inquiry*, Vol. 4, No. 4, Summer, pp. 673-714.
- Irele, F. Abiola. 2011. *The Négritude Moment: Explorations in Francophone African and Caribbean Literature and Thought*. New Jersey: Africa World Press.
- Davis, Gregson. 1997. *Aimé Césaire*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Genette, Gérard. 1997. *Palimpsests*. Lincoln and London: University of Nebraska Press.
- Derrida, Jacques. 1997. *Of Grammatology*. Maryland: Johns Hopkins University Press.
- Arnold, James. 1978. "Césaire and Shakespeare: Two Tempests." *Comparative Literature*, Vol. 30, No. 3, Summer, pp. 236-248.
- Assmann, Jan. 2011. *Cultural Memory and Early Civilisation: Writing, Remembrance, and Political Imagination*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Khoury, Joseph. 2006. "The Tempest Revisited in Martinique: Aimé Césaire's Shakespeare." *The Journal for Early Modern Cultural Studies*, Vol. 6, No. 2, Fall/Winter, pp. 22-37.
- Faniran, K. F., Oyeniyi, T. O., & Olusanya, P. S. 2022. "Adaptation: a Twin Concept in Literature and Translation." *Revue Traduction et Langues*, 21(1), pp. 307-319.
- Hutcheon, Linda. 2004. "On the Art of Adaptation." *Daedalus*, Vol. 133, No. 2, Spring, pp. 108-111.
- Espagne, Michel. 2013. "Bildung." In *Dictionary of Untranslatables: A Philosophical Lexicon*. Translated and edited by Emily Apter, Jacques Lezra, and Michael Wood. Princeton and Oxford: Princeton University Press, pp. 111-119.
- De Man, Paul. 1983. "Conclusions: Walter Benjamin's 'The Task of the Translator.'" *Messenger Lecture*, Cornell University, March 4, pp. 25-46.
- Willoquet-Maricondi, Paula. 1996. "African Animism, Négritude, and the Interdependence of Place and Being in Aimé Césaire's *A Tempest*." *ISLE: Interdisciplinary Studies in Literature and Environment*, Vol. 3, No. 2, Fall, pp. 47-61.
- Barthes, Roland. 1977. *Image–Music–Text*. London: Fontana Press.
- Leitch, Thomas. 2003. "Twelve Fallacies in Contemporary Adaptation Theory." *Criticism*, Vol. 45, No. 2, Special Film Issue Part Two: New and/or Neglected Approaches to Understanding Moving Images, Spring, pp. 149-171.
- Shakespeare, William. 2000. *The Tempest*. Edited by Sidney Lamb. Foster City: IDG Books Worldwide.

is never reaches; it is always in constant displacement to intention (De Man, 1983, 44). Thus, ideology, in such a textual understanding, slips between being a motivator, an intention, and a meaning (which cannot be reached). There is no doubt of the centrality of Negritude themes and concepts in the construction of the text at hand; however, if centrality moves to meaning as in intention shackles the text. The text cannot be satisfied with such a linear understanding, depriving it from the possibility of its networking.

With such a destabilizing move, how can the present analysis reconcile its focus on negritude and the themes of colonization with the provided context of multiplicity of the text and reading an adaptation? An answer can start form the aforementioned postcolonial practices of rereading: linking *The Tempest* to *A Tempest* provides the latter with its main aspects in characters and events. Insertion of Negritude, then, is the first step towards reconstructing the text by providing it with a *reinvented context* (Colebrook, 2005, 4). Context in this sense is not a simplified version; it is as active as the text itself. The relationship between the two is instable because contexts are produced by text in how the latter manipulate them, as much as the texts are produced by contexts. Both the text and the context are instable and insecure construction which involve themselves in a mutually affective relationship (Colebrook, 2005, 4). The mutual instability between the two cannot allow for a confinement of one within the other. Negritude is the context of producing *A Tempest* as distinctive from *The Tempest*; but it is not its entirety.

UT couldn't claim that colonialism is over or that asserting an identity is enough to reconcile the postcolonial issues, but it was able to claim potentiality as a stage to revel in. Chapman explains this situation by stating that the play doesn't think of the potentiality of freedom but of "potentiality *as* freedom" (Chapman, 2016, 736). Indefiniteness becomes an identity rather than an attack on identity.

In the same vein, the play's rootedness in the ideology of Negritude highlights another indefiniteness: the perception of "*Negritude as a process* of self-exploration and recuperation" (Davis, 1997, 60). In this understanding of negritude as a process and not a claim at a final resolution, the play enacts the themes and concepts of Negritude in its construction of reality. Caliban's repudiates a knowledge presented to him by the colonizer, when he understands the impossibility of reconciliation between labor and *Bildung* (Jones, 2010, 183). According to Michel Espagne, *Bildung* is a term that is defined by its focus on different facets of physical beauty, intellectual cultivation, and the relationship between the individual and the society (Espagne, 2013, 111). Accordingly, *Bildung* implies the very relationship of mutual acknowledgement and recognition between the members of society. In this case, *Bildung* is a sign of humanity – the very starting point of argumentation for Caliban in this paper –, societal recognition, and, consequently, identity-making and assertion.

Caliban, the slave, the Negritude subject, was denied an inclusion in *Bildung*, but Negritude Literature provided another path. The Black writer/subject's awareness of a historical context of domination leads his Negritude process into a constitution of "a symbolic progression from subordination to independence, from alienation – through revolt – to self-affirmation" (Irele, 2011, 40). The process of revolt shakes the stability of waiting for recognition from the part of the colonizer: mutual recognition is a stage and not a necessity towards freedom. Such a conceptualization of Negritude parallels Caliban's previously discussed development. Using Caliban and Prospero, the play constantly interrogates the self and the other. Abstracted above the characters, this interrogation is directed towards a colonial discourse; it is a subversive counter-discourse which uses a process of destructing colonial arguments as a weapon. This is a well-discussed postcolonial practice of reading and rereading Western discourses as part of the postcolonial enterprise (See: Ashcroft et al, 1989, 221).

The above presentation demonstrates that the reference to Negritude in the subtitle of UT is in how the play illustrates the main highlights of the movement. However, the play keeps emphasizing indefiniteness by resisting its reduction to one facet of its construction. The role of the Negritude Movement is clearly declared in the text itself; nevertheless, the duality meaning/intention destabilizes such a definite aspect. Going back to the multiplicity of the text, meaning as the intention of writing

situation: Prospero needs Caliban's acknowledgment. Once Prospero was cornered into acknowledging Caliban, he was forced to stay on the island – on his own choice – on the verge of losing his own identity. His last line in the play is him calling to Caliban, where the lines between the self and the other start to blur: "It is just you and me, You and me! You-Me! Me-You!" (Césaire. 1969. 92). ⁽¹⁾In an extreme manifestation of a struggle towards identity, it was Prospero's turn to arrive at a point where the other defines the self as much as the self-defines the other.

4. Conclusion: Indefiniteness – Beyond Perspectives

This paper departed from a conceptual discomfort with the hierarchy between what is referred to as original texts and those described as deriving from them. Starting by conceptually grounding its thesis, the paper shows the similarities between texts related to precedent texts by translation, criticism, or adaptation. However, to show how the conceptual propositions of the paper function throughout texts, the paper traced UT. This specific play was chosen for more than one reason: 1) its own admittance of the status of adaptation, 2) its direct relationship of the precedent Shakespearean text, and 3) the writer's own interest in the clear embedded postcolonial positionality in UT.

To crystallize this paper's idea, a last note should be made. In his direct approach at presenting his text as an adaptation of the Shakespearean play, Césaire tweaks the title from *The Tempest* to *A Tempest*. This preference for the indefinite article is justified by the play as a whole: indefiniteness presents itself as a major event-motor. Both plays have a tempest as an event; however, Shakespeare's tempest was the origin of event ⁽²⁾ while Césaire's was an addition to an already existing focus pre-tempest (the relation colonizer/colonized). ⁽³⁾ As such, Shakespeare's ending tied the stories of the characters' conflicts, in opposition to Césaire's divergence in the ending consciously failing "to offer a *definite* resolution of the conflict" (Willoquet-Maricondi. 1996. 48. Emphasis added). Césaire was, thus, more sympathetic towards a view questioning the very *possibility* of resolution. This sympathy relates to mutual acknowledgment and recognition in a manner that sheds doubt over the possibility of achievement (Jones, 2010, 183). In this sense, this paper sees Edmund Chapman's view that the achievement of UT is not in realization but in celebrating potentiality.

⁽¹⁾ Original French: « Plus que toi et moi. Toi et moi ! Toi-Moi ! Moi-Toi ! »

⁽²⁾ That Prospero's plan to regain his power started by his tempest to get his enemies into his domain of current power. The tempest was the starting point without which the play events cannot present themselves.

⁽³⁾ That is to say, UT main focus on colonizer/colonised relation, doesn't rely on the tempest for its construction. Their relation is shown to be in existence as such by its in medias res nature by the appearance of Caliban. The tempest role here adds to the main focus without constructing it.

Like these men who had made colonies for themselves

And can't live anywhere else anymore (89) ⁽¹⁾

Caliban declares his hatred towards Prospero and refuses to acknowledge any of what Prospero had done with gratitude or any positive feelings. Not caring about Prospero leaves the latter in a position where his role in the relationship doesn't constitute Caliban's identity, which resulted in Prospero's declaration that:

Let me tell you that I hate you too,

Because you are the first person who made me doubt myself.

[...]

Friends, come near: I am offering you, my farewells. I am not leaving anymore.

My destiny is here and I am not escaping it (90). ⁽²⁾

While Prospero does exhibit hate in this part, such a strong emotion is in itself a recognition of Caliban as other with an identity. Furthermore, he admits that Caliban made him question his own identity to the point where his only way to regain an understanding of the self is by staying in the island to keep the other, Caliban, as a compass of where he stands. Once everyone else leaves, Prospero shouts to Caliban: "Caliban, it is between the two of us now!" (91). ⁽³⁾

In this progression on the part of Prospero, Caliban's actions reverse the

⁽¹⁾Original French:

« Mais jet'en fous!
Ça me fait rigoler ta mission
Ta vocation!
Et voilà pourquoi tu resteras,
Comme ces mecs qui ont fait les colonies
Et qui ne peuvent plus vivre ailleurs».

⁽²⁾Original French:

« E bien moi aussi je te hais !
Car tu es celui par qui pour
La première fois j'ai douté de
Moi-même
[...]
Mes amis, approchez : Je vous fais mes adieux. Je ne pars plus. Mon destin est ici : Je ne le fuirai pas. »

⁽³⁾Original French:

« Et maintenant, Caliban, à nous deux ! ».

And I know myself as well (88).⁽¹⁾

This paragraph captures the stages Caliban goes through in order to arrive at a positioning of the self and the other. Denouncing his imposed identity as a slave, Caliban puts Prospero's identity and their relationship into question (Willoquet-Maricondi, 1996, 59). Caliban doesn't ask Prospero for freedom; he decided that he *is* free by denouncing Prospero's authority. Prospero's whole understanding of the self as superior crumbles as soon as such a position is destabilized. Such a destabilization is clarified via the progression of Prospero's acknowledgment of Caliban's identity. Coming from the other side of acknowledgment, Prospero goes through the same phases in different functions. Prospero decides to not leave the island and join people who he considered as from his identity and factors in his identity. After his confrontation with Caliban, Prospero stays admitting "that his own being is defined by the Other, his slave" (Khoury, 2006, 33). This decision comes gradually during his confrontation with Caliban. Different from the Shakespearean text where Prospero leaves the island, Caliban made Prospero questions his identity enough to stay. Caliban rejects Prospero's attempts at a peaceful farewell where he leaves the island with his upper hand intact and says:

I couldn't care less about you!

I am sure you will not leave!

I am laughing about this mission of yours, your vocation.

Because your only vocation is to bother me, to mess with me.

That why you will stay

(1) Original French:

« Et tu m'as tellement menti,
Menti sur le monde, menti sur moi-même,
Que tu as fini par m'imposer
Une image de moi-même :
Un sous-développé, comme tu dis,
Un sous-capable,
[...]
Et cette image, je la hais ! Et elle est fausse !
Mais maintenant, je te connais, vieux cancer,
Et je me connais aussi ! »

pieces of knowledge are his language-use and his belief system. Moreover, Caliban emphasizes the focus on his individualized knowledge via his songs on freedom into which he embeds a call to his own God, Shango (Césaire, 1969, 35).

The culmination of these axes allowed Caliban to present a counter-narrative/memory. Thus, this emphasis on knowledge allows a transition into othering via an insistence on heritage and individual identity *opposed* to that of Prospero. Here, what is interesting is that Caliban asserts his identity as a self and *another* simultaneously: he is a self with all what that entails of individualization. He is *another* with all what that entails of differentiation. His assessment of his *self* implies by necessity validating the other's identity as well. By shaking the stability of "transethnic validity" (Assmann, 2011, 125) in the hierarchical sense, Caliban manipulates the *othering* process into a two-way instead of a one-way process. Caliban incessantly asserts his identity which allows him to know himself. Nevertheless, Caliban knowledge of the self is his very path towards knowing the other.

Notably, Caliban's victory wasn't that he arrived at understanding both selves. His victory was in how he forced *the other* to acknowledge him and recognize his *self*. This point is highly significant as the "master never depended on the recognition of the slave" (Jones, 2010, 182). Caliban destabilizes the situation in which the one-way identity imposed on the slave resituates itself in a "view of identity as a struggle for mutual recognition" (Jones, 2010, 182). Notice the path towards this realization in Caliban's own words:

And you lied to me a lot,
About the world, about myself,
You ended up imposing an image of myself,
Under-developed, incapable
[...]
And I hate this image! And it is wrong!
But now I know you, your old cancer,

– but it is his argument which links more directly to the question of his identity. Caliban develops his arguments in a way which explains the endangerment of his identity by factors of lack of acknowledgment from the other.

Sitting with the proposition, the way UT presents Caliban throws the possibility of justifying Prospero's actions away by rejecting the assault accusation. Then, UT denies any gratitude towards sharing knowledge from Prospero to Caliban by showing how such an idea was only beneficial to Prospero himself and not Caliban. Prospero used Caliban's knowledge of the island when he first arrived. Then, he only taught Caliban what was enough to allow Prospero to command and order. Caliban Shows that no knowledge acquired by Prospero was to his benefit. However, the most important change that UT comes with in link to identity is in the first quotes above. UT develops Shakespearean Caliban's recall of memory when Caliban goes beyond recalling his inheritance into presenting his own knowledge and belief-system in contrast to that of Prospero. Caliban asserts his identity in link to earth itself; his inheritance is not merely familial but embedded in the nature he believes in. Contradicting Prospero, Caliban believes in Earth as alive as he understands life itself. In fact, Caliban's connection to nature was further emphasized in the fourth scene of the third act where Caliban calls upon the island and its inhabitants (elements of nature) in his fight for freedom. In fact, Caliban declares his fight against what is anti-Nature and states his belief that Nature is gentle as long as one knows how to speak to it (75).

In this sense, presenting personal knowledge to assert identity works as an important axis in Caliban's reconstruction. His first line in the play is "Uhuru!" (24) meaning freedom. Using this word asserts two important positions: first, it asserts Caliban's stance towards Prospero by shouting his aims and goals about freedom. Second, using his own language asserts his identity. Caliban's focus is on reclaiming his identity and his knowledge of it, exemplified above in self-naming and language-use. Thus, Caliban's resistance is not only the *active* attempt to reject racism, but also the "*active* attempt to assert African heritage by resisting assimilation into the West" (Khoury, 2006, 27). In his specific context, Caliban asserts his identity in both his language and the language of the other. He shows that he can use the language of the other to manifest himself.

Going back to memory, Caliban in UT resists Prospero's attempts to assert his narrative as an official memory which erases and forgets every other memory (Khoury, 2006, 31). Implied above, Caliban very consciously employ his "identity-securing knowledge" (Assmann, 2011, 122).⁽¹⁾ Previously mentioned, Caliban's

⁽¹⁾ Some of what Assmann refers to are wisdom, myth, and proverbs as examples.

recognition becomes the main analytic axis of the discussion; however, to start off, a few issues need to be considered. First, this analysis starts by the very appearance of Caliban in both texts.

In the two texts under analysis, the first appearance of Caliban is in the second scene of the first act. It is to be stated that the sense of rebellion in Caliban was evident in both as well. Consider the following quotes from *The Tempest*:

1. "This island's mine by Sycorax my mother" (46).
2. "Wouldn't had been done!
Thou didst prevent me" (47).
3. "I know how to curse" (47).

The above quotes demonstrate Caliban's confrontational stance against Prospero. However, his role in the scene does end in his obedience in fear of Prospero's powers. Additionally, the second quote specifically attempts to justify Prospero's behaviour by positioning Caliban as barbaric/criminal. The quote comes as implying an affirmative response to Prospero's accusation that Caliban had attempted to assault Miranda, Prospero's daughter. Such an accusation and affirmation lessen any empathy that Caliban could accumulate. Countering these fragile positions, UT parallels these lines by the following:

1. "Without you? Is that a question? Simply the King of the Island, my island that I inherited from Sycorax, my mother [...] Dead or alive, she is my mother, and I will never deny her. She is dead to you because you believe that earth is dead" (25). ⁽¹⁾
2. "I have nothing to do with your daughter" (27). ⁽²⁾
3. "First of all, that is not true. You have taught me nothing, but the language needed to follow your orders [...] but you keep your science selfishly for yourself" (25). ⁽³⁾

Caliban's departure from this scene in UT at the warning of Prospero is also significant: he doesn't go without a last blow. He rejects the name of Caliban attributed to him by Prospero and claims the name X. He justifies his decision in that his name, the representation of his identity, was stolen (Césaire, 1969, 27-28). It is not only that Caliban's tone is more assertive – which is in itself an important aspect

⁽¹⁾ Original French: « Sans toi ? Mais tout simplement le roi ! Le roi de l'île ! le roi de mon île, que je tiens de Sycorax, ma mère. [...] Morte or vivante, c'est ma mère et je ne la renierai pas. D'ailleurs, tu ne la crois morte que parce que tu crois que la terre est chose morte. »

⁽²⁾ Original French: « je n'ai que faire de ta fille ».

⁽³⁾ Original French: « D'abord ce n'est pas vrai. Tu ne m'as rien appris du tout. Sauf, bien sûr à baragouiner ton langage pour comprendre tes ordres. [...] Ta science, tu la garde égoïstement pour toi ».

The above table merely summarizes the most obvious cases of manipulating structure. A comprehensive analysis of these details wouldn't be possible within the aims and conceptual limits of this paper. However, James Arnold moves carefully from scene to scene to highlight the advancing and delaying of certain aspects of Shakespeare drama. For example, he traces the fragmentation of act2-scene 1 into two scenes in UT (Arnold, 1978, 240-242). He also discusses the thematic differences between the two tempests in acts/scenes: for example, the comic second scene of the third act in Shakespeare rendered serious in tone in UT (Arnold, 1978, 245-246).

It becomes evident that UT structure is not a summary, and that the structural reconstruction follows a "strategy of systematic selectivity and reordering of priorities" (Arnold, 1978, 237). The justification of this retelling is performed via prioritizing the dynamics of colonization and Master/Slave. What significant here is that the elements of the first text find themselves at the service of the second text, not the other way around. To crystallize, the movement between the two texts to show differentiation didn't recount what the second text changed from the first, rather, it recounted how and why such changes were important to the second text and its claims. Such a move destabilizes any hierarchization or primacy built on the chronological ordering. Additionally, these restructuring moves revolved around the additions of Césaire and specifically Caliban. Accordingly, the following subsection turns the attention to Caliban and discusses his nuanced re-presentation.

3.2.Caliban: Stating Specificity

This subsection keeps the value of considering how UT manipulates the original text in order to reconstruct its individuality and highlight the themes in both texts. Accordingly, this section studies how UT plays on the character of Caliban. The choice of Caliban considers the space and scope of this paper but also highlights how Caliban's intertextual transformations is an emergence-nexus of UT. It becomes clear as the discussion develops that rebuilding the character is, in fact, the main motivation behind restructuring the organization as discussed in the previous section. Both sections meet to show how they serve to reproduce the Shakespearean text as a new text in UT. For considerations of space and scope, the paper focuses on

As in the case of restructuring the text, the redefinitions on the level of the characters also show how UT *reads* its predecessor (Khoury. 2006. 23). In the specific case of Caliban, the refinements added to his character produce his very *humanity*. In fact, Caliban's rebuilt character had humanity as its reconstructing axis. Caliban was excluded from the human for lacking "a potential human nature awaiting recognition" (Colebrook, 2005, 144). Then, Caliban found his humanity by a reversal on the understanding of recognition itself. The entanglement with

resistance towards a perfect harmony between the Gods following a different mythology than the Roman one. It is a statement of identity and belief systems which the second section tackles further in the case of Caliban.

After the list of characters, Césaire adds a last addition to the Shakespearean text: the game master section.⁽¹⁾ In this part, a game master distributes the roles and masks around, turning the context into a play inside a play. Such a move contains a direct and conscious rereading of the *original*. The text, with the game master section, positions itself directly as a retelling of the story. In this case, as the end of the previous section suggests, what is highlighted is the reason behind such an attempt at retelling. This overt and continuous mention of the *original* carries the ideological positionality of the text.⁽²⁾

UT further manipulates the structure of the previous text by playing around acts and scenes. The first and most direct change in structure is shortening the five acts in the Shakespearean text into three. In more detail, *The Tempest* is structured as follows: two scenes in the first act, two scenes in the second act, three scenes in the third act, one scene in the fourth act, as well as a final fifth act of one scene. On the other hand, UT comprises three acts: two scenes in the first act, three scenes in the second act, and five scenes in the final act. But the shortening of the original text goes beyond the length or the number of acts and scenes; UT *consciously* readjusts the inherited elements of the previous text. Consider the following table:

Table 1: Comparing the Structural Organization of the Two Texts:

The Tempest	Une Tempête
Act 1	Act 1
-	Act 2-scene 1: adding a dialogue of the positions of Caliban and Ariel in their enslavement
Act 2-scene 1	Scattered between both act 2-scene 2 and act 2-scene 3
Act 2-scene 2	Act 3-scene 2
Act 4-scene 1	Act 3-scene 3 with the different plot of Eshu

⁽¹⁾ Original French: « Le Meneur de Jeu».

⁽²⁾ The Negritude movement in this case, elaborated further in the conclusion.

that the text is “After Shakespeare’s ‘The Tempest’, An adaptation for a Black/Negritude theatre” (Césaire, 1969, title page)⁽¹⁾ Previously mentioned, this adaptation is an adaptation via purpose which is an axis that the subtitle presents immediately: the original theme of master/slave takes a more serious tone by the implication of Negritude as an ideology motivating the text. For this paper in particular, this motivation allows the paper to later give more liberty to Caliban as a character, following the steps of Césaire himself.

Following the titles, the list of characters comes in. The list refuses a neutral enumeration of characters. Rather, the list emphasizes the relationship between the two texts by describing the characters as “Shakespeare’s” ⁽²⁾ (Césaire, 1969, Personnages). Moreover, this description also differentiates those characters from those added by Césaire. In a significant move, Césaire makes the point of adding to his list “two supplementary precisions,” ⁽³⁾ and “an addition” ⁽⁴⁾ (Césaire, 1969, Personnages). This is a movement where movement is apparent; the text admits relationality but refuses total transference. Césaire’s precisions contextualized the ethnicity of the two slaves, Ariel and Caliban. Ariel was described as a mulatto and Caliban a black slave. Such a differentiation proves central to the events of the play. For *The Tempest*, a slave is governed by his status as a slave, no more no less. These precisions, thus, configures a specific context for UT where such precisions are important. In fact, given the purpose, the status of both skin tones relates to different stances as well. In the first scene of the second act, Caliban and Ariel engage in a conversation about the ways to arrive at freedom. None of them was presented as the *right* path to follow; the dialogue was rather a presentation of different stances to take: moderation and nonviolence (Ariel) and acceptance of violence if needed (Caliban). Furthermore, this dialogue starts to give Caliban centrality in the action and ended up with both characters wishing good will on each other as brothers. (Césaire, 1969, 35-39).

The only added character in UT was Eshu, described as a Black God-Devil. ⁽⁵⁾ The addition of Eshu as a Black God-Devil significantly added weight to the wedding scene of Prospero’s daughter. Eshu comes in uninvited with the purpose of causing disturbance. He emphasized that he wasn’t invited and made sure to demonstrate his difference from the other Gods by using obscene language and acting disrespectfully. Eshu’s behaviour causes the entire gathering to crumble and all the Gods leave, including himself (Césaire, 1969, 67-71). This example shows a

(1) Original French: " D’après ‘La Tempête’ de Shakespeare, Adaptation pour un théâtre nègre".

(2) Original French: « Ceux de Shakespeare».

(3) Original French: « Deux précisions supplémentaires».

(4) Original French: « Une addition ».

(5) Original French: « Dieu-diable nègre».

on one text is a mere fallacy (Leitch, 2003, 164). What Leitch presents here aligns with the Barthesian stance on interpretation as explosive in the way a text is explosive. Adaptation is a reading of the text from which it emerges. It is a reading which exists to state its presence. Accordingly, its own irreducibility and complex construction prevent a simplistic view which reads an adaptation as a possible entrance towards the traces of the original text (Leitch, 2003, 166). Agreeing with this stance, the paper asserts and reasserts that both texts are fragments, but tensive fragments for that matter.

Now that adaptation is contextualized for within the previous discussion, contextualizing it to the upcoming discussion is imperative. Dealing with adaptations, the concern becomes how the first text was manipulated for a different medium or genre. Implied in Leitch's discussion is the idea that adaptation is trans-media or trans-generic. However, adaptations can also occur in the sphere of the same medium or genre if different purposes were highlighted (Faniran et al, 2022, 309). This paper deals with an adaptation of a play into a play, foregrounding the question of purpose. In this way, the following analysis investigates how the attempt at telling the same story differently is provoked by the possibility of such an attempt (Hutcheon, 2004, 111).

3. Approaching the text: *Une Tempête* – Tracing Movement

This section moves on to interrogate the texts. Its target is tracing how UT moves back and forth between its own claims and the Shakesporean text *The Tempest*. Such a movement is significant when looked at as a producer of tension: moments of reconciliation show the relationship between the two texts, while moments of intensity keep the individuality of both. Accordingly, the following subsections deal with the structural/organizational differences that UT presents as well as highlighting the nuances produced through the characters. The first subsection focuses on how UT explicitly call upon *The Tempest*. However, the core moving subsection is the second, where the character of Caliban is foregrounded to show how the intricate differentiations between the Caliban's of the two versions are significant.

3.1. Organization of the Text: Recalling Precedent

Specific to the textual relationship under consideration, is that it goes beyond being covert or allusive. The overt mention of the Shakespearean play draws attention to itself. The first overt mention of the Shakespearean play is the title ⁽¹⁾. Not only is the title a direct manipulation of the Shakespearean one, the subtitle states

⁽¹⁾ The question of the title is revisited in the conclusion.

types of texts which depend on a previous textual construct. Some examples that come to mind are criticism and adaptation. In fact, Edward Said does touch upon such a proposition in regard to criticism. Said deepens the metaphor of fragments by displacing the so-called original: he links any attempt at categorizing writing as secondary as an attack on originality. It is there where he reaches critical commentary as standing beside an original text and equals their respective statuses (Said, 1978, 683). In alignment with the current work's understanding of the text, Said emphasizes that such an equality doesn't *reproduce* the text for the very irreducibility delivered by any writing (Said, 1978, 683). This irreducibility doesn't allow for fixed writing; therefore, it doesn't allow for a neat reproduction.⁽¹⁾ For Said, criticism is the point of condensation of the first text, the great literary text, and what he calls the cultural space—or the context as in the aforementioned case of translation (Said, 1978, 713-714).

With the alignment of translation and criticism, this work finally reaches its main concern from these types of texts: adaptations. Seen with translation and criticism, adaptation rejects a characterization of being a derivative or secondary act (Hutcheon, 2004, 108-111). Within the provided conceptual framing, adaptation follows the main aspects previously mentioned of existence and transformation. What is also of interest here is that adaptation plays on both fields of commenting and close reading of a text on the one hand, and translation in a broader sense of transference on the other. A note should be made here about the relational aspect between translation and adaptation. Broadening horizon, adaptation is but an application of perspective or a contextual translation itself. Faniran et al. refers to it as “free translation” or a “technique in translation studies” (Faniran et al, 2022, 309). Such a status is given to adaptation on the basis of its very interdisciplinary nature (Faniran et al, 2022, 309). For this work, the significance of choosing adaptation is its under-conceptualization. By choosing adaptation as a case study, there is a possibility to elevate this type of text from its aforementioned “theoretical vacuum” (Leitch, 2003, 149). The interdisciplinarity nature of adaptation works in this case against the theoretical aspirations of the latter. It weakens the foundational problematics and questions that can further elaborate the conceptual understanding of adaptation. Thus, focusing attention on adaptation in a textual treatment starts from adaptation to generalize its proposition rather than the other way around.

Going back to Leitch, despite his focus on film, Leitch does raise important textual questions for the current discussion. Crucially, Leitch questions the centrality of fidelity in analysing adaptation, thus, questioning the notion of an original text (Leitch, 2003, 161). Furthermore, Leitch's states that the idea that adaptations work

(¹) Genette also touches upon criticism and commentary on his transtextual relationships (Gérard Genette, 1997, 1-7), however, Said's discussion aligns better with the aims of this work.

can be included in movement? Simultaneously, what and how movement means? Responding to intertextuality as an umbrella term of textual relations, Genette proposes his own understanding of how texts relate to each other in his transsexuality. For him, transsexuality encompasses “all that sets the text in relationship, whether obvious or concealed, with other texts” (Genette, 1997, 1). These transsexual relationships are divided by Genette into Intertextuality, Paratextuality, Metatextuality, Archi textuality, and Hypersexuality, in order of their mention (Genette, 1997, 1-7). Within the current purposes, these categories are not directly applied. What is instrumental is the indications they provide for the logic of movement. In all of Genette’s categories, whether explicitly or not, all second texts recall their precedents by quoting, commenting, summoning, etc. To put it succinctly, this paper tackles those texts which are culminated via two aspects: existence aspect (the existence of a previous text to provide emergence) and a transformation aspect (in various possible modi as shown below). Those texts forthrightly converse with their precedents, taking a step into them and resisting total transference. In the current metaphor, the movement is how the text approaches the first dynamically and engages in reciprocal interpretive reading of the first text.

The claim at this point is materializing conceptually: the complexity of each text resists any attempt at simple dependency. Reworking Genette’s model, those texts which depend on their existence on another text link themselves to that text in an *illusion* of derivation. Notably, the dependence referred to here is the direct relation of two texts before questioning the originality of writing in a Derridean elaboration (Derrida, 1997). This reformulation of Genette draws upon the words of Paul de Man using Walter Benjamin’s metaphor of a broken vessel “the fragments are fragments, and [...] they remain essentially fragmentary. They follow each other up, metonymically, and they will never constitute a totality” (De Man, 1983, 43). In the context of De Man and Benjamin’s discussion, the central problematic is translation. De Man states the individuality of the original and derivational texts. The fragmentary nature of both texts proposes different relations between both of them and *meaning*. Translation becomes one possible modus of transforming texts when the existence aspect is already in place. Additionally, translation is never neutral: it is a negotiation of contexts and perspectives into a textual construct. Thus, the second text provides a complex understanding of the first text from which it emerges. To read this second text, this close reading, the analysis should consider how the second text engages with the first.

With both a reformulation of Genette’s model and the metaphor of fragments at hand, the latter demonstrates a potential to elaboration beyond its strict relation with translated material. This attempt at reaching beyond the contextual boundaries of the metaphor is not merely stated for the sake of conceptual flaccidity; rather, it is proposed with specific aims. The fragmentary description could reach out to other

which enriches both the reading of the text and of theory itself.

To reach its goal, this paper is divided into two main sections. The first section considers the theoretical and conceptual obstacles implied in the attempt. Moving to the case under analysis, the second section focuses on *Une Tempête* (UT) and its specific manipulation of the Shakespearean text. Following, the conclusion synthesizes the discussion into a conceptual proposition on the matter. The conclusion highlights how the method used here sketches modus of thinking with texts about the possible approaches to their interpretation. Precisely, the conclusion proposes that reconfiguring the context of a precedent text is an important consideration in how an adaptation revise.

2. Approaching Theory – Facing Obstacles

This section attempts to contextualize the main conceptual elements within their most appropriate theoretical standing. To progressively build the argument, the presentation starts with a brief understanding of the text. It then moves on to state its stance on textual relationships via a reformulation of propositions on intertextuality. Finally, attention is turned towards adaptations in particular to contextualize how to conceptually consider them. The section, thus, performs three tasks: 1) adaptation as text, 2) adaptation as a textual relation, and 3) adaptation as productive interpretation.

Following the aforementioned poststructuralist and deconstructionist frameworks, texts are produced through multiplicity—the interaction of signifying elements. Roland Barthes metaphorizes this case by stating that reading/interpreting the text is only viable if the interpretation explodes as much as the text under analysis does (Barthes, 1977, 159). In cases where one text depends on the other for its emergence, both texts are simultaneously explosive as well as explosive interpretations of each other. Tracing how the second text moves around the first adds to the reading of both texts and their performance of multiplicity.

The above presentation implies a discomfort with the terms original and derivational. This discomfort is the result of the terms' entailment of boundaries around the text. There is no clear-cut differentiation of an original and the point from which it *diverges* into another text. As such, the use of original and derivation in this phase of the analysis can only be regarded as metaphorical and temporary. While the paper is concerned with such relationships, it is acutely aware of the chronology issue at hand as well. Intuitively speaking, a text assumes the status of an original because it came first in production. However, the importance of this point is that status of the second text is merely chronological.

Now, the main concern is activating movement. What textual relationships

1. Introduction

Thomas Leitch proposes that adaptation is prey to theoretical vacuum (Leitch, 2003, 149). His position stems from the tight link between adaptation and film study which enriches the latter while prohibiting the first from approaching its potential. Subverting the current studies in adaptations, this paper attempts to focus on the text from which the adaptation emerges. The paper takes a stance of reading adapted materials textually. Grounded in poststructuralist and deconstructionist frameworks, the paper regards the text as a multiple and complex construction which cannot be reduced to a single aspect for its interpretation. Being an adaptation cannot be that single aspect for interpreting the text. Consequently, the paper proposes that the relationships between adaptations and their precedent texts add to the reading of both involved parties. The main argument becomes that adaptation is not secondary in the hierarchical sense; adaptation works when it engages with and revises its precedent.

To approach adaptations, the paper synthesizes theory into an understanding of textual *movement*. The proposition becomes that textual movement is the movement between a text and a precedent text to which it is related. Adaptation is a close reading and an interpretation of the first text from which it emerges. Thus, movement is the interpretation produced as the adaptation recalls the first text while simultaneously revising it. This specific movement is presented as a back-and-forth between the two texts or readings of texts.

To put these conceptual concerns into textual analysis, this paper focuses on *Une Tempête* ⁽¹⁾ by the Martiniquais author Aimé Césaire (Césaire, 1969 ,3). This text rethinks the Shakespearean text *The Tempest* (Shakespeare, 2000) from a clear decolonial/post-colonial lens. As such, it is self-admittedly an adaptation in the first place and notably an edited translation because Césaire's text is written in French. Césaire, very consciously and intentionally, manipulates the Shakespearean text and forces it into presenting his own arguments. Following the proposition of movement, each text states its specificity by resisting the other despite their relationship. Notably, this comparison doesn't limit itself to similarities and differences because the reason behind these instances provide significance. Thus, the focus on Césaire's text and on the character of Caliban specifically highlights how *Une Tempête* *understands* the Shakespearean text. Conceptually significant, the intricate differences between the two texts reveal how an adaptation reconstructs a text rather than reproduces it. To that aim, the paper combines theoretical and textual analysis. In the textual analysis, movement stays foregrounded as a central concept in practice. Additionally, the specific text here necessitates a recourse to postcolonial theory

⁽¹⁾ Referred to as UT in the rest of the paper, until the synthesis section for its focus on the indefinite article.

Tempestuous Relations: Adaptation as Textual Movement in Césaire's *Une Tempête*

Suha Anam

Doha Institute for Graduate Studies, Comparative Literature

Abstract

*This paper reconsiders the conceptual framing of adaptations. Rather than derivative, the paper argues that adaptations engage with their precedent texts to 1) revise them, and 2) state their specificity from them. To conceptually contextualize adaptation, the paper draws upon theoretical and textual insights. Theoretically, the presented conceptual framework synthesizes poststructuralist and deconstructionist ideas. Additionally, it reformulates theories on intertextuality within the aims and purposes of the work. Textual relations highlight how the second text moves between its own specificity and the text upon which it depends. As for textual insights, the paper has Aimé Césaire's *Une Tempête* as a case study. Focusing on the character of Caliban, the analysis shows how the refinements added by *Une Tempête* perform two functions: 1) they show the identity of the play in contrast to its precedent Shakespearean text, and 2) they uncover and discuss implied aspects of the original. Finally, the paper sits with the indefinite article in Césaire's text. Such an interest shows how indefiniteness reconfigures the specific context of the play and, consequently, suggests that reconfiguring context is one possibility of the proposed textual movement.*

Keywords: Textual relations, adaptation, intertextuality, deconstruction, postcolonialism

المستخلص

تعيد هذه الورقة النظر في مفهومة الاقتباس والتحويل بين النصوص. في مجابهة النظرة القائلة بأن هذه النصوص ثانوية، تحتاج هذه الورقة بأن النصوص المقتبسة والمكتيفة تشترك مع النصوص السابقة لها في محاولة: (١) لمراجعة النصوص السابقة، و(٢) توضيح تمايزها عنهم. ولوضع سياق مفاهيمي للنصوص المقتبسة والمكتيفة، استخدم الورقة كلاً من الجانب النظري والجانب النصي. ففي الجانب النظري، تتعامل الورقة مع إطار مفاهيمي تفكيكي وما بعد بنوي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الورقة تعيد النظر في مفاهيم التناص بما يتواءم مع أهداف العمل. يتضح من النقاش أن العلاقات النصية توضح حركية النص الثاني بين تمايزه وبين النص الذي يعتمد عليه. أما بالنسبة للجانب النصي، فتتخذ الورقة من مسرحية (عاصفة) للكاتب إيميه سيزار حالة تحليلية. بالتركيز على شخصية (كاليبان)، يوضح التحليل كيف أن الإضافات النصية تؤدي وظيفتين أساسيتين: (١) توضح الإضافات هوية المسرحية المختلفة عن النص الشيكسبير الذي يسبقها، و(٢) تكشف الإضافات وتناقش بعض الأفكار الضمنية في النص الأصلي. ختاماً، فإن الورقة تتناول التنكير في عنوان نص سيزار: إذ يظهر من خلاله كيف يعيد التنكير بناء سياق للنص. بالتالي، فتتقترح الورقة إعادة بناء السياق بوصفه أحد مناهج ما اقترحت من حركية للنص.

الكلمات المفتاحية: العائقيات النصية، النصوص المقتبسة والمكتيفة، التناص، المدرسة التفكيكية، دراسات ما بعد الكولونيالية

References

- Abdel Hai, M. 1979. "Moawya Nur's Critique of the Arab Romantic Poets of the 1930s." *Doha Magazine*, no. 40. Qtd. in Agab Al-Fiya, *Modern Sudanese Literature*. Madaraat Publishing, 2019, pp. 30–31.
- Abdel-Raziq, A. 2024. "ما لا تعرفه عن جنون الشاعر السوداني إدريس جماع" [What You Do Not Know About the Madness of the Sudanese Poet Idris Jamma']. *Aljazeera Mubashir*, 10 Oct.
www.aljazeeramubasher.net/opinions/2022/6/6/-ما-لا-تعرفه-عن-جنون-الشاعر-السوداني
- Al-Fiya, Agab A. 2019. *Modern Sudanese Literature*. Madaraat Publishing.
- Al-Khalifa, Abdellatif. 1988. *Abdellatif al-Khalifa: Memoir*. Khartoum University Publishing House.
- Assayha. 2022. "El-Majzoub Bagged His Life Flowers and Left." *Assayha*. www.assayha.net/120565/.
- Atiyeh, Edward. 1946. *An Arab Tells His Story: A Study on Loyalties*. Oxford University Press.
- Babikir, Adil. 2019. *Modern Sudanese Literature: An Anthology*. University of Nebraska Press.
- Bannaga, Al-Sunni. n.d. *Department of Culture*. 1st ed., n.p.
- Bashir, Ali. 2010. *Ishraqa*. Al Dar Al Soudania for Book.
- El-Bashir, El-Tahir, ed. 1970. *Selections from the Literary Works of Moawya M. Nur*. Al-Dar al-Sudaniyyah.
- Elgizouli, Khalid. 2006. *The End of the World Lies Behind This Window*. Dar Turath.
- Mayakovsky, Vladimir. 2013. "The Suicide Note." In *Vladimir Mayakovsky: Selected Poems*. Translated by James H. McGavran, Northwestern University Press, pp. 155–156.
- Nur, Moawya M. 1970. "My Poet Friends: This Leads Nowhere." In *Selections from the Literary Works of Moawya M. Nur*, edited by El-Tahir El-Bashir, Al-Dar al-Sudaniyyah, p. 257.
- Penn, A. E. D. 1934. "Traditional Stories of the 'Abdullab Tribe." *Sudan Notes and Records*, vol. 17, no. 1, pp. 59–82.
- Salih, Tayeb. 1984. "Foreword." In *Selections from the Literary Works of Moawya M. Nur*, edited by El-Tahir El-Bashir, Al-Dar al-Sudaniyyah, pp. v–vii.
- Yahya, Mahjoub. 2007. *Abu Zikra Bagged His Life Flowers and Went Away*. Abdel Karim Mirghani Cultural Center.

Khartoum. So once again he found himself out of step with his environment.

While the cases of the other Sudanese literary figures discussed above each had an identifiable catalyst, Jamma's experience was unique in its marked individuality. There was no observable or external, demonstrable crisis with a strongly public, social, political, or religious dimension to it. At the time he entered his silence, records indicate that he was in an objectively successful stage of his career employed as a teacher at Khartoum secondary school, with a stable supportive family and home life, unlike the others who were navigating apparent intellectual, ideological or financial crises during times of great political upheaval.

These lives when considered together, suggest that the tragedies of Sudan's literary geniuses arose not solely from individual temperaments, but from the persistent tension between exceptional intellectual sensitivity and historical conditions that offered little space for professional stability and emotional security, or a true sense of belonging and sustained fulfilment. Whether influenced by political upheaval, cultural dislocation, or inward estrangement, each individual confronted pressures that tested the limits of endurance. Their stories remind us that literary brilliance does not insulate the bearer from despair, and that regardless of exceptional literary prowess or talent, the laborious path to achievement remains inseparable from the circumstances in which it is produced. In this context the cost of genius was tragically high.

never blame us.

To heaven we were heading,

but we lost our way.

My soul released long-held feelings.

I have dissolved my heart for you,

unto melodies and whimpering.

So have mercy on the oud,

when it sings me into a sad melody.

(Babikir, 2019, p. 6).

Conclusion:

The lack of resilience on the part of these brilliant literary figures, and extreme over-sensitivity, can be seen as the result of the apparent disparity between their ambitions and high expectations coupled with the awareness of their genius, and the disappointing lack of self-fulfilment. Their inner turmoil was intensified by the additional burden of national trauma and the unrealised dreams of the nation following the initial euphoria of independence.

Both Nur and Bashir were victims of the British Egyptian political struggle over Sudan, and its illusions. That conflict had a very strong cultural angle to it, as Sudanese nationalism celebrated Arabism as both its adopted identity, and the bond with Egypt. To this, Nur added a fascination with English literature and culture, engaging in modernist critiques of Egyptian poetry and fiction. This earned him high respect in Cairo but did not endear him to the subjects of sharp criticism. Both were severely disappointed by the reality of Egypt, where neither received the welcoming reception, they had imagined: no secure employment and no sustained support. Both suffered malnutrition, neglect and bitter disappointment.

Abu Zikra belongs to another era, finding welcome both in Moscow and Khartoum. However, he faced heartbreak and after heartbreak. The far-left socialism which he saw emerge in Khartoum soon met with tragic reversals, and even Moscow succumbed to reform. Being a committed radical, he deplored this shift as oppressive rather than welcoming it as freedom. This coincided with an Islamist coup in

(Babikir, 2019, p. 5).

Sadly, all this exuberance fell into a sudden, total and mysterious silence.

The above note of confidence expressed in these verses could also be interpreted as a descent into gloomy affliction. The poet, fashioned from clay scorched by the fire of love, and endowed with divine power to chisel words, following the divine command “Be”, could be viewed as condemned to the suffering of a being doomed to utter words formed through pain, rather than the transcendence of a celestial sculptor of language.

Many pieces in his sole collection, *Lahazat Baqiya* (Lasting Moments), reflect an overriding feeling of despair. Love rarely settles into affirmation; moments of jubilation are fragile and short-lived, repeatedly giving way to darkness, loss, and emotional breakdown.

Seen across the collection, these poems illustrate a structural movement from exaltation to desolation, suggesting not a passing mood but a persistent condition of feeling. The poetry itself thus becomes the only available testimony to an inner life otherwise sealed off by silence.

An example of such a sharp descent into melancholy can be found in the poem, “In the Spring of Love”:

*In the spring of love, we used to savour,
and sing and whisper;
chasing birds from one branch to another.
Then I lost touch with the past,
and sorrow dwelled deep into my heart.
Two images in a heavenly stream, we cruised.
We sipped life's enchanting essence;
yet we are far from satiated.
That's love—never pose questions;*

4. Escape into Silence:

A fourth Sudanese figure with a seemingly similar experience is the famous poet Idris Jamma' (1922-1980). Born in the North Khartoum town of Halfayat Al-Muluk (the Halfaya of Kings), it was so named because it served as the capital of the Sheikhdome of the Abdullab (1504-1820). The Abdullab tribe is of Arab origin, and its kings were allies of the Sinnar Kingdom which emerged in 1509 (Penn, 1934). Jamma' himself has the surname of the first Abdullab king but may not necessarily be a descendant.

After graduation from Bakht al-Rida teaching school in the early 1940s, he was rotated to many schools around Sudan, as was the norm at the time, and was teaching at a school in the Northern Province when he wrote his first poem.

It was while he was later working at Khartoum Secondary School that he entered into what was described as his "period of silence and isolation", possibly due to a trauma. His case was later described as "madness" or severe mental illness. Due to this silence, no one was ever able to truly know why or how he got there. (Abdel-Raziq, 2024)

Yet in some of his poems, such as *Al-Sha'ir* (the poet), he presents himself as an accomplished poet, both gentle and daring, a hedonist and pious Sufi:

A simple soul, easily charmed by a child's sweet smile,

but an invincible giant in battle

Standing in reverence before all beauty

Seeing the beauty in everything

A rebel who breaks all shackles

And a Sufi who worships in a trance

....

The wretched clay was molded and touched by the fire of love,

then decreed to be!

and the poet emerged, chiselling words into perfection

*stop by, giant, and share some of my food and drinks
come to my rescue- my heart is weighed down with grief.*

*I see my bright blissful world falling apart.
Where my soul once blossomed and shed off her wrinkles,
dark doubts now invaded my nascent faith
and my longing recaptured the super bliss
I wonder who took away pleasure,
leaving me alone with my insanity.*

*Today my ear can only hear wails and moans.
My eyes are blind to all things tiny and big.
My soul can no longer see your splendour, the bright dawn.
All stream waters turned to stone.
All melodies ran back to their strings,
and took shelter in the darkness
of a feeble, sick lute.*

(Bashir, 2010, p. 20)

Nine decades since his departure, al-Tijani's legacy endures as a cornerstone of Sudanese literary heritage.

This world, my glorious Lord, surely can't stand on its own.

Out of Your fire you moulded the jinn.

And out of Your light You cast mankind.

From Your first light cast on Adam's clay,

countless nations are still in the womb of the unseen;

a whole world within the clay;

souls packing water and air passages.

All creatures supplicated to you, as did I.

I believed in you; so, did they.

I came out of the unseen and made my proclamation, and so did they.

And time is on a race, to which destination? I have no clue.

Then what?

After all that purity and serenity,

my soul plunged into darkness.

I can no longer see what I used to see.

My once clear sky is now engulfed

in a thick cloud of dust.

A gloomy fate is my hope; death is my pursuit.

O the end of my lunacy; O my doomsday,

Smell the rose. See how aromatic it is.

Its roots running deep in the soil,

exposing a stem: dewy, full of bloom.

Ask the nightingale: who has created the flowers and roses inspiring its twitter?

Ask the flower: who endowed it with aroma and greenery?

You will see the soul in plain sight,

and hear something from within.

Everything in this universe,

in its alleys the Lord does stroll.

This tiny ant is His echo.

Within her folds He lives; on His soil she exists.

And when she yields her spirit,

onto His hands it will fall.

Alone, I was hearkening to the world's whisper.

I could hear the atoms' inner thoughts and senses,

and the melody of the turbulent light.

I could watch as baby roses are born,

and when they come to full bloom,

and when grapevines burst out fruits.

Born in Omdurman into a traditionally religious family, al-Tijani was educated in traditional Qur'anic schools, *khalwa*, and later at *al-Mahad al-Ilmi*, a religious educational institution. He exhibited an early poetic talent, drawing from both classical Arabic traditions and Sufism.

His life, however, was riddled with hardship, having struggled with poverty throughout his youth, which left him vulnerable to malnutrition and illness. He was known for his proud spirit and rebellious intellect, traits that often placed him at odds with the religious and social establishment. He was eventually expelled from the religious institute due to his perceived unorthodox views. An event that dealt a serious blow to both his livelihood and social standing. His attempt to break free from the siege and flee to Egypt, to which he had been emotionally attached, was instantly thwarted, plunging him into despair. He lived in obscurity and ill health, and his fragile body, ravaged by tuberculosis, eventually succumbed at the age of just twenty-five.

Yet in this brief span, he produced a body of poetry remarkable for its emotional depth, philosophical introspection, and vivid imagery. His only published collection, *Ishraqa* (Radiance), was released posthumously in 1946 and has been reprinted ten times since 2008, making it the most frequently reprinted volume of poetry in Sudan to date.

Many critics have drawn parallels between him and the Tunisian poet Abul Qacem el-Chabbi, as both poets infused their works with a profound sensitivity to suffering and a defiant spirit of hope. However, al-Tijani stands out for his reflections on the universe, and his wrestling with philosophical questions of existence and faith. His famous poem, "*The Tormented Sufi*" vividly describes the poet's journey in pursuit of the ultimate truth.

What secrets of the universe this atom holds?

within its tiny folds!

Examine it inside out and unite with its inner depth.

Fly around and explore its piety-laden realms.

Shuttle between big and small atoms.

You will see the whole universe in ceaseless prayer.

According to Edward Atiyeh, however, Nur's return was motivated by more than just his failure to secure employment; it stemmed from a profound sense of estrangement in his own homeland. "The gulf between his mental life and his native environment had become immense. He no longer had an anchorage in Sudanese life, and his tragedy was that he had failed to find a new anchorage elsewhere." (Atiyeh, 1946, p. 180) No wonder he lost himself entirely in Western fiction, among the fictional worlds of Dostoevsky, Thomas Hardy, and Aldous Huxley." (Bannaga, n.d., p. 14).

On a more external level, Nur's fascination with Western culture revealed itself in various aspects of his life. As Bannaga notes, he wore a bow tie, stayed in hotels upon returning to Sudan, and spent his leisure time playing tennis at his uncle's court and billiards at the Omdurman Club. He also fell in love with a blonde girl who owned a phonograph.

Atiyeh, however, insists that despite Nur's deep attachment to Western culture, he was a nationalist, "but a new kind of nationalist in the Sudan, and very rare indeed in the whole of the Near East." To him, Nur was "a self-critical nationalist, a rational and constructive rationalist who repudiated not only the blind emotional upsurge of hostility to the West, but also the abstract purposeless craving for independence as an end in itself. He wanted nationalism to start by being a movement of internal creation, of economic development, cultural progress and social reform, before it became a revolt against external control. (Atiyeh, 1946, p. 179).

By the time Nur returned to Cairo, he was a broken man, his spirit crushed and his heart heavy with bitterness. A series of health crises had brought him to the brink of psychological collapse, a decline hastened by the loss of his mother. After a brief stay in a psychiatric hospital in Cairo, he was discharged in a pitiable state of disorientation and sent home. There, he withdrew completely, isolating himself in his room and refusing all interaction with others. Deprived of proper medical care, his condition rapidly worsened. Matters deteriorated further when his family turned to superstition. A healer, summoned in desperation, declared that a demon had possessed Nur's body. He subjected him to repeated whippings, (rituals meant to drive out the spirits) that left Nur physically and emotionally broken. In the end, it was this ordeal that precipitated his death.

3. Al-Tijani Yusuf Bashir: My Heart is Weighed down with Grief:

A case no less tragic was that of Sudanese poet al-Tijani Yusuf Bashir, another striking instance of brilliance that faded far too early. Al-Tijani's brief life (1912–1937) was marked by exceptional talent and profound personal suffering.

Edward Atiyeh, Nur's teacher at Gordon Memorial College, who later became a close friend of his, describes Nur's first years in Cairo as remarkable. He wrote: "The fragile young Sudanese, very dark in complexion, with inspiration in his flashing eyes and mirth in his flashing teeth, his fierce idealism and burning literary passion, his prodigious reading and over-flowing mind, was something new in Cairo literary circles. He attracted the attention of the distinguished Egyptian writer Abbas El Aqqad and was welcomed into his set. His literary articles applying European canons of criticisms to Arabic literature, rapidly gained him a name, and well-known writers came to value his opinions. For some time, he was intensely happy; happy in his spiritual triumphs, and happy in the ascetic rigours of his material life." (Atiyeh, 1946, p. 178)

Nur's articles found their way easily not only to Cairo's leading Arabic and English publications, such as *al-Jihad*, *al-Balagh*, *al-Siyasa Weekly*, *The Egyptian Mail*, and *The Egyptian Gazette*, but even found a place on pages of *The Times* of London. Egyptian intellectuals who had studied in England remarked with admiration at how *The Times* published Nur's work almost immediately on submission. In *al-Musawwar* magazine, Fikri Abaza marvelled at how a young Sudanese educated at Gordon Memorial College (GMC) in Khartoum could achieve that while many literary figures with Oxford and Cambridge pedigree—and years of residence in London—could not. Even Nur's former teacher at GMC, Edward Atiyeh, noted that he (Atiyeh) had been sending articles to *The Times* for thirty years without success, while Nur's pieces were readily accepted for publication (Al-Khalifa, 1988, pp. 119–120).

Although Nur rose to prominence quickly and became a star in Cairo's literary circles, the income from his articles was barely sufficient to meet his basic needs. He lived in a small room in Heliopolis "amid little furniture but stacks of books and papers in the disorder proper to the artistic temperament", living most days on bread and cheese in his garret (Atiyeh, 1946, p. 178). Before long, severe malnutrition, illness and depression took their toll on his health and he finally yielded to his uncle's insistence on taking him back to Sudan.

Nonetheless, back at home, his situation did not improve. He failed to secure a post that matched his qualifications. His application to join the teaching staff of Gordon Memorial College was turned down, and he was offered instead a minor post in the Ministry of Finance, a position that neither suited his abilities or interests. This led many observers to believe that the colonial authorities were not enthusiastic about Nur's stay in Sudan, apparently viewing him as a threat (mainly because of his Egyptian links). As a result, Nur grew so deeply disillusioned with Sudan's colonial government that he returned to Egypt once again.

"An artist who has not been touched by a spark of a fully formed stream of consciousness—one that enables him to discern similarities in seemingly disparate things and appearances, or to identify the elements, forces, and ideas that work together to produce a (creative) idea or image out of our daily lives—lacks the sensibility and imaginative power that compel the reader to listen and attune to his voice." (El-Bashir, 1970, p. 257).

Al-Fiya describes this article as "a manifesto for Arab literary modernism, published well before its time" (Al-Fiya), noting that Arab poets and writers did not begin to seriously engage with modernism until well after the mid-twentieth century.

It was through the above-mentioned article that the term "stream of consciousness" reached the Arabic readers for the first time. This technique was one of the most significant stylistic characteristics introduced by T.S. Eliot to English poetry. Nur had previously elucidated the meaning of this term in an introduction to a short story he wrote under the title "The Place- an analytical story", which was published in *Misr* newspaper on November 11, 1931. In that introduction, Moawya wrote: "After I finished writing this story, I thought I should help the Arabic reader understand this type of narrative as it had just been introduced even in Europe itself. It is the latest manifestation of the analytical story, a new genre that gained currency in Europe only ten years ago in the hands of the French writer Marcel Proust, and also through the works of Catherine Mansfield and Virginia Woolf." (El-Bashir, 1970, p. 370)

The short stories Nur wrote marked a clear departure from the dominant trends in short fiction at the time, which tended to revolve almost exclusively around love. In *His Cousin*, he tackles the issue of social disparity between the rich and the poor, and its troubling consequences, including deepening class resentment. In *Faith*, he explores how ideological and intellectual conflict can drive thinkers to the brink of madness. *The Space*, as previously noted, was ahead of its time: it was the first story in Arabic literature to employ the technique of internal monologue, or stream of consciousness.

In addition to writing fiction, Nur published several critical articles on the works of major fiction writers of the day, including Ibrahim al-Mazini, Mahmoud Taymour, Mohammed Taymour, Kamil Kilani, Mohammad Hussein Haykal, and others. His criticism was grounded in the emerging canons of literary criticism that were just beginning to take root in the West.

Before completing his second year at Kitchener Medical School, he boldly walked away, quietly but resolutely fleeing to Egypt. His family, alarmed by this decision, naturally thought him mad to abandon the splendid chance offered him of free medical training and a secure, lucrative government career.

Pulling a few strings, his family managed to bring their son back home. But Nur adamantly refused to go back to the medical school. His family eventually relented, and thanks to his mother's financial support, he was sent to the American University of Beirut (AUB) to study literature.

It was in Beirut that he found the greener pastures he had long sought. His time at AUB offered him a deep immersion in Western literature, an experience that would profoundly shape his literary career.

During his university years, and later in Cairo, he made a name for himself as a regular contributor to Egypt's leading publications of the time. Dozens of his literary essays, social critiques, and short stories appeared in *al-Muqtataf*, *al-Hilal*, *al-Risalah*, *al-Balagh*, and other papers and magazines.

His writings revealed a keen engagement with the works of T. S. Eliot, Ezra Pound, D. H. Lawrence, Edith Sitwell, T. E. Hulme, among others. He is widely credited with introducing these modernist writers to Arab readers. According to Dr. Muhammad Abdel Hai, Nur was the first Arab critic to write about that emerging modernist current in Western poetry, using it as a critical lens through which he evaluated the work of prominent Arab romantic poets such as Ali Mahmud Taha and Ibrahim Naji, at a time when their popularity was at its peak (Abdel Hai, qtd in Al-Fiya 30).

According to Abdel Hai, the first mention of T. S. Eliot in the Arab World appeared in an article by Nur analysing the structure of A. M. al- 'Aqqād's poetry. In this critique, published in al-Jihad newspaper on May 3, 1933, Nur examined selections from al- 'Aqqād's work through the lens of Eliot's newly introduced concepts, such as the "objective correlative," and the "music of poetry."

The second mention of Eliot was in an article that appeared on *al-Risala* magazine in two parts (15 & 22 October 1934) under the title: "My Poet Friends, This Leads Nowhere". In this article, Nur sharply criticised the Arab romantic poets of the time, for their "outdated styles and themes", and urged them to produce poetry that engages with the realities of modern life (Al-Fiya). To him, a poet who is not moved by the currents of contemporary thought, and is unable to hear, read, contemplate, and see the defects in our current life system cannot be regarded as a true poet. (El-Bashir, 1970, p. 257).

anguish: the stifling atmosphere that gripped the Soviet Union in the aftermath of perestroika, “which cast a dark shadow over him and may have contributed to his decision to end his life.”

It seems, though, that all the above factors had a stake in shaping the emotional and psychological burden that weighed heavily on Abu Zikra in his final years, culminating in a profound sense of disillusionment and despair. His writing was cerebral, layered, sometimes elusive but always searching. He wrote not to impress, but to understand. And in that search, he became increasingly estranged from institutions, from peers, perhaps even from himself. To read Abu Zikra is to enter a mind at war with itself: lucid, restless, and quietly breaking. His legacy is not just in what he wrote, but in what he could no longer say.

His death, by suicide, was not merely a personal tragedy. It was a rupture in Sudan’s literary consciousness, a reminder that genius does not shield one from despair, and that the cost of intellectual and emotional depth can be unbearable in a society that demands clarity, certainty, and resilience.

The dramatic end of Abu Zikra was by no means isolated. Many poets and writers across the world took that course, from Hemingway and Sylvia Plath in the United States, Virginia Woolf in England, Mayakovsky in Russia to Khalil Hawi in Beirut.

2. A Phenomenon? The Case of Moawya Mohammad Nur:

Abu Zikra’s life ended in despair, but his story was far from unique in Sudan’s literary landscape. Many of the country’s brightest minds navigated the delicate tension between personal genius and societal pressures, often with tragic consequences. Though others, like Moawya Mohammad Nur and al-Tijani Yousif Bashir, did not take the drastic step of suicide, they nonetheless died young at 37 and 25 respectively, leaving behind legacies marked by brilliance and sorrow.

Nur’s life, in particular, illustrates a different but equally haunting trajectory, revealing how recognition, exile, and societal misunderstanding shaped the fate of Sudanese visionaries

Nur (1904–1941) seemed destined for success, with everything going for him. Born into a wealthy, well-connected family, his academic promise was clear from the outset. Exceptional exam results earned him a place at Sudan’s only medical school, reserved for the country’s brightest students. Yet, even amid such opportunity, Nur’s heart belonged elsewhere. He found his “spiritual home” in English literature, which “had cast its spell over his mind” (Atiyeh, 1946, p. 144).

*The eyes nearly bruised her perplexed lids.
And her hair, running away from the wailing wind and rain,
was surprised to find the wind and the rain right here.
The wind was blowing on the café from all directions.
May the Lord who raised the heaven and fixed it in place
protect this captivating brilliance,
desperately seeking warmth despite the siege of these eyes!
And she slid back to the rain.
Silence reined for a minute
then the café regained its din and dust;
the waiter wiped off beads of sweat
and started to collect the broken glass fragments.
The jug came to its senses
and started anew pouring tea into cups.
Outside, it started to rain again!*

(Babikir, 2019, pp. 44-45).

Yet it can be said that Abu Zikra's changing poetic voice mirrors, to some extent, the broader shifts from the idealistic fervour of the 1960s to the melancholy and fragmentation that came to define the 1970s and 1980s. Testimonies from those close to the poet speak of recurring bouts of depression that began in the 1970s and deepened over time, ultimately culminating in his suicide in 1989. Dr. Abdelgadir El-Rufai, a close friend, recalls how Abu Zikra became increasingly withdrawn in his later years, profoundly affected by the repression his people suffered under Nimeiri's dictatorship (1969–1985). Dr. Badawi el-Amin points to the Islamist coup of June 1989 as the immediate trigger that pushed him over the edge. Meanwhile, Mustafa Sirri, who was studying in Moscow at the time, highlights another source of

Furthermore, it is not difficult to discern a muted note of discontent beneath even the ostensibly cheerful mood of his 1960s poems. A case in point is *'The Night Girl'*: despite its jovial tone, the poem is imbued with a sense of unease that complicates its surface exuberance:

*When she turned in,
all the neon lights suddenly glowed.
Outside the café, the downpour stopped
and so did the chatting.
On the way to the cups, the tea jug froze.
Amid the utter silence, a glass exploded against the tile floor.
The waiter turned his head, but his eyes got stuck in transit:
A girl!
O my Lord!
Your protection,
for the blooming eyes
for the flowing braids.
What a beauty! What a vigor!
Blessed is the Creator!
Those eyes flew down,
tearing off the stillness of the place.
The clients darted under the overflowing braids,
coaching themselves on the fragrance of her rain-wet dress.
No. That's not the right way!*

for perseverance

We vainly try to deceive them with false smiles

and narrow eyes, distracted looks

They have grown helpless

When we push on the button, we get nothing but the same laugh

The same story

The same debacle!

(Babikir, 2019, pp. xxiii-xxiv)

Yet the boundary between these two periods, as outlined by Hussain, appears less sharply defined than it might first seem. Hussain himself admits that the poet's cheerful mood of the 1960's was by no means fanciful or dreamy. The poet remained sensitive to the people's needs and aspirations, closely attached to the poor, soothing their sufferings, and raising their morale.

If I owned this world

and if the powerful jinn soldiers of Solomon were still alive

I would order "Karima" to send me hills of fresh "gondaila" dates

I would order deliveries of ivory and beech

I would order the Kandakas [Kushite queens] to recall the legends of Meroe

I would run water springs for us to wash

And would weave a bracelet of yearning into a love poem

for a face shining with beauty like a bright moon.

("Hob al-Fuqaraa")

(Babikir, 2019, p. xxiii)

(Assayha, 2022)

Although the notions of escape, frustration, and death featured prominently in most of Abu Zikra's poetry, critic Jabir Hussain refers to what he called two distinct voices. A highly optimistic, positive voice that marked his production during the 1960s, and a melancholic voice that started to hold sway over the poet from the 1970s, leading to his tragic death in 1989 (Babikir, 2019, pp. xxii-xxiii).

The first era presents a cheerful voice, full of life and hope.

*Light illuminated my window this morning
It spilled its luminous water and crystals under the door
It couldn't catch an inside view
except a sigh of longing
and me staring at the waking up windows
to hear chatters around breakfast tables
and at that point feel the bliss of life
soft and sweet, invading my ribs
In my rapture
I almost flew to embrace the buses, the pavement
swim in the green lake of a tree growing at my doorsteps
and drown in the dew of the eyes of a pretty girl.*

(Babikir, 2019, pp. xxii-xxiii)

In sharp contrast to the 1960s, according to Hussain, his '70s poems were replete with gloomy ideas and scepticism.

*Our old friends are pushing us towards suicide
They are no longer a source of inspiration*

moons, clouds, birds, and windows throughout, form a rich symbolic lexicon of ascension, transcendence and escape. These elements serve as a persistent metaphor for his longing to break free from earthly confines (Elgizouli, 2006, p. 21).

Wait for me.

For I am traveling at night too,

alone, setting off on a long journey.

In the remote passageways wait for me.

In the desert highlands and by the sea

wait for me.

In the flapping of wings

and the routes of the migrating birds,

when the orbits collapse

and the sky grows gloomy and dark,

wait for me.

(Babikir, 2019, pp. 42-43)

Yet this profound longing for 'escape' and 'ascension' was not hopeful or romantic; it was rooted in a deep frustration as he watched his dreams of a better world slowly fall apart. Elgizouli believes that Abu Zikra's heart was not tied to any particular revolution, nor did it place hopes in any specific ideology. Rather, "it was the yearning for revolution per se, for the act of transformation and for an alternative existence, that propelled his poetry toward horizons of profound novelty and vast human possibility" (Elgizouli, 2006, p. 14).

Yesterday, after sunset,

I walked, seeking distant paths—

wandering through the dreadful world of the dead,

the world of the mute and the silent.

A mighty wing enfolded me,

through the paths of galaxies, among the stars.

No such note was found in Abu Zikra's room following his tragic jump from the top of the Soviet Science Academy building in Moscow. Determined to leave behind no clues, he had burned most of his papers and clippings. Yet, his poems carry many clues. His sole collection, *al-Raheel fil 'layl* (Parting at Night), is teeming with references to death, with verses that echo with silence, grief and the slow pull towards the abyss.

Death will come

It will have your eyes

This death is keeping our company

day and night

Sleepless, deaf

like a veteran grief

or a meaningless sin

Your eyes, then, will be meaningless words

a muffled cry, silence

Silently, we will sink to the abyss
(Babikir, 2019, p. xxii)

In that same letter to his friend, Abu Zikra elaborates on his dilemma:

“With little effort, I feel I could help solve my country's problems, and I am fully prepared to give my life for its sake. But if I continue down this path, I will meet nothing but a cheap death. One similar to Shakespeare's great heroes. They were courageous enough to confront all the forces of darkness, yet each carried a single flaw that sealed his fate: Othello, jealousy; Hamlet, hesitation; Lear, excessive kindness; Macbeth, doubt. Each bore within him his own Trojan horse, the hidden seed of his destruction”. (Elgizouli, 2006, p. 14). He saw himself in these renowned antiheroes, each undone by a flaw they carried within them

As Elgizouli notes, Abu Zikra was profoundly and spiritually drawn to the heights, which, for him, represented a yearning for liberation and an imagined, alternative existence. His works brimming with recurring references to stars, suns,

others. His academic performance was highly praised by his supervisor professor Vladimir Shagal, a distinguished Arabist and translator who taught at Moscow's Institute of Asia and Africa. Shagal was renowned for translating Arabic literary works into Russian, including masterpieces by Sudanese novelist Tayeb Salih and Egyptian Nobel laureate Naguib Mahfouz.

Shagal described his student as a man “of rare intellect and exceptional talent”. In appreciation of that talent, he even offered to work with him on translating a glossary of Russian literary terms to Arabic, commissioned to Abu Zikra by a Russian publisher.

Yet, despite his significant academic and literary success, Abu Zikra’s life in Russia was punctuated with intermittent bouts of depression and nervous exhaustion.

In a letter to his friend and fellow poet Kamal el-Gizouli, Abu Zikra vividly describes the fits of “this thing called nervous exhaustion”. From a periodic occurrence, it developed into a haunting visitor, he described as “wedging pegs into my soul”, that reduced him to an alienated figure. “When I sit with others, I feel stifled; when I sit alone, I feel drained. I read books and die of boredom and fatigue.” More chilling and serious in its implication, “Sometimes I got haunted by that terrifying thing Mayakovsky spoke of in his will.” (Elgizouli, 2006, pp. 13-14).

Abu Zikra was referring to Mayakovsky’s suicide. Before ending his life by pressing the muzzle of his revolver to his temple and pulling the trigger, the renowned Russian poet had written a brief final note:

*In case of misadventure –
do not blame anyone –
and please no gossip.
The deceased especially detested that.*

*Mama, sisters, comrades, forgive me –
this is not the way (I do not recommend it to others),
but there is no other way.*

(...)

*And, as they say, the incident is closed.
Love’s boat has smashed against the daily grind.*

(Mayakovsky, 2013, pp. 155–156).

However, the same voice that inspired also provoked. He was caught in the left-right crossfire when he composed a controversial poem that antagonised the Islamists, who dismissed it as “an attack on Islam”. This was a key factor in prompting him to discontinue his studies and leave Khartoum for the former USSR in 1966. It was not just a departure from home, but a retreat from the ideological tensions that had once inspired him.

During his stay in Russia, from 1966 to 1973, he became fascinated with Russian literature and immersed himself into it. He obtained an M.A. in Russian language and literature from the Peoples’ Friendship University in Moscow, and a diploma in Russian–Arabic translation in 1971.

In 1973, Abu Zikra returned to Sudan and joined the Ministry of Culture and Information. In his absence Sudan witnessed a dramatic political shift, with the ascendancy of the left, following the May 1969 coup by Gaafar Nimeiri. The Communist Party, a dominant voice in the left, split over the coup, with a faction joining the new regime, while the mainstream party preferring cautious support from a distance. The tensions exploded into open conflict when Nimeiri purged his government from Communists starting from 1970, leading to a failed Communist-backed coup in July 1971. That was followed by a severe crackdown on the Communist Party and the execution of its leaders. A peace deal stopped the war in the South in March 1972, and Nimeiri endorsed a new constitution and declared himself a president in 1973.

Abu Zikra’s return coincided with apparent end to turmoil. That same year, his first poetry collection, *Departing at Night*, was published by Khartoum University Press. What followed was a period of remarkable literary productivity, as he became a prominent contributor to newspapers, and journals, publishing poetry, literary criticism, and translations. He held key editorial roles in *Al-Ayyam* newspapers’ Cultural Supplement, as well as *Sudanese Culture Magazine*, where he served as managing editor from 1976 to 1978. His work also appeared in leading Arab literary outlets such as *Lotus*, *Egyptian Poetry Magazine* and *Al-Hilal*.

He briefly taught as a part-time lecturer in the Department of Translation at the Faculty of Arts, University of Khartoum, before heading back to Moscow to pursue postgraduate studies. There, he enrolled at the Institute of Oriental Studies, part of the Soviet Academy of Sciences, where he earned a PhD in philology. His dissertation was on the characteristics of translation from the Russian language, with a focus on Anton Chekhov.

In addition to Chekhov, he translated extensively from the works of great Russian writers such as Mayakovsky, Pushkin, Sergey Yesenin, Pasternak, and

a silence that grew heavier with time.

There was never any doubt about his genius, a celebrated poet, a scholar of rare agility, his words carried weight. Yet, somewhere in those verses, you can hear it: the longing to escape, the slow unravelling. His final act wasn't only despair. It read like the last line of a life shaped by brilliance, burden, and a kind of loneliness that rarely found space beyond the page.

Before Moscow, before the thirteenth floor, there was a meteoric rise. A wide-eyed, aspirational young man, with the world at his feet and an unshakable sense that "life had set aside a place for him that no one else could fill" (Elgizouli, 2006, p. 13).

That conviction was not unwarranted. His literary and academic talent had blossomed early, during his high school years in Khor Taggat, a school known for attracting the brightest minds from across Sudan. Even then, he stood apart, not just for his academic excellence, but for the clarity and conviction of his voice. He composed a poem that became the school's anthem, recited each morning by generations of students:

*From this radiant spot
In this stubborn African land,
From the great Taggat,
I proudly play this anthem.*
(Yahya, 2007, p. 45).

That early promise carried him to the University of Khartoum in 1963, a time when Sudan was still navigating the fragile possibilities of post-independence. The October 1964 uprising, which toppled the country's first dictatorship, ushered in a volatile era of ideological clashes. Abu Zikra, progressive and unflinching, stood at the heart of it. He lent his poetic voice to the hopes of a generation yearning for democracy and freedom. His words appeared in *al-Milad (Birth)*, a wall newspaper where existential questions and the ideas of Jean-Paul Sartre and Colin Wilson were debated with urgency. He was also close to the *Apadamak movement*⁽¹⁾, a cultural group reclaiming Nubian heritage as a cornerstone of Sudanese identity.

Escape to Moscow and Triumphant Return:

(¹) The Apadamak cultural group, established in Sudan during the late 1960s, drew inspiration from the ancient Nubian deity Apedemak—a lion-headed god revered in the Kingdom of Kush. Their formation reflects a broader movement to reclaim and celebrate Nubian heritage and identity during a time of cultural revival.

Introduction:

Some lives are remembered for what they gave the world; others for what the world took from them. In Sudan's literary history, a few names stand out, not just for the brilliance of their words, but for the weight they carried in silence. Abu Zikra, Moawya Nur, al-Tijani Bashir, poets, and Jamma' thinkers, men of rare insight. Their writing shaped generations, but behind the verses lay lives marked by fatigue, estrangement, and a sorrow that rarely found expression beyond the page.

This paper is not an attempt to romanticise suffering. It is a reflection on the emotional and political pressures that shaped, and sometimes shattered, the lives of Sudan's most gifted literary minds. For much of the 20th century, Sudan's poets wrote in the shadow of colonial rule, fractured independence, and authoritarian regimes that alternately celebrated and silenced them. Their work became a vessel for national longing, but the cost of carrying that weight was often personal and profound.

Through fragments of memory, poetry, and historical context, the thread between brilliance and burden is traced, asking what gets lost when the work is celebrated while overlooking the human cost.

This article adopts an interdisciplinary interpretive approach combining literary analysis, historical contextualisation, and biographical reflection. Through close engagement with poetry, prose, memoirs, and secondary criticism, it examines the relationship between literary genius, psychological burden, and socio-political dislocation in modern Sudanese writing.

1. Precocious Brilliance:

In the early hours of November 5, 1989, Abdel Rahim Abu Zikra threw himself from the window of his room on the 13th floor of the Russian Academy of Sciences building, crashing onto the pavement of Ostravitianova Street.

He fell, diving into the grey hush, landing on the hard, frosty, unforgiving pavement below. But in truth, he had been falling for a long time. Not visibly, not physically, but deeper into an inner abyss formed by years of exhaustion, exile, and the unspoken pressure to keep going.

He was brilliant, by every conventional measure, academic awards, linguistic mastery, a mind that danced effortlessly between philosophy and poetry. But Abu Zikra's life was not merely a triumph of intellect over circumstance. Behind the scenes, beneath the accolades was a slow unravelling, marked by exile, isolation, and

Talent and Torment: The Emotional Burden of Literary Genius in Modern Sudanese Writing

Eiman Abbas El-Nour -Associate professor Department of English, Al-Neelain University
Khartoum.

Adil Babikir-Literary Translator. UAE

Abstract

This article explores the emotional and psychological burden carried by literary genius in modern Sudanese writing, through the works and tragic lives of four highly gifted figures: Abdel Rahim Abu Zikra, Moawya Mohammad Nur, al-Tijani Yusuf Bashir, and Idris Jamma' whose paths ended in collapse, silence or early death. By interpreting their poetry, prose and personal histories against the political and cultural pressures of colonial and post-independence in Sudan, the article traces how exceptional intellectual sensitivity collided with exile, ideological fracture and the absence of sustained institutional support. Forces that proved pivotal in shaping their arduous journeys and were instrumental to their tragic outcomes. Rather than treating suffering as a romantic or inevitable feature of creativity, the discussion situates these lives within wider patterns of cultural dislocation and national disillusionment. Through textual engagement and historical reflection, the article foregrounds the human cost of literary production in contexts where belonging, stability, and fulfilment remained persistently out of reach.

Keywords: Sudanese literature; cultural dislocation; genius and suffering; postcolonial trauma; exile; intellectual alienation

المستخلص

تتناول هذه الدراسة العبء الوجداني والنفسي الذي لازم العديد من المواهب الأدبية المتفردة في السودان الحديث، من خلال النظر في المنتج الأدبي لأربعة من أبرز مبدعي السودان، وهم عبد الرحيم أبو ذكرى، ومعاوية محمد نور، والتيجاني يوسف بشير، وإدريس جماع، والمسار التراجمي الذي لازم رحلة حياتهم فألت بهم إلى الانهيار أو الصمت أو الرحيل المبكر. ومن خلال قراءة الأعمال الشعرية والنثرية لهؤلاء الأدباء وسيرهم الشخصية في ضوء الضغوط السياسية والثقافية التي سادت خلال حقبي الاستعمار وما بعد الاستقلال في السودان، تتقصى الدراسة كيف تأثرت حساسيتهم الفكرية المفرطة بعوامل المنفى والانقسام الأيديولوجي وغياب الحاضنة المؤسسية القادرة على رعاية إبداعهم. مما كان له أبلغ الأثر في الدفع بهم عبر مسارات شائكة انتهت بهم إلى مصائر مأساوية. ولا تنظر هذه الدراسة إلى المعاناة بوصفها ملمحاً رومانسياً أو قدراً ملازماً للإبداع، بل تضع تجارب هؤلاء الكتاب في سياقات الاغتراب الثقافي والخيبت الوطنية. ومن خلال الجمع بين التحليل النصي والتأمل التاريخي، تسلط الضوء على الكلفة الإنسانية للإنتاج الأدبي في بيئة ظل فيها الإحساس بالانتماء، والاستقرار، وتحقيق الذات، أهدافاً عصية المنال.

الكلمات المفتاحية: الأدب السوداني؛ الانفصال الثقافي؛ العبقرية والمعاناة؛ صدمة ما بعد الاستعمار؛ المنفى؛ الاغتراب الفكري

Amsterdam: John Benjamins.

- Jiménez-Crespo, M. A. 2023. *Localization and AI Translation*. London: Routledge.
- Kenny, D. 2022. *Machine Translation for Human Translators*. London: Routledge.
- Koponen, M. 2021. *Post-Editing Machine Translation and Quality Evaluation*. Amsterdam: John Benjamins.
- Massey, G. 2024. “Human–Machine Interaction in Translation”. *Translation and Interpreting Studies*, Vol. 19, No. 1, Amsterdam, pp. 22–40.
- Moorkens, J. 2022. “Ethics in Machine Translation”. *The Translator*, Vol. 28, No. 3, London, pp. 211–226.
- Moorkens, J., & Kenny, D. 2024. “Generative AI and the Translation Profession”. *AI and Society*, Vol. 39, No. 2, London, pp. 145–160.
- Munday, J. 2022. *Introducing Translation Studies: Theories and Applications*. London: Routledge.
- O’Brien, S. 2022. *Machine Translation Usability*. London: Routledge.
- O’Hagan, M. 2021. *The Rise of Intelligent Translation Technologies*. London: Palgrave Macmillan.
- Olohan, M. 2021. *Translation and Technology*. London: Routledge.
- Pym, A. 2020. *Translation Technology and Professional Practice*. London: Routledge.
- Rico, C. 2023. “AI and Translator Training”. *Interpreter and Translator Trainer*, Vol. 17, No. 2, London, pp. 101–118.
- Risku, H. 2021. *Translation Practice in Digital Environments*. London: Routledge.
- Vieira, L. N. 2021. “Post-Editing and Translation Quality”. *Translation Spaces*, Vol. 10, No. 2, Amsterdam, pp. 134–149.

References

- Abdelaal, N. 2025. "Utilizing ChatGPT for Subtitling Movies: A Comparative Analysis of Accuracy and Fluency with Human Translators". *Journal of Translation Studies*, Vol. 8, No. 2, Cairo, pp. 44–61.
- Andani, A. D., Sinaga, J. B., Putri, S. R., & Andriani, R. 2025. "Human and Machine Collaboration in Translation: A Systematic Review of Emerging Practices". *Journal of Translation and Technology*, Vol. 12, No. 2, Jakarta, pp. 45–67.
- Angelone, E. 2023. *Translation Process Research*. London: Routledge.
- Baker, M. 2021. *Corpus Linguistics and Translation Studies*. London: Routledge.
- Bowker, L. 2023. *Machine Translation and Global Research*. New York: Routledge.
- Cadwell, P. 2022. *Human Factors in Translation Technology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Carl, M. 2021. *Translation Process and Cognitive Effort*. Amsterdam: John Benjamins.
- Chen, C. L., et al. 2025. "AI Machine Translation Tools in Critical Care Education". *Journal of Medical Education Technology*, Vol. 18, No. 2, New York, pp. 45–58.
- Cronin, M. 2021. *Translation in the Digital Age*. London: Routledge.
- Davis, F. D. 1989. "Perceived Usefulness, Perceived Ease of Use, and User Acceptance of Information Technology". *MIS Quarterly*, 13(3), pp. 319–340. <https://doi.org/10.2307/249008>
- Doherty, S. 2022. *Automated Translation and Localization*. London: Routledge.
- Ehrensberger-Dow, M. 2023. *Translation Technology and Cognitive Processes*. Amsterdam: John Benjamins.
- Frey, C. B., & Osborne, M. A. 2017. "The Future of Employment: How Susceptible Are Jobs to Computerisation?". *Technological Forecasting and Social Change*, 114, pp. 254–280. <https://doi.org/10.1016/j.techfore.2016.08.019>
- Fu, L., & Liu, L. 2024. "A Comparative Study of Generative Artificial Intelligence Translation and Human Translation of Scientific Texts". *Journal of Translation Studies*, Vol. 12, No. 1, Beijing, pp. 33–49.
- Gaspari, F. 2020. "Machine Translation and Professional Translators". *Translation Spaces*, Vol. 9, No. 1, Amsterdam, pp. 55–72.
- House, J. 2020. *Translation Quality Assessment: Past and Present*. London: Routledge.
- Hutchins, W. J. 2020. *Machine Translation: History and Development*.

7. What new skills should future translators develop to work effectively with AI?

.....
.....
.....
.....

8. What ethical concerns do you have regarding AI-assisted translation?

.....
.....
.....
.....

9. How important is post-editing in AI-generated translations?

.....
.....
.....

10. What recommendations would you make for improving AI-assisted translation in professional practice?

.....
.....
.....
.....

Thank u

Appendix B

Semi-Structured Interview Questions

1. How has Artificial Intelligence changed your translation practice?

.....

.....

.....

2. Which AI translation tools do you use most frequently? Why?

.....

.....

.....

3. What are the main strengths of AI-assisted translation?

.....

.....

.....

4. What limitations have you experienced while using AI translation systems?

.....

.....

.....

5. In which types of texts do you prefer human translation rather than AI? Why?

.....

.....

.....

6. Do you believe AI will replace professional translators? Please explain.

.....

.....

.....

Disagree

Strongly Disagree

14. The future of translation depends on collaboration between human translators and AI technologies.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

15. Professional translators will remain indispensable despite rapid advances in Artificial Intelligence.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Thank you

11. I believe AI technologies positively support professional translators rather than threaten them.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

12. AI literacy should be integrated into university translation programs.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Five

Objective (5)

Discuss the future role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

Statement

13. AI will completely replace professional translators in the future.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

9. AI-generated translations require human post-editing before publication.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Four

Objective (4)

Explore translators' perceptions toward AI technologies.

Statement

10. I feel confident using AI-assisted translation tools in my translation work.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Disagree

Strongly Disagree

6. Human translators are better at preserving cultural and contextual meanings than AI systems.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Three

Objective (3)

Investigate the advantages and limitations of AI translation systems.

Statement

7. AI translation systems provide grammatically accurate translations.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

8. AI systems have difficulty translating idioms, metaphors, and culturally specific expressions.

Strongly Agree

3. AI-assisted translation has become an essential part of professional translation practice.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Section Two

Objective (2)

Compare human translation with AI-generated translation.

Statement

4. Human translators produce more accurate translations than AI systems in complex texts.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

5. AI translation performs well in technical and scientific texts.

Strongly Agree

Agree

Neutral

☐ 5–10 years

☐ More than 10 years

Country

.....

Section One

Objective (1)

Examine the impact of AI-assisted translation on professional translation practices.

Statement

1. AI-assisted translation has significantly improved my translation productivity.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

2. AI tools reduce the time required to complete translation tasks.

Strongly Agree

Agree

Neutral

Disagree

Strongly Disagree

Appendix A

Questionnaire

AI-Assisted Translation and the Future of Professional Translators

Instructions

Please indicate your level of agreement with the following statements by selecting one response.

Demographic Information

Gender

☐ Male

☐ Female

Age

☐ Under 25

☐ 25–35

☐ 36–45

☐ Above 45

Occupation

☐ Professional Translator

☐ Translation Instructor

☐ Postgraduate Student

Years of Experience

☐ Less than 5 years

- 6/ Further studies should investigate the impact of Artificial Intelligence on translation in Arab and African contexts.
- 7/ The study also supports the views of Rico (2023), who emphasizes integrating AI literacy and technological training into translator education programs.
- 8/ Additionally, Olohan (2021) stresses the necessity of preparing future translators for technology-oriented translation environments.

The study focused on translators' perceptions rather than experimental comparisons of translation quality.

The cross-sectional design reflects participants' views at a particular stage of AI development.

Economic impacts, employment trends, and clients' perspectives were beyond the scope of the present study.

5.3. Conclusion

Artificial Intelligence has become a transformative force in translation studies and professional translation practice. AI-assisted translation systems have improved translation speed and accessibility while introducing new opportunities for collaboration between humans and machines.

The findings of this study support both the Technology Acceptance Model and Displacement Theory. While translators increasingly recognize the usefulness of AI-assisted translation technologies, they also emphasize that human expertise remains essential for ensuring translation quality, cultural appropriateness, and ethical responsibility.

Despite these advancements, AI technologies cannot fully replace professional translators because translation involves creativity, contextual understanding, ethical judgment, and cultural sensitivity. Therefore, the future of translation will likely depend on cooperation between AI technologies and human expertise rather than complete automation.

5.4. Recommendations

- 1/ Artificial Intelligence technologies should be integrated into translation education programs.
- 2/ Translators should be trained in post-editing skills and AI-assisted translation techniques.
- 3/ Ethical and legal frameworks should be developed to regulate the use of Artificial Intelligence in translation.
- 4/ Collaboration between human translators and AI systems should be encouraged to achieve higher translation quality.
- 5/ Greater attention should be given to developing translators' cultural and creative skills.

repetitive texts.

The findings are consistent with the Technology Acceptance Model (Davis, 1989), which explains translators' acceptance of AI technologies through perceived usefulness and perceived ease of use. Participants considered AI-assisted translation valuable because it improves productivity and translation efficiency.

However, AI technologies continue to face significant challenges in handling cultural adaptation, pragmatic interpretation, emotional expression, and creative translation. Consequently, human translators remain indispensable in contexts requiring deep contextual understanding and intercultural competence.

The study also indicates that future translators must develop technological competence alongside linguistic and cultural expertise in order to remain competitive in the digital translation market.

The findings also support Displacement Theory, which argues that technological innovations reshape professional roles rather than eliminate them. The results indicate that AI is transforming translators' responsibilities toward post-editing, quality assurance, and human-AI collaboration rather than replacing professional translators altogether.

The findings of the present study support the arguments of Massey (2024), who states that the future of translation depends on effective human-machine interaction rather than technological replacement. Likewise, Moorkens and Kenny (2024) argue that generative AI technologies are reshaping translators' professional roles while increasing the importance of post-editing and quality control.

Furthermore, Chen et al. (2025) demonstrate that AI-powered translation tools can facilitate multilingual communication in specialized fields such as medical and critical care education, although human supervision remains necessary to ensure terminological accuracy and contextual precision.

5.2. Limitations of the Study

The study employed a relatively small sample (30 questionnaire participants and 10 interviewees), which may limit the generalizability of the findings.

Participants were drawn mainly from Sudan, Syria, and Palestine; therefore, the findings may not represent translators in other linguistic and professional contexts.

structurally rigid and less emotionally expressive.

4.6.7Comparative Observation

The additional comparative models further demonstrate that AI-assisted translation systems perform effectively in delivering general meaning and grammatical structure. However, professional human translators continue to outperform AI systems in:

- Idiomatic and metaphorical expressions.
- Cultural adaptation.
- Emotional and literary language.
- Stylistic elegance.
- Pragmatic interpretation.
- Media and diplomatic discourse.

These examples reinforce the argument that AI technologies are valuable supportive tools, but they still require human intervention to ensure contextual accuracy, cultural appropriateness, and natural readability.

5. Major Findings

- 1/ Artificial Intelligence technologies have contributed to improving translation speed, increasing productivity, and reducing the time and effort required to complete translated texts.
- 2/ AI-powered translation systems demonstrated a high level of linguistic fluency and grammatical accuracy, particularly in scientific and technical texts.
- 3/ Machine translation still faces limitations in understanding cultural contexts, implicit meanings, and culture-specific expressions.
- 4/ Human translators outperform AI systems in translating literary, creative, religious, and culturally sensitive texts.
- 5/ The role of translators is gradually shifting from traditional translation toward post-editing, quality control, and cultural adaptation.
- 6/ The future relationship between Artificial Intelligence and professional translators will likely depend on integration and collaboration rather than complete replacement.

5.1. Discussion

The findings of the study demonstrate that AI-assisted translation technologies offer remarkable benefits in terms of speed, accessibility, and productivity. AI systems are particularly effective in translating technical and

Example 9: Cultural and Pragmatic Translation

Source Text

“Actions speak louder than words.”

Professional Human Translation

"الأفعال أبلغ من الأقوال."

AI-Generated Translation

"الأفعال تتحدث أعلى من الكلمات."

Analysis

The professional translator conveyed the proverb using a culturally equivalent Arabic expression, while the AI-generated translation relied on literal word-for-word rendering, resulting in unnatural phrasing.

Example 10: Emotional Translation

Source Text

“She carried the pain silently behind her smile.”

Professional Human Translation

"كانت تخفي ألمها خلف ابتسامتها بصمت."

AI-Generated Translation

"حملت الألم بصمت خلف ابتسامتها."

Analysis

The human translation preserved the emotional depth and stylistic smoothness of the original text. In contrast, the AI-generated translation sounded

Professional Human Translation.

"يسهم البحث العلمي بصورة كبيرة في تحقيق التنمية المستدامة".

AI-Generated Translation

"البحث العلمي يساهم بشكل كبير في التنمية المستدامة".

Analysis

Both translations are grammatically correct; however, the human translation demonstrates greater stylistic sophistication and academic fluency through the expression "تحقيق التنمية المستدامة," which is more common in academic Arabic discourse.

Example 8: Media Translation

Source Text

"The international community called for an immediate ceasefire."

Professional Human Translation

"دعا المجتمع الدولي إلى وقفٍ فوري لإطلاق النار".

AI-Generated Translation

"المجتمع الدولي طلب وقف إطلاق نار فوري".

Analysis

The professional translation reflects formal journalistic style and diplomatic language typically used in Arabic media discourse. The AI-generated version communicates the meaning but lacks the stylistic precision and institutional tone of professional media translation.

AI-Generated Translation

"المدينة لا تنام تحت توهج الأضواء اللانهائية".

Analysis

The human translation preserved the metaphorical and poetic tone of the source text, whereas the AI-generated version appeared mechanically literal. The expression "الأضواء التي لا تنطفئ" is stylistically more natural and emotionally expressive than "الأضواء اللانهائية".

Example 6: Idiomatic Translation

Source Text

"He is walking on thin ice after the recent incident."

Professional Human Translation

"أصبح في موقف حرج بعد الحادثة الأخيرة".

AI-Generated Translation

"إنه يمشي على جليد رقيق بعد الحادثة الأخيرة".

Analysis

The human translator successfully conveyed the intended idiomatic meaning, while the AI system translated the expression literally, leading to semantic inaccuracy and cultural awkwardness.

Example 7: Academic Translation

Source Text

"Scientific research contributes significantly to sustainable development."

Analysis

The professional translator successfully conveyed the idiomatic meaning culturally and contextually, whereas the AI translation rendered the idiom literally, resulting in semantic inaccuracy.

Example 4: Religious Translation

Source Text

“Patience is a virtue that strengthens the human spirit during hardship.”

Professional Human Translation

"يُعَدُّ الصبر فضيلة تُقَوِّي الروح الإنسانية في أوقات الشدائد."

AI-Generated Translation

"الصبر هو فضيلة تقوي الروح البشرية أثناء الصعوبة."

Analysis

The professional translator used culturally and stylistically appropriate expressions commonly employed in formal Arabic discourse. The AI-generated translation conveyed the literal meaning but lacked rhetorical elegance and natural fluency. The phrase “أوقات الشدائد” sounds more idiomatic and contextually appropriate than “أثناء الصعوبة”.

Example 5: Literary Translation

Source Text

“The city never sleeps beneath the glow of endless lights.”

Professional Human Translation

"لا تنام المدينة تحت وهج الأضواء التي لا تنطفئ."

Example 2: Media Translation

Source Text

“The government announced urgent economic reforms to address inflation.”

Professional Human Translation

"أعلنت الحكومة عن إصلاحات اقتصادية عاجلة لمواجهة التضخم."

AI-Generated Translation

"الحكومة أعلنت إصلاحات اقتصادية مستعجلة لمعالجة التضخم."

Analysis

The professional translation reflects formal media language commonly used in Arabic news discourse, whereas the AI-generated translation demonstrates acceptable meaning but lacks journalistic naturalness and stylistic precision.

Example 3: Cultural Translation

Source Text

“He broke the ice during the meeting.”

Professional Human Translation

"نجح في كسر حاجز التوتر خلال الاجتماع."

AI-Generated Translation

"كسر الجليد أثناء الاجتماع."

translation systems achieve high levels of grammatical accuracy and speed. However, human translators remain more capable of:

- 1/ Producing culturally appropriate expressions.
- 2/ Preserving stylistic and rhetorical features.
- 3/ Adapting meaning according to context.
- 4/ Ensuring natural readability.

The comparison also supports the findings of the current study, which indicate that Artificial Intelligence performs effectively in informational and technical translation, whereas human translators continue to outperform AI systems in culturally sensitive and stylistically complex texts.

4.6.6 Models of Professional Translators' Practices

Example 1: Literary Translation

Source Text

"The moonlight spread softly across the silent village."

Professional Human Translation

"انتشر ضوء القمر برفق فوق القرية الهادئة."

AI-Generated Translation

"ضوء القمر انتشر بشكل ناعم عبر القرية الصامتة."

Analysis

The professional translators produced a stylistically natural and emotionally expressive translation, while the AI-generated version appeared literal and mechanically structured. The human translation preserved the literary tone and aesthetic effect of the source text.

Analysis of the Human Translation

The human translator successfully preserved the semantic meaning, stylistic elegance, and contextual coherence of the original text. The translation demonstrates:

- 1/ Accurate cultural adaptation.
- 2/ Natural linguistic fluency.
- 3/ Appropriate lexical choices.
- 4/ Preservation of the academic tone.
- 5/ Effective contextual interpretation.

The translator used the expression “عالم يزداد ترابطاً يوماً بعد يوم” to convey the meaning of “an increasingly interconnected world” in a culturally and stylistically natural manner.

AI-Generated Translation Chat GPT (v.5.5 ,2026)

"التعليم ليس فقط نقل المعلومات؛ إنه عملية تشكيل التفكير النقدي والإبداع والوعي الثقافي بين المتعلمين في عالم مترابط بشكل متزايد."

Analysis of the AI Translation

The AI-generated translation conveys the general meaning of the source text with acceptable grammatical accuracy and lexical clarity. However, several limitations can be observed:

- 1/ The expression “عالم مترابط بشكل متزايد” sounds mechanically literal.
- 2/ The translation lacks stylistic smoothness and rhetorical sophistication.
- 3/ Some lexical choices appear direct and less culturally adaptive.
- 4/ The sentence structure reflects machine-oriented translation patterns.

Although the AI system successfully maintained grammatical correctness, the translation lacks the natural fluency and contextual sensitivity demonstrated in the human translation.

Comparative Discussion

The comparison between the two translations demonstrates that AI-assisted

communication, and specialized translation.

One participant summarized this perspective by stating:

"The future belongs neither to AI alone nor to human translators alone. It belongs to translators who know how to work effectively with AI."

This conclusion is fully consistent with the questionnaire findings, in which respondents largely rejected the statement that AI would completely replace professional translators.

4.6.4. Integration of Quantitative and Qualitative Findings

The integration of questionnaire and interview findings revealed a high degree of convergence between the quantitative and qualitative data. Both methods demonstrated that AI-assisted translation significantly enhances productivity, efficiency, and consistency in professional translation. At the same time, participants consistently emphasized that AI technologies cannot replace human translators in tasks requiring cultural sensitivity, contextual interpretation, creativity, and critical judgment.

Furthermore, both data sources highlighted the increasing importance of post-editing as a core professional competency and emphasized the necessity of incorporating AI technologies into translator education and professional development. The qualitative findings therefore strengthened the quantitative results, increasing the credibility and validity of the study through methodological triangulation.

4.6.5. Comparative Translation Models

Source Text

"Education is not merely the transmission of information; it is the process of shaping critical thinking, creativity, and cultural awareness among learners in an increasingly interconnected world."

Human Translation

"لا يقتصر التعليم على نقل المعلومات فحسب، بل يُعد عملية تهدف إلى تنمية التفكير النقدي والإبداع والوعي الثقافي لدى المتعلمين في عالم يزداد ترابطاً يوماً بعد يوم."

editing before publication.

4.6.3.4. Theme Four: AI Should Be Integrated into Translator Education

Most interviewees believed that universities should revise translation curricula to incorporate AI-assisted translation technologies. Participants argued that future translators should receive systematic training in prompt engineering, AI literacy, terminology management, and post-editing techniques.

One interviewee stated:

"Students should graduate knowing how to collaborate with AI rather than compete against it."

Participants also stressed that universities should maintain a balance between technological competence and traditional translation skills.

4.6.3.5. Theme Five: Ethical and Professional Concerns

Eight interviewees expressed concerns regarding ethical issues associated with AI-assisted translation. The most frequently mentioned concerns included confidentiality, data privacy, intellectual property rights, algorithmic bias, and excessive dependence on automated systems.

One participant commented:

"Uploading confidential legal or medical documents to public AI systems raises serious ethical concerns."

Another added:

"AI should always be used responsibly and under human supervision."

These findings demonstrate that ethical considerations remain one of the principal challenges associated with AI-assisted translation.

4.6.3.6. Theme Six: AI Will Support Rather Than Replace Professional Translators

All interview participants rejected the idea that Artificial Intelligence would completely replace professional translators. Instead, they predicted that translators' roles would evolve toward post-editing, quality assurance, intercultural

4.6.3.2. Theme Two: Human Translators Continue to Outperform AI in Complex Texts

All interview participants emphasized that AI systems continue to experience significant limitations when translating literary, legal, religious, diplomatic, and culturally sensitive texts. Respondents agreed that AI frequently fails to recognize contextual meaning, implied messages, figurative language, and culturally specific expressions.

One respondent remarked:

"Artificial Intelligence can translate words effectively, but it often fails to translate intentions, emotions, and cultural meanings."

Another explained:

"Literary translation still depends on creativity, cultural awareness, and human interpretation—qualities that AI cannot fully replicate."

These opinions strongly support the quantitative findings showing high agreement that human translators produce more accurate translations in complex contexts.

4.6.3.3. Theme Three: Post-editing Has Become an Essential Professional Skill

Almost all participants emphasized that post-editing has become an indispensable stage in modern translation practice. They explained that AI-generated translations usually require revision to improve terminology, style, coherence, grammatical accuracy, and contextual appropriateness.

One participant explained:

"AI produces an excellent starting point, but professional quality can only be achieved after careful human revision."

Another interviewee added:

"Post-editing is now one of the most important competencies every professional translator should master."

This theme corresponds directly with the questionnaire findings, where respondents strongly agreed that AI-generated translations require human post-

that human translators remain essential for ensuring contextual accuracy, cultural adaptation, and stylistic appropriateness.

4.6.3. Semi-Structured Interview Findings

To complement the quantitative findings, semi-structured interviews were conducted with ten professional translators who regularly use AI-assisted translation tools in their professional work. The interview data were analyzed using thematic analysis, resulting in six major themes that reflected participants' experiences, perceptions, and expectations regarding Artificial Intelligence in translation.

Overall, the interview findings strongly supported the quantitative results obtained from the questionnaire. Participants acknowledged the substantial benefits of AI-assisted translation while emphasizing the continuing importance of human expertise in producing high-quality translations.

4.6.3.1. Theme One: AI Significantly Improves Translation Productivity

Nine out of the ten interviewees stated that AI-assisted translation has considerably improved their productivity by reducing the time required to complete translation tasks. Participants explained that AI enables them to produce initial drafts quickly, allowing them to devote more attention to revision and stylistic refinement rather than translating every sentence from scratch.

One participant stated:

"Artificial Intelligence has transformed my daily translation workflow. Tasks that previously required several hours can now be completed in a much shorter time, allowing me to focus on improving translation quality rather than merely producing the first draft."

Another participant commented:

"AI is not replacing my work; instead, it enables me to work faster and manage a larger number of translation projects."

These findings correspond closely with the questionnaire results, in which the statement concerning AI's ability to reduce translation time received the highest level of agreement.

Participants also expressed positive attitudes toward AI as a supportive technology (Item 14, $M = 4.36$), while indicating their willingness to continue using AI tools in future translation practice (Item 15, $M = 4.26$).

Although respondents agreed that AI performs well with general texts (Item 13, $M = 4.03$), this item received one of the lowest mean scores, implying that participants still consider AI less reliable for highly specialized translation tasks.

Overall, these findings reinforce the conclusion that translators view AI as an effective tool for enhancing productivity while emphasizing the continuing necessity of human expertise in professional translation.

The descriptive analysis demonstrates an overwhelmingly positive perception of AI-assisted translation among the participants. The highest-rated statements emphasize the continued importance of professional translators, the integration of AI into translator education, and the efficiency gains provided by AI technologies. Conversely, the lowest-rated statements relate to AI's ability to handle grammar, idiomatic expressions, and specialized texts, highlighting the current limitations of AI systems.

These findings indicate that participants view AI as a valuable technological assistant capable of improving productivity and translation efficiency, while recognizing that professional translators remain indispensable for ensuring accuracy, contextual appropriateness, and cultural sensitivity.

4.6.3. Interpretation of the Questionnaire Findings

The statistical analysis demonstrates an overall positive attitude toward AI-assisted translation. The highest mean score was obtained by the statement indicating that AI significantly reduces translation time ($M = 4.43$), followed by the statements emphasizing the preservation of cultural meaning by human translators and the necessity of post-editing ($M = 4.33$).

Participants also expressed strong agreement that AI technologies enhance productivity and should be regarded as supportive tools rather than replacements for professional translators. Conversely, the statement suggesting that AI would completely replace professional translators received only a moderate level of agreement ($M = 3.15$), indicating that respondents largely rejected the notion of complete automation.

Overall, these findings suggest that participants perceive AI as an effective technological assistant capable of improving translation efficiency while recognizing

and culturally complex contexts.

Overall, the findings demonstrate that AI is widely perceived as a valuable support tool that enhances efficiency and productivity while still requiring human expertise to ensure translation quality and cultural appropriateness.

4.6.2. Descriptive Statistics of Questionnaire Items (Items 9–15)

4.6.2.1. Table 7. Descriptive Statistics of Questionnaire Items 9–15 (N = 30)

Item	Mean	SD	Level
9. AI-assisted translation enhances the consistency of translated texts	4.10	0.71	High
10. AI-assisted translation improves the overall quality of my translations.	4.20	0.73	High
11. AI tools should be integrated into translator education and training.	4.50	30.57	High
12. Professional translators will remain indispensable despite rapid advances in Artificial Intelligence.	4.60	0.55	High
13. AI-assisted translation is more suitable for general texts than specialized texts.	4.03	0.77	High
14. AI technologies positively support professional translators rather than threaten them	4.36	0.65	Very high
15. I intend to continue using AI-assisted translation tools in my future professional work	4.26	0.70	High

The findings presented in Table (7) reveal that participants maintained highly positive attitudes toward AI-assisted translation across the remaining questionnaire items.

The highest mean score was obtained by Item 12 (M = 4.60, SD = 0.55), indicating a strong consensus that professional translators will continue to play an essential role despite rapid developments in Artificial Intelligence. This finding confirms that respondents perceive AI as a complementary technology rather than a substitute for human translators.

Similarly, Item 11 (M = 4.53, SD = 0.57) received a very high level of agreement, suggesting that AI technologies should be incorporated into translator education and professional training. This reflects participants' recognition of the growing importance of AI literacy within the translation profession.

4.6. Table 5. Descriptive Statistics of Questionnaire Items

4.6.1 Descriptive Statistics of Questionnaire Items (Items 1–8)

Item	Mean	SD	Level
1. AI-assisted translation has significantly improved my translation productivity.	4.27	0.58	High
2. AI tools reduce the time required to complete translation tasks.	4.43	0.68	Very High
3. AI-assisted translation has become an essential part of professional translation practice.	4.13	0.68	High
4. Human translators produce more accurate translations than AI systems in complex texts.	4.14	0.83	High
5. AI translation performs well in technical and scientific texts.	3.97	0.81	High
6. Human translators are better at preserving cultural and contextual meanings than AI systems.	4.33	0.66	Very High
7. AI translation systems provide grammatically accurate translations.	3.57	1.04	High
8. AI systems have difficulty translating idioms, metaphors, and culturally specific expressions.	3.66	0.94	High

The descriptive statistics indicate that respondents expressed generally positive attitudes toward AI-assisted translation. The highest mean score was recorded for **Item 2** ($M = 4.43$, $SD = 0.68$), indicating strong agreement that AI significantly reduces the time required to complete translation tasks. Similarly, **Item 6** ($M = 4.33$, $SD = 0.66$) received a very high level of agreement, confirming that participants believe human translators remain superior in preserving cultural and contextual meanings.

Item 1 ($M = 4.27$, $SD = 0.58$) also received a high level of agreement, demonstrating that AI contributes substantially to improving translation productivity. Furthermore, respondents agreed that AI-assisted translation has become an essential component of professional translation practice (Item 3, $M = 4.13$).

Although participants generally acknowledged the usefulness of AI, lower mean scores were observed for AI's ability to produce grammatically accurate translations (Item 7, $M = 3.57$) and to translate idioms and culturally specific expressions (Item 8, $M = 3.66$). These findings suggest that respondents recognize important limitations of current AI translation systems, particularly in linguistically

Translation Instructor	10	33.3
Postgraduate Student	11	36.7
Total	30	100.0

The sample included respondents from different professional backgrounds. Postgraduate students represented the largest category (36.7%), followed by translation instructors (33.3%) and professional translators (30.0%). Such diversity enhances the comprehensiveness of the findings.

4.4Table 4. Years of Translation Experience

Experience	Frequency	Percentage
Less than 5 Years	6	20.0
5–10 Years	10	33.3
More than 10 Years	14	46.7
Total	30	100.0

Nearly half of the respondents possessed more than ten years of professional translation experience. Consequently, the questionnaire findings largely reflect the opinions of experienced translators familiar with both traditional and AI-assisted translation environments.

4.5 Table 5. Distribution of Participants by Country

Country	Frequency	Percentage
Sudan	11	36.7%
Syria	17	56.7%
Palestine	2	6.6%
Total	30	100.0%

More than half of the participants (56.7%) were from Syria, followed by Sudan (36.7%), while a smaller proportion (6.6%) were from Palestine. This reflects the regional scope of the study.

4.5. Descriptive Statistics of the Questionnaire

The questionnaire consisted of fifteen statements examining participants' perceptions of AI-assisted translation. Responses were analyzed using means, standard deviations, and levels of agreement.

4. Results

4.1. Demographic Characteristics of the Participants

A total of 30 participants completed the questionnaire. The sample included professional translators, university translation instructors, and postgraduate students from Sudan, Syria, and Palestine. The demographic characteristics are presented below.

Table 1. Distribution of Participants by Gender

Gender	Frequency	Percentage
Male	18	60.0
Female	12	40.0
Total	30	100.0

The results indicate that male participants constituted 60.0% of the total sample, whereas females represented 40.0%. The inclusion of both genders contributes to obtaining balanced perspectives regarding AI-assisted translation.

4.2. Table 2. Distribution of Participants by Age

Age	Frequency	Percentage
25–35 Years	13	43.3
36–45 Years	8	26.7
Above 45 Years	9	30.0
Total	30	100.0

Most respondents (43.3%) belonged to the 25–35 years age group, indicating that the majority of participants were active professionals or early-career academics. The remaining participants represented older and more experienced groups, providing diverse professional perspectives.

4.3 Table 3. Occupation of the Participants

Occupation	Frequency	Percentage
Professional Translator	9	30.0

3.5. Validity of the Instruments

The questionnaire and interview guide were reviewed by specialists in translation studies, applied linguistics, and educational research to evaluate their content validity, linguistic clarity, and relevance to the objectives of the study.

Based on the reviewers' comments, minor modifications were introduced to improve wording, eliminate ambiguity, and ensure consistency between the questionnaire items and the interview questions.

3.6. Reliability of the Questionnaire

The internal consistency of the questionnaire was assessed using Cronbach's Alpha coefficient.

The questionnaire achieved a reliability coefficient exceeding 0.80, indicating a high level of internal consistency and confirming that the instrument was appropriate for data collection.

3.7. Data Collection Procedures

The questionnaire was distributed electronically using Google Forms. Participation was voluntary, and all respondents were informed about the objectives of the study. Confidentiality and anonymity were maintained throughout the research process.

The interviews were conducted online and face-to-face according to participants' availability. All interviews were recorded with participants' consent, transcribed verbatim, and prepared for qualitative analysis.

3.8. Data Analysis

Quantitative data were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS). Descriptive statistical techniques, including frequencies, percentages, means, standard deviations, and rankings, were employed to summarize participants' responses.

Qualitative interview data were analyzed using Thematic Analysis. Interview transcripts were coded systematically to identify recurring themes, similarities, and patterns related to AI-assisted translation. The qualitative findings were subsequently compared with the questionnaire results to achieve methodological triangulation and enhance the credibility of the study.

3.4.1. Questionnaire

The questionnaire was designed after an extensive review of previous literature on Artificial Intelligence, machine translation, translator training, and translation technology. It consisted of two sections.

The first section collected demographic information, including gender, age, occupation, years of professional experience, and country.

The second section consisted of 15 statements measuring participants' perceptions of AI-assisted translation. Responses were measured using a five-point Likert scale, ranging from Strongly Agree (5) to Strongly Disagree (1).

The questionnaire examined five major dimensions:

- Translation productivity and efficiency.
- Translation quality and accuracy.
- Human versus AI translation.
- AI literacy and translator education.
- The future of professional translators.

3.4.2. Semi-Structured Interviews

To complement the questionnaire findings, semi-structured interviews were conducted with ten professional translators. The interviews aimed to obtain deeper qualitative insights into translators' experiences with AI-assisted translation.

Each interview lasted approximately 20–30 minutes and followed the interview protocol presented in Appendix B.

The interviews explored several key issues, including:

- The influence of AI on translation practice.
- Frequently used AI translation tools.
- Advantages and limitations of AI-assisted translation.
- Human translation versus AI translation.
- The future of professional translators.
- Post-editing practices.
- Ethical concerns.
- Professional recommendations for improving AI-assisted translation.

and qualitative approaches to provide a comprehensive understanding of the impact of Artificial Intelligence (AI) on professional translation practice. The quantitative component was conducted through a structured questionnaire to examine translators' perceptions of AI-assisted translation, whereas the qualitative component employed semi-structured interviews to obtain deeper insights into translators' experiences, attitudes, and professional expectations regarding AI technologies.

The mixed-methods approach was selected because it enables the triangulation of quantitative and qualitative evidence, thereby improving the validity, reliability, and comprehensiveness of the research findings. While the questionnaire measured participants' levels of agreement with predefined statements, the interviews explored issues that could not be adequately captured through numerical data alone.

3.2. Research Population

The target population consisted of professional translators, translation instructors, postgraduate students specializing in translation studies, and individuals who regularly use AI-assisted translation technologies in their professional or academic work. These participants were selected because they possess sufficient practical experience to evaluate the opportunities and challenges associated with AI-assisted translation.

3.3. Sample of the Study

The quantitative phase involved 30 participants, including professional translators, university translation instructors, and postgraduate students from Sudan, Syria, and Palestine. The sample represented different age groups and levels of professional experience, providing a diverse range of perspectives on AI-assisted translation.

The qualitative phase included 10 professional translators, who participated in semi-structured interviews. The interviewees were selected purposively based on their professional experience and regular use of AI-assisted translation systems. This sampling strategy ensured that the qualitative data reflected informed opinions regarding current translation technologies and their impact on professional practice.

3.4. Research Instruments

To achieve the objectives of the study, two complementary research instruments were employed.

translators remain essential in contextual interpretation and cultural adaptation. The researcher recommended adopting ethical frameworks for AI-assisted translation and promoting human-centered translation practices.

Relation to the Current Study

The study supports the current paper's focus on collaboration between human translators and AI systems.

2.4.4.2. Fu and Liu (2024) under title A Comparative Study of Generative Artificial Intelligence Translation and Human Translation of Scientific Texts. The method of the Study Comparative linguistic analysis. The sample Scientific texts translated from English into Chinese. The Instruments were Lexical, semantic, and syntactic analysis. The findings AI-generated translations achieved high grammatical fluency, whereas human translators demonstrated stronger contextual and stylistic awareness. The study recommended combining AI translation systems with human post-editing processes.

Relation to the Current Study

The study provides evidence for comparing translation quality between AI systems and human translators.

2.4.4.3. Abdelaal (2025), under Title Utilizing Chat GPT for Subtitling Movies: A Comparative Analysis of Accuracy and Fluency with Human Translators. The Method of the Study Comparative analytical method. The Sample Movie subtitles translated by Chat GPT and professional translators. The Instruments were Translation quality assessment scales. Findings Chat GPT produced fluent subtitles but struggled with humor, culture-specific expressions, and emotional meanings. The study recommended using AI tools as supportive assistants rather than independent translators.

Relation to the Current Study

The study highlights the limitations of AI-assisted translation in culturally sensitive contexts.

3. Methodology

3.1. Research Design

This study adopted a mixed-methods research design, integrating quantitative

2.4. Theoretical Framework

2.4.1. Technology Acceptance Model (TAM)

The present study adopts the Technology Acceptance Model (TAM) proposed by Davis (1989) as one of its theoretical foundations. TAM explains users' acceptance of new technologies through two major constructs: Perceived Usefulness (PU) and Perceived Ease of Use (PEOU). According to the model, individuals are more likely to adopt a technology when they believe that it improves their performance and is easy to use. In the context of AI-assisted translation, TAM provides an appropriate framework for explaining translators' acceptance of Artificial Intelligence tools, particularly when these tools enhance translation speed, productivity, and efficiency while supporting professional translation practice.

2.4.2. Displacement Theory

Displacement Theory explains how technological innovations influence occupations and reshape labor markets. Rather than assuming that technology completely replaces human workers, the theory argues that technological development transforms professional roles and creates new forms of employment. In translation studies, this theory explains the shift from traditional translation toward AI-assisted translation, post-editing, terminology management, quality assurance, and localization. Consequently, the theory provides an appropriate framework for understanding the changing role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

2.4.3. Relevance of the Theories to the Present Study

Accordingly, the present study adopts the Technology Acceptance Model (TAM) to interpret translators' acceptance of AI-assisted translation technologies, while Displacement Theory is employed to explain the transformation of translators' professional roles. Together, these theories provide the conceptual framework for interpreting the findings of the present study.

2.4. 4. Previous Studies

2.4.4.1. Andani et al. (2025) under title Human and Machine Collaboration in Translation: A Systematic Review of Emerging Practices. The method of the study systematic review using the PRISMA framework. The Sample twenty empirical studies related to Artificial Intelligence and translation. The Instruments were Document analysis and thematic analysis. The study revealed that AI technologies significantly improve translation speed and productivity. However, human

Similarly, Abdelaal (2025) investigated the use of ChatGPT in movie subtitling and concluded that human translators outperformed AI systems in preserving cultural nuances and emotional expressions.

Koponen (2021) explains that post-editing has become a central activity in professional translation workflows due to the growing dependence on machine translation systems. Similarly, Vieira (2021) emphasizes that human post-editing significantly improves translation quality and contextual accuracy.

According to House (2020), translation quality should not only be measured linguistically but also pragmatically and culturally. Moreover, O'Brien (2022) argues that usability and readability remain major challenges in AI-generated translations.

These findings indicate that AI systems perform effectively in technical and informational texts, whereas human translators remain superior in literary, creative, and culturally sensitive translation tasks.

2.3. Ethical and Professional Challenges

The increasing use of AI in translation has raised several ethical and professional concerns, including copyright, confidentiality, translator visibility, and job displacement. Professional translators increasingly fear losing employment opportunities due to the growing institutional dependence on machine translation.

Several scholars highlighted the ethical implications of AI-assisted translation. Moorkens (2022) discusses concerns related to translator visibility, confidentiality, and ethical responsibility in machine-generated translations. Similarly, Pym (2020) argues that translation technologies are transforming professional translation markets and employment structures.

Risku (2021) explains that translators working in digital environments must combine linguistic competence with technological literacy and intercultural communication skills. Furthermore, Cadwell (2022) emphasizes the importance of human-centered approaches in translation technology research.

However, many scholars argue that AI is unlikely to completely replace human translators because translation involves creativity, cultural mediation, and human interpretation.

Cronin (2021) notes that the future of translation will depend on collaboration between humans and intelligent technologies rather than competition between them.

developments in language-related fields. Recent advancements in Neural Machine Translation have significantly improved translation fluency and grammatical accuracy. AI-powered systems can process large amounts of linguistic data and produce translations within seconds.

Bowker (2023) argues that AI-assisted translation technologies have transformed translation practices by increasing productivity and facilitating multilingual communication. Similarly, O'Hagan (2021) states that intelligent translation technologies are reshaping translators' professional roles.

Recent studies have increasingly focused on the cognitive and technological dimensions of AI-assisted translation. Angelone (2023) explains that translation process research has become essential for understanding how translators interact with intelligent technologies during translation tasks. Similarly, Carl (2021) emphasizes that machine-assisted translation changes translators' cognitive effort and decision-making processes. Furthermore, Ehrensberger-Dow (2023) argues that translation technologies influence translators' cognitive behavior and working environments.

According to Doherty (2022), automated translation technologies have become increasingly important in localization and multilingual communication industries. Likewise, Jiménez-Crespo (2023) states that AI technologies are reshaping localization practices and digital multilingual content production. In addition, Gaspari (2020) notes that professional translators increasingly rely on machine translation systems as supportive productivity tools.

Kenny (2022) explains that machine translation technologies are increasingly integrated into professional translation workflows and translator training programs. Moreover, O'Brien (2022) emphasizes that usability and post-editing efficiency have become central concerns in AI-assisted translation environments.

Despite these developments, researchers emphasize that AI translation systems still face challenges in handling idiomatic expressions, cultural references, pragmatics, and contextual meanings.

2.2. Human Translation versus AI Translation

Several recent studies compared human translation with machine-generated translation. Fu and Liu (2024) found that AI-generated translations demonstrated strong grammatical fluency in scientific texts, while human translators achieved better contextual interpretation and stylistic appropriateness.

1.4. Questions of the Study

The study attempts to answer the following questions:

- 1/ How does AI-assisted translation influence professional translation practice?
- 2/ What are the major differences between human translation and AI-generated translation?
- 3/ What are the advantages and limitations of AI translation systems?
- 4/ How do translators perceive Artificial Intelligence technologies?
- 5/ Will AI replace professional translators in the future?

1.5. Significance of the Study

This study is significant because it addresses one of the most contemporary issues in translation studies and applied linguistics. The study contributes to understanding the relationship between professional translators and AI technologies. It also provides valuable insights for translation researchers, university instructors, professional translators, and translation students.

Furthermore, the study may help educational institutions and translation agencies develop balanced approaches toward integrating Artificial Intelligence into translation education and professional practice.

1.6. Limitations of the Study

The present study has several limitations. First, the empirical data were collected from a limited sample of professional translators, translation instructors, and postgraduate students, which may affect the generalizability of the findings. Second, the comparative translation analysis was conducted using selected AI platforms available at the time of the study (ChatGPT, Google Translate, and Deeply), and the rapid evolution of these technologies may influence future outcomes. Third, the study employed descriptive statistics and qualitative analysis; therefore, future research is encouraged to use larger samples and more advanced statistical analyses. Finally, the findings reflect the perceptions of the participants during the study period and may change as AI-assisted translation technologies continue to develop.

2. Literature Review

2.1. Artificial Intelligence and Translation

Artificial Intelligence has become one of the most influential technological

1.1. Introduction

Translation has always played a central role in facilitating intercultural communication and knowledge exchange among nations. In recent years, Artificial Intelligence technologies have dramatically reshaped the translation industry through the emergence of Neural Machine Translation systems and Large Language Models. AI-powered tools are now widely used in academic, commercial, technical, and media translation due to their speed, accessibility, and cost-effectiveness.

The integration of AI into translation practice has generated both optimism and concern among researchers and professional translators. While AI technologies improve productivity and translation efficiency, they also raise questions regarding translation quality, ethics, creativity, and the future role of human translators.

This paper investigates the impact of AI-assisted translation on the future of professional translators. It examines the strengths and weaknesses of AI translation systems and explores whether Artificial Intelligence will replace human translators or function as a collaborative tool that enhances translation practice.

1.2. Statement of the Problem

The rapid expansion of AI-assisted translation technologies has created uncertainty regarding the future of the translation profession. Many institutions and companies increasingly rely on machine translation systems to reduce costs and improve productivity. However, concerns remain regarding the accuracy, reliability, and cultural sensitivity of AI-generated translations. Therefore, this study seeks to investigate whether AI technologies represent a supportive tool for professional translators or a potential threat to the future of the translation profession.

1.3. Objectives of the Study

This study aims to:

- 1/ Examine the impact of AI-assisted translation on professional translation practices.
- 2/ Compare human translation with AI-generated translation.
- 3/ Investigate the advantages and limitations of AI translation systems.
- 4/ Explore translators' perceptions toward AI technologies.
- 5/ Discuss the future role of professional translators in the era of Artificial Intelligence.

Artificial Intelligence -Assisted Translation and the Future of Professional Translators (Descriptive and analytical Study)

Dr .Muntasir Mohammed Elhadi Elnor Mohammed, Assistant professor of Applied Linguistics, University of Gezira , Faculty of Arts and Human Sciences

Abstract

This study investigates the impact of AI-assisted translation on the future of professional translators by examining their perceptions of its benefits, challenges, and implications for professional practice. A mixed-methods research design was employed, combining quantitative and qualitative approaches. Quantitative data were collected through a structured questionnaire administered to 30 professional translators, translation instructors, and postgraduate students, while qualitative data were obtained through semi-structured interviews with 10 professional translators. Quantitative data were analyzed using descriptive statistics, whereas qualitative data were analyzed through thematic analysis. The findings indicate that participants generally hold positive attitudes toward AI-assisted translation. They agreed that AI improves productivity, reduces translation time, enhances terminology consistency, and supports the translation of routine and technical texts. However, participants also identified limitations in translating literary, religious, idiomatic, and culturally sensitive texts. Both quantitative and qualitative findings confirmed that professional translators remain indispensable because of their ability to interpret context, preserve cultural nuances, and ensure linguistic and stylistic quality. The study also highlights the growing importance of post-editing and AI literacy as essential competencies for future translators. The study concludes that AI should be viewed as a complementary technology that enhances rather than replaces professional translators. It recommends integrating AI-assisted translation into translator education, expanding post-editing training, and establishing ethical guidelines for the responsible use of AI in professional translation.

Keywords: Artificial Intelligence, AI-Assisted Translation, Professional Translators, Machine Translation, Post-editing, Translation Technology

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء أثر الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي في مستقبل المترجمين المحترفين، وذلك من خلال التعرف إلى تصوراتهم حول مزايا هذه التقنيات وتحدياتها وانعكاساتها على الممارسة المهنية. اعتمدت الدراسة المنهج المختلط، حيث جُمعت البيانات الكمية باستخدام استبانة وزعت على ٣٠ مترجمًا محترفًا وأستاذًا في الترجمة وطالب دراسات عليا، كما جُمعت البيانات النوعية من خلال مقابلات شبه منظمة مع عشرة مترجمين محترفين. وحُللت البيانات الكمية باستخدام الإحصاء الوصفي، بينما خضعت بيانات المقابلات للتحليل الموضوعي. أظهرت النتائج أن المشاركين يمتلكون اتجاهات إيجابية نحو الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، مؤكدين أنها تسهم في زيادة الإنتاجية، وتقليل زمن إنجاز الترجمة، وتحسين اتساق المصطلحات، خاصة في النصوص التقنية والروائية. وفي المقابل، أظهرت النتائج أن هذه التقنيات لا تزال تواجه تحديات في ترجمة النصوص الأدبية والدينية والتعبيرات الاصطلاحية والمضامين ذات البعد الثقافي. كما أكدت النتائج أن المترجم المحترف يظل عنصرًا أساسيًا في ضمان الدقة اللغوية والملاءمة الثقافية والأسلوبية، وأن المراجعة اللاحقة والإلمام بتقنيات الذكاء الاصطناعي أصبحا من أهم الكفايات المهنية للمترجمين. وتخلص الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي يمثل أداة داعمة تعزز عمل المترجمين ولا تستبدلهم، وتوصي بدمج تقنيات الذكاء الاصطناعي في برامج إعداد المترجمين، وتوسيع التدريب على المراجعة اللاحقة، ووضع أطر أخلاقية تنظم الاستخدام المسؤول لهذه التقنيات.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الترجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي، المترجمون المحترفون، الترجمة الآلية، المراجعة اللاحقة، تكنولوجيا الترجمة

Publication Rules and Conditions

ADAB is a peer-reviewed scientific journal issued bi-annually in June and December by the Faculty of arts, University of Khartoum. It accepts research in Arts, Fine arts and humanities as per rules and conditions given below:

1. Manuscript submitted for possible publication has not been published or submitted for publication elsewhere.
2. Manuscript submitted for possible publication in the journal is subject to peer-review conducted by specialised researchers based on objective criteria.
3. Two printed copies of the manuscript along with a CD containing the research should be handed over or emailed to;
journal.art@uofk.edu or prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
4. Manuscript should be 5000-10000 words long, with a single page abstract of 200 words in Arabic and English, followed by 5 key words highlighting the most important themes addressed by the manuscript. It should be also taken into account that the first page must contain the title of the manuscript, researcher's name, name of university or academic institution and the e-mail address.
5. The journal publishes book reviews of a maximum of 2000 words published within two years. The book's title, author's name, place and date of publication and the number of pages should appear at the top of page. The review process includes presentation, analysis and criticism and detailed summary of the book's content, paying attention to the credibility of the author's sources and his/her conclusions.
6. Manuscript should be documented scientifically by including the sources and references used by the researcher organised alphabetically at the end of the manuscript. Sources of a manuscript written in a foreign language should be organised in one of the standard formats (e.g. APA, MLA, MCF, etc.).
7. Research published by the journal expresses only the opinions of its author; they do not necessarily reflect the opinion of the journal, or any other institution associated to the researcher.
8. Editorial board has the right to make necessary editing and modifications; and decision to accept or reject the manuscript is made upon the recommendation of the referee.
9. Paying the publication fees imposed on non-Sudanese researchers, Sudanese researchers abroad, or researchers from outside the university, each according to his category.

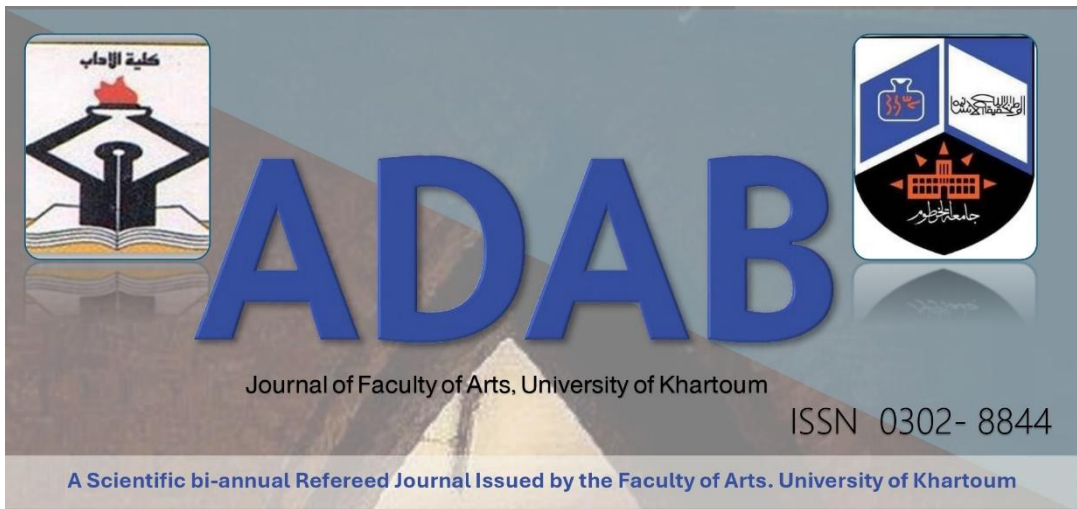
Contents

Foreign Section

8. Artificial Intelligence -Assisted Translation and the Future of Professional Translators (Descriptive and analytical Study). Dr .Muntasir Mohammed Elhadi Elnor Mohammed.	244
9. Talent and Torment: The Emotional Burden of Literary Genius in Modern Sudanese Writing. Eiman Abbas El-Nour, Adil Babikir.....	285
10. Tempestuous Relations: Adaptation as Textual Movement in Césaire's Une Tempête Suha Anam	310

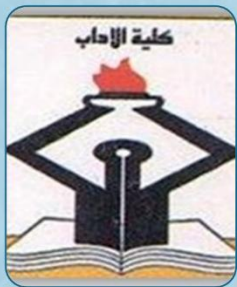
Arabic Section

١. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية. د. عبد القادر محمد أحمد.....	١
٢. مسائل صرفية من كتاب (مجالس العلماء) للإمام أبي القاسم الزجاجي. محيي الدين محمد جبريل محمد.....	٢٥
٣. المعلقات السبع جدليتا الرواية والتعليق. د. أبو هداية محمد إسماعيل محمد. أ. د. يوسف محمد توتو محمد علي.....	٥٨
٤. هندسة الاختبارات اللغوية من معايير الصدق والثبات إلى تحديات التطبيق (دراسة تحليلية في ضوء بطاقة تحليل). د. سعيدة عمر محمد ثاني.....	٩٤
٥. منطقة الحلاوين في ظل الدولة السنّارية ١٥٠٤ – ١٨٢١ م. د. محمد الفاتح حياتي.....	١٥٢
٦. الجذور السوسيو-اقتصادية للصراع في السودان: مراجعة تحليلية نقدية للأدبيات المعاصرة ٢٠٢٠ م- ٢٠٢٥ م د. بابكر عيسى أحمد محمد.....	١٧٧
٧. الخطوط الحديدية السعودية في منتصف القرن العشرين: دراسة تحليلية لأبعادها الإدارية والاقتصادية وأثرها التنموي (١٣٦٦هـ-١٣٧٥هـ/١٩٤٧م-١٩٥٥م). د. حمد بن محمد صالح الصيخان.....	١٩٦



Issue No. 55. Vol. 2. July. 2026

Editorial Board	Advisory Board
Editor-in-Chief Prof. Siddig Mustafa Elrayah Managing Editor Prof. Azhari Mustafa Sadig Ali Editorial Members Prof. El-Sadig Yahya A. Ezza Dr. Mohammed Alfatih Hayati Dr. Afaf Mohammed Elhassan Ibrahim Dr. Rasha Albaroudi Dr. Nadra Abdalla Ali Dr. Waleed Omer NourAldaim Dr. Ahmed AbdelMouniem Secretary Waleed Modather Sara Mamoun	Prof. Fadwa Abdel Rahman Ali Taha Prof. Ali Osman M. Salih Prof. Galal El-Din El-Tayeb Prof. Rugaia Elsayed Etayeb Alabass Prof. Hamadalneel M. Alhassan Prof. Hussein Al Noor Youssef Prof. Yahia Fadl Tahir Prof. Mubarak Husayn Najmalddin Dr. Younis Al-Amin Dr. Mahasin Hag Al-Safi Dr. Hassan Ali Eissa
Contributions: Addressed to the Editor: Faculty of Arts, University of Khartoum. P.O. Box 321 or by e-mail: siddig.alrayyah@uofk.edu or journal.art@uofk.edu	

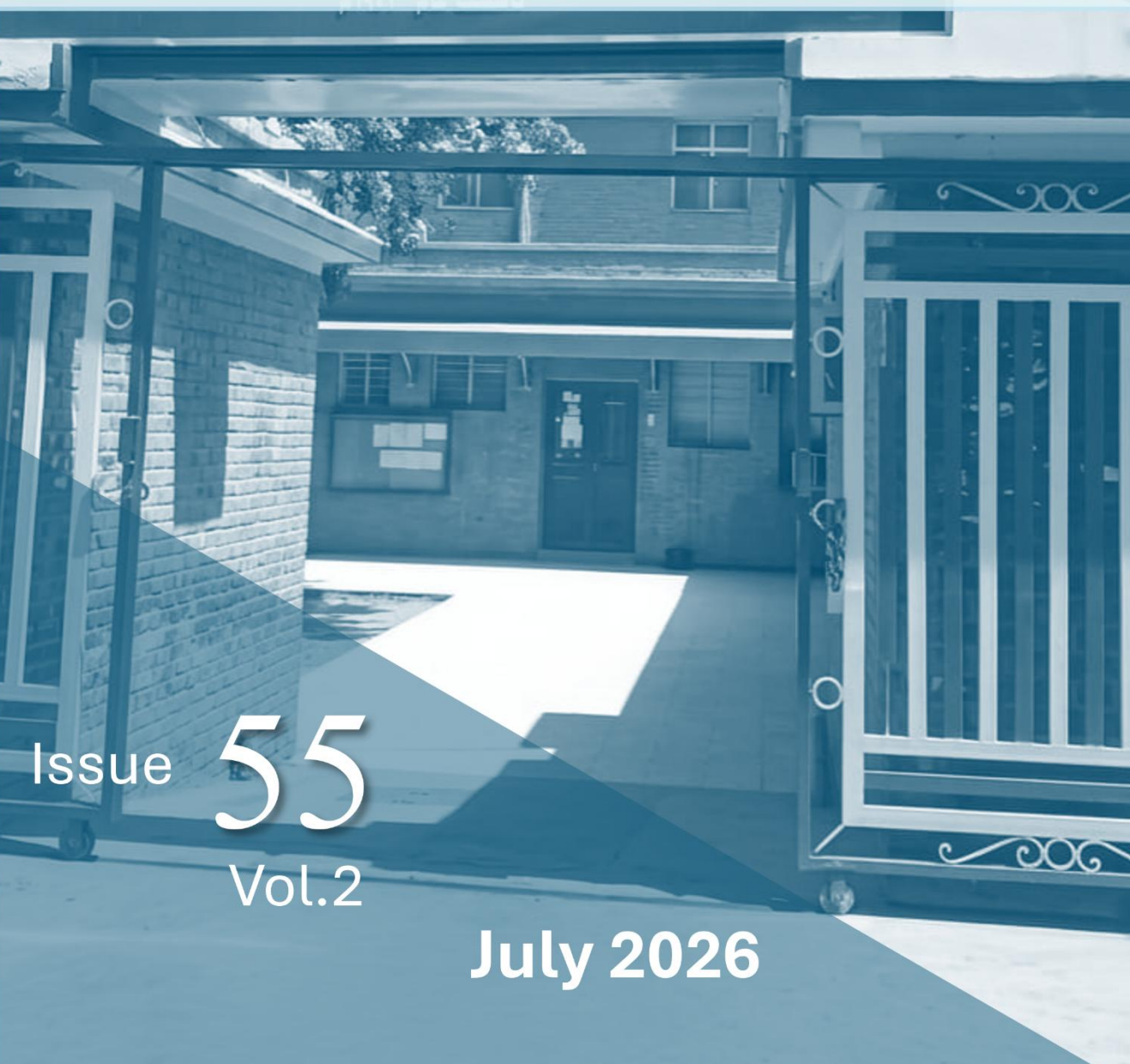


ADAB

Journal of Faculty of Arts, University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

A Scientific bi-annual Refereed Journal Issued by the Faculty of Arts. University of Khartoum



Issue **55**
Vol.2

July 2026